امارة الموصل في العصر السلجوقي

٤٨٩ هـ ـ ٥٢١ هـ

تاليـــف
الدكتور رشيد عبدالله الجميلي
استاذ التاريخ الاسلامي المساعد
بكلية الآداب / جامعة بغداد

الطبعـــة الاولى
١٩٨٠ م
ساعدت جامعة بغـــداد على نشر هذا الكتاب


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة :

حظيت الموصل بعناية المؤرخين القدامى من العرب في مختلف مراحل تاريخها الاسلامي ، وظهرت لهم مصنفات عديدة تناولت تاريخ هذه المدينة ، أختص بعضها بذكر الاحداث السياسية التي مـر بها تاريـخ الموصل او بدراسة الدول التي تعاقبت على هذه المدينة في حين تضمن بعضها الاخـر تراجم لمشاهير علمائها[1] . ولا شك في ان هذا الاهتمام الكبير انما يرجع

---

(١) من بين المؤرخين الذين افردوا مؤلفات خاصة عن الموصل نذكر ابـا زكريا يزيد بن محمد الازدي المتوفى سنة ٣٣٤هـ وكتابه تاريخ الموصل، والمؤرخ ابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ الذي وضع كتابا عن تاريـخ الموصل اسماه : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية تالموصل . قـام بتحقيقه ونشره الدكتور عبدالقادر طلبات ، القاهرة ١٩٦٣ .
كما قام الاستاذ سعيد الديوهجي بتحقيق ونشر الكتب التالية :
- منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ، بغداد ١٩٥٥ تأليف ياسين ابن خير الله العمري .
- منهل الاولياء ومشرب الاصفياء في سادات الموصل الحدبـاء ، تأليف محمد امين بن خيرالله العمري بغداد ١٩٦٩ .
- ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء لاحمد بن الخياط الموصلـي، بغداد ١٩٦٦ .
- ملحمة الموصل ، للشيخ فتحالله القادري بغداد ١٩٦٥ .
- مجموعة الكتابات المحررة في ابنية مدينة الموصل ـ نقولا سيوفي، بغداد ١٩٥٦ .

الى الدور البارز الذي لعبته الموصل على مسرح احداث الشرق الادنى الاسلامي منذ مطلع القرن الرابع الهجري فقد أدى ضعف السلطة المركزية ببغداد في اواخر القرن الثالث الهجري نتيجة ازدياد النفوذ التركي الى قيام امارات عربية شبه مستقلة عن الخلافة العباسية اتخذت من الموصل قاعدة لها نذكر منها الدولة الحمدانية (٢٩٢هـ ــ ٣٨٠هـ)[٢] ودلة بني عقيل (٣٨٠هـ ــ ٤٨٩هـ)[٣] .

ثم اصبحت الموصل بعد سقوط دولة بني عقيل على يد القائد السلجوقي قوام الدولة كربوقا سنة ٤٨٩هـ جزءا من الدولة السلجوقية ،

---

(٢) كان الخليفة المقتدر بالله العباسي قد قلد ابا الهيجاء عبدالله بن حمدان الموصل وما يليها عام ٢٩٢هـ ولم يلبث نفوذ الحمدانيين ان شمل مدينة حلب في عصر سيف الدولة الحمداني . غير ان سلطان الحمدانيين على الموصل سرعان ما تعرض للتدهور بعد وفاة اميرهم ابى تغلب الحمداني سنة ٣٦٩هـ عندما استولى عضد الدولة البويهي على الموصل واعمالها . ثم تمكن الحمدانيون في استعادة نفوذهم سنة ٣٧٩هـ الا ان حكمهم لم يستمر سوى عام واحد ثم انتقل الحكم الى بني عقيل الذين كانوا قد تطلعوا للسيطرة على الموصل بعد ان تطرق الضعف الى الدولة الحمدانية . انظر : مسكويه ، تجارب الامم جـ٦ ص٤٠١ــ٤٠٤ . ابن الاثير ، الكامل جـ٧ ص٩٨ ، ٢٢١ــ١٢٢ .

(٣) كان ابتداء دولة بني عقيل في الموصل منذ سنة ٣٨٠هـ عندما نجح ابو الدرداء محمد بن المسيب في القضاء على نفوذ الحمدانيين وقتل ابا طاهر بن ناصر الدولة الحمداني اخر امرائهم بالموصل ، واقره البويهيون على الموصل ثم ما لبثوا ان عزلوه في سنة ٣٨٢هـ . وتولوا حكم المدينة حتى سنة ٣٨٦هـ وفي هذه السنة تمكن المقلد بن المسيب من استعادة الموصل . وبقيت بيد امراء بني عقيل حتى سنة ٤٨٩هـ . انظر : خاشع المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل ص٥٠ــ٥١ بغداد ١٩٦٨ .

وتوالى على حكمها عدد من الامراء السلاجقة استمر حكمهم حتى سنة ٥٢١هـ حيث انتقل الحكم الى عمادالدين زنكي مؤسس دولة الاتابكة في الموصل التي استمرت حتى سنة ٦٣١هـ • ويعتبر عصره امتدادا للعصر السلجوقي •

ولم يقف الاهتمام بتاريخ الموصل في العصر الاسلامي على قدامى المؤرخين العرب فحسب بل كان موضع اهتمام عدد كبير من المؤرخين المحدثين الذين فطنوا الى اهمية دراسة تاريخ هذه المدينة بالنسبة للتاريخ الاسلامي بوجه عام وتاريخ الشرق الادنى الاسلامي بوجه خاص ، فعكفوا على دراسة تاريخ الموصل في مختلف عصورها[٤] • الا ان فترة حكم الولاة

(٤) من الدراسات الحديثة التي اجريت على تاريخ الموصل نذكر البحوث التالية :

— القس سلمان الصايغ ، تاريخ الموصل ، طبع الجزء الاول منه في مصر ١٩٢٣

— الاستاذ سعيد الديوهجي ، قام بنشر ابحاث عديدة تناولت مختلف اوجه الحضارة في الموصل نذكر منها : الموصل في العهد الاتابكي بغداد ١٩٥٨ جوامع الموصل ، بغداد ١٩٦٣ ، اعلام الصناع المواصلة الموصل ١٩٧٠ ، بالاضافة الى الابحاث التاريخية التي نشرها في مجلة سومر .

كما ظهرت دراسات علمية عالجت بعض مراحل تاريخ الموصل نذكر منها

— الدكتور فيصل السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب جزءان بغداد ١٩٧٢ .

— الدكتور عمادالدين خليل : عمادالدين زنكى بيروت ١٩٧١

— رشيد الجميلي : دولة الاتابكة في الموصل بعد عمادالدين زنكى، بيروت ١٩٧٠

— خاشع المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل بغداد ١٩٦٨ .

— سوادي عبد محمد : امارة الموصل في عهد بدرالدين لؤلؤ وولده الملك الصالح بغداد ١٩٧٢ .

السلاجقة فيما بين ٤٨٩هـ و٥٢١هـ لم يحظ بنفس العناية والاهتمام من الباحثين ، فلم تتضمن بحوثهم سوى اشارات بسيطة عن هذه المرحلة على الرغم من خطورتها واهميتها ليس بالنسبة لتاريخ الموصل فحسب بل بالنسبة للتاريخ الاسلامي العام في العصر الوسيط ، ففي الوقت الذي كانت فيه الخلافة العباسية تعاني الضعف تعرضت لغزو صليبي واسع النطاق بات يهدد الدولة العربية الاسلامية بشر كبير ،في وقت كان السلاجقة آنذاك يعانون فيه كثيرا من التفكك والاضمحلال بسبب الصراع حول العرش السلجوقي على أثر وفاة السلطان ملكشاه في سنة ٤٨٥هـ • وقد لعب أمراء الموصل دورا بارزا في احداث ذلك الصراع سعيا وراء مكاسب شخصية تتيح لهم مزيدا من الاقطاع والنفوذ في الدولة السلجوقية كما اصبحت الموصل في هذه المرحلة قاعدة للتحركات العسكرية ضد القوات الصليبية في الجزيرة وبلاد الشام ، ومنطلقا لارساء دعائم الوحدة بين القوى المجاورة من اجل الوقوف جبهة متحدة في وجه الخطر الصليبي • وقد ساهم امراء الموصل بدور حاسم في الاحداث التالية بسبب ما تتمتع به الموصل من موقع استراتيجي حصين يحميها من الاخطار المباشرة للهجوم الصليبي ، هذا بالاضافة الى انهم يمثلون حلقة الوصل المباشرة بين السلاطين السلاجقة والامارات العربية الاسلامية المنتشرة فياقليم الجزيرة• وقد تهيأ لولاةالموصل في هذه المرحلة المشاركة بقوة في الاحداث والاسهام في مصائر المنطقة ليس من خلال دورهم في الجهاد ضد الفرنج فحسب بل لكونهم لعبوا دورا هاما في الصراع القائم حول السلطنة السلجوقية ، لذلك رأيت ان هذه المرحلة التاريخية جديرة بأن تحظى بنصيبها الحقيقي من الاهتمام لاحكام التواصل بين حلقات تاريخ الموصل وابراز دورها الهام في التصدي للزحف الصليبي وهو دور رئيس كان له اعظم الاثر في ارساء قواعد الجهاد ضد الفرنج والتمهيد لمراحل جديدة من النضال تسلم القيادة

خلالها رجال ابطال واصلوا مسيرة الجهاد وتحرير الوطن العربي من اثار الغزو الصليبي . وقد حاولت في هذه الدراسة ان اعطي الابعاد الحقيقية لدور الموصل السياسي في عصر السلاجقة من خلال علاقاتها الخارجية مع القوى الاسلامية في المنطقة . ومن خلال الروح النضالية التي انبثقت منها في مواجهة الصليبيين في بلاد الشام والجزيرة ، كما عملت بقدر الاستطاعة على ابراز طبيعة العلاقات بين ولاة الموصل وسلاطين السلاجقة وقد قسمت الموضوع الى اربعة ابواب ، الباب الاول يقوم مقام المدخل للموضوع اذ مهدت فيه للبابين التاليين. وافردته لدراسة السلاجقة منذ قيام دولتهم حتى استيلائهم على الموصل واسقاط دولة بني عقيل فيها سنة ٤٨٩هـ ، ومن الجدير بالذكر ان هذه الدراسة وان كانت تخرج عن نطاق الفترة المحددة لموضوع الرسالة الا ان لها اهميتها للموضوع فليس من الممكن دراسة تاريخ الموصل في العصر السلجوقي دون ان تسلط الاضواء على الفترة التاريخية السابقة لذلك وهي فترة تمهيدية تكشف عما وقع من احداث سياسية في العراق عشية دخول السلاجقة بغداد ودور الموصل في تلك الاحداث من خلال موقفها من السلاجقة والخلافة العباسية ، وقد شمل الفصل الاول من هذا الباب الحديث عن السلاجقة منذ استقرارهم في بلاد ما وراء النهر حتى تغلبهم على الغزنويين واعلان قيام دولتهم بجلوس طغرلبك على عرش السلطان مسعود الغزنوي في نيسابور في سنة ٤٢٩هـ . ثم اتصال السلاجقة بالخلافة العباسية ودخولهم بغداد في سنة ٤٤٧هـ . وموقف طغرلبك من حركة البساسيري وسياسته نحو الخلافة العباسية .

وفي الفصل الثاني تحدثت عن عصر الب ارسلان وسعيه الى تدعيم سلطانه السياسي بمكسب شرعي عن طريق مصاهرة الخليفة العباسي ، وتناولت ايضا توسع السلاجقة في بلاد الروم واستيلائهم على اسيا الصغرى ورد الفعل البيزنطي كما شمل الفصل الثاني الحديث عن حكم ملكشاه بن

الب ارسلان وسياسته التوسعية في بلاد الشام وموقفه من النفوذ الفاطمي هناك حتى وفاته في سنة ٤٨٥هـ ٠

كما تحدثت عن انقسام السلاجقة على انفسهم والحروب التي وقعت بين اولاد ملكشاه من جهة وبينهم وبين تاج الدولة تتش من جهة اخرى ٠ وأثر ذلك على الدولة السلجوقية كما اوضحت النتائج المترتبة على مصرع تتش والتي كان من بينها انقسام املاكه في بلاد الشام وما تلا ذلك من قيام رضوان بأطلاق سراح قوام الدولة كربوقا من سجنه وسيره نحو الموصل ثم قضائه على حكم امراء بني عقيل فيها سنة ٤٨٩هـ ٠

اما الباب الثاني من الرسالة فقد خصصته لدراسة العلاقات بين امارة الموصل والقوى العربية والاسلامية المجاورة ٠ وقد تعرضت في الفصل الاول من الدراسة الى العلاقات مع السلاطين السلاجقة فأبرزت مسؤولية امراء الموصل تجاه السلطان السلجوقي ومدى التزامهم بشروط الاقطاع واوضحت موقفهم من الصراع القائم حول العرش السلجوقي ، كما تحدثت عن المواقف السياسية التي اتخذها بعض هؤلاء الامراء من السلطان السلجوقي ومجاهرتهم بالعصيان ٠ وفي الفصل الثاني عالجت العلاقات بين امراء الموصل وخلفاء الدولة العباسية فأوضحت ان نظرة المسلمين الى الخلافة وتمسكهم بسلطانها الروحي كان الدافع الحقيقي لتشبث الحكام والامراء المسلمين بأهداب الخلافة سعيا وراء الحصول على تأييدها باعتبار ان الخليفة كان يمثل على الرغم من ضعف نفوذه السياسي مصدر القوة الروحية للمسلمين ، وقد ساهمت الموصل ابان هذه الفترة في الصراع بين الخلافة واعدائها ، فوقف ولاتها الى جانب الخليفة وحارب بعضهم الخارجين على طاعته ، كذلك ابرزت دور البرسقي في قتال دبيس بن صدقة الذي حاول مهاجمة بغداد ٠

الموصل في هذه المرحلة بغض النظر عما رافقها من مواقف سلبية في بعض الاحيان كان دورا رائدا في حركة الجهاد المبكر وحجر الاساس لانتصارات عظيمة حققها فيما بعد زنكى وخلفائه من بعده ٠

اما الباب الرابع فقد حاولت تصوير جانب من حضارة الموصل في العصر السلجوقي بما في ذلك نظم الحكم والادارة تصويرا اقرب الى الواقع على الرغم من قلة المعلومات التي زودتنا بها المصادر العربية حول طبيعة حكم الامراء السلاجقة والمؤسسات الادارية التي اوجدها العهد الجديد ٠ ويرجع سكوت المصادر عن الحديث في هذا الموضوع الى تركيزها على الاحداث السياسية الخطيرة التي رافقت تلك الفترة من تاريخ الموصل والتي استقطبت اهتمام المؤرخين بصورة عامة ٠ وقد اقتصرت حديثي في مجال نظم الادارة والحكم على توضيح ما كان يتمتع به امير الموصل من صلاحيات وسلطات في ادارة البلاد وما يتوجب عليه من التزامات مالية وعسكرية تجاه السلطان السلجوقي ، واستعرضت سياسته العسكرية وما كان يقوم به من توزيع الاقطاعات على امراء الجند وحرصه على تنمية قوته العسكرية للذب عن امارته من جهة والتوسع على حساب القوى المجاورة من جهة اخرى ٠ كما حاولت اعطاء صورة واضحة المعالم عن طبيعة المناصب الكبيرة في الامارة كالدزدار او مستحفظ القلعة الذي كان ينوب عن الامير في حالة غيابه ، وعن منصب الوزارة واهميته وامير حاجب ، والواقع ان نظم الحكم التي جرى عليها حكام الموصل في هذه المرحلة لا تعدو ان تكون في واقع الامر نظما سلجوقية ، ومن هذا المنطلق تمكنت من القاء الضوء على طبيعة هذه المناصب ٠ وأوليت موضوع الجيش وما يتصل به من تسليح وتنظيم وتكتيك اهتماما خاصا ، واتضح لنا من هذه الدراسة ان هذه النظم والاساليب كانت تتبع النظام السلجوقي بأعتبار ان حكام الموصل يمثلون الطبقة العسكرية اذ كان يتوفر في اختيارهم ان يكونوا من كبار القادة العاملين في الجيش

وعالجت في الفصل الثالث العلاقات مع القوى العربية والاسلامية المجاورة، مؤكدا على نشاط ولاة الموصل السياسي في المنطقة وسعيهم لفرض سيطرتهم على امراء الاطراف بأسم السلطان السلجوقي ، وقد اتاح لهم دورهم القيادي لحركة الجهاد ضد الصليبيين فرض هيبتهم على امراء وملوك المدن المنتشرة في الجزيرة وديار بكر • وعنيت بصفة خاصة بالعلاقات مع حلب ، وموقف هذه الامارة من الحركة الصليبية وانتهيت الى ابراز اهمية نجاح البرسقى في ضم حلب الى الموصل في سنة ٥١٨هـ وتأثير ذلك على حركة الجهاد ضد الفرنج •

اما الباب الثالث فيتضمن دراسة حول العلاقات مع القوى الصليبية، ابرزت فيها دور الموصل في هذه المرحلة الخطيرة في التاريخ الاسلامي ، وتتبعت حركة الجهاد المبكر الذي قاده امراء الموصل منذ الايام الاولى لوصول الحملة الصليبية الاولى الى مشارف الشام والجزيرة ، وجهودهم في ارساء دعائم الوحدة بين الامارات العربية والاسلامية من اجل الوقوف جبهة متحدة في وجه الغزو الصليبي مؤكدا ان عبء التصدي للخطر الصليبي وقع على الموصل باعتبارها اكبر الامارات في شمال الجزيرة من جهة ولان أمراءها كانوا يمثلون حلقة الوصل بين السلطان السلجوقي والامارات الاسلامية في اقليم الجزيرة من جهة ثانية ، فأصبح الاسهام في حركة الجهاد شرطا اساسيا عند توليه امارة الموصل ، وقد اوليت حملة كربوقا على انطاكية عناية خاصة مفندا ما زعمته الروايات الصليبية ومؤرخو الغرب المحدثين من ان تلك الحملة قد ساهم بأعدادها الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي وانها ضمت عساكر ارسلها السلطان من بلاد فارس • واوضحت ان هذه المزاعم هدفها اعطاء انتصار الصليبيين امام انطاكية حجما اكبر من حجمه الطبيعي ومحاولة لدفع اوربا على ارسال المزيد من الحملات الى المشرق من جهة ورفع معنوية الصليبيين في الشام من جهة اخرى • وخلصت الى القول بأن دور امارة

السلجوقي فطبقوا في بلادهم ما سبق ان عرفوه من هذه النظم العسكرية في الدولة السلجوقية .

ولم يفتني ان اتعرض لدراسة بعض مظاهر الحضارة في الموصل بقدر ما استطعت استنباطه من المصادر وما وصل الينا من التراث السلجوقي الفني في الموصل فتحدثت عن المنشآت العسكرية والدينية وتناولت الحياة الاقتصادية وأوليت الفنون والصناعات اهتماما خاصا ، واختتمت هذا الباب بالحديث عن الحركة العلمية والثقافية في الموصل خلال حكم الولاة السلاجقة .

تحليل لأهم مصادر الرسالة :

تنوعت المصادر التي اعتمدت عليها في دراسة هذه المرحلة من تاريخ الموصل في العصر السلجوقي تنوعا تشهد به القائمة المثبتة في نهاية البحث ، ويرجع ذلك الى طبيعة الموضوعات التي اشتملت عليها هذه الدراسة ، وهي موضوعات تتصل بسلاجقة ايران والعراق من جهة ، ووضع الخلافة العباسية في نهاية القرن الخامس ومطلع القرن السادس الهجري من جهة ثانية ، كما تتصل بالصراع القائم بين المسلمين والصليبيين على ارض الجزيرة وبلاد الشام مع وصول الطلائع الاولى للحملة الصليبية الاولى . فأعتمدت اعتمادا خاصا في تاريخ الاحداث السلجوقية على المصادر الفارسية . هذا الى جانب عدد كبير من المصادر العربية التي عالجت احداث التاريخ الاسلامي العام، ومما يزيد في قيمة بعض هذه المصادر العربية معاصرتها للاحداث وقرب البعض الاخر نسبيا من الفترة التي نحن بصدد دراستها اما ما يتعلق بالحملة الصليبية الاولى ودور امارة الموصل في حركة الجهاد الاسلامي فقد اعتمدت على بعض المصادر اللاتينية والسريانية والارمنية والبيزنطية دون الاقلال من قيمة المصادر العربية المعاصرة او القريبة من الاحداث .

فمن المصادر الفارسية التي سلطت الاضواء على الصلات السياسية بين السلاجقة والغزنويين يأتي كتاب تاريخ مسعودي المعروف بتاريخ البيهقي في مقدمتها[٥] ، وتتركز اهمية هذا المصدر الى ان مؤلفه كان واحدا من كبار الموظفين الذين يقومون بتصريف شؤون الدولة الغزنوية ، فقد شغل منصب نائب رئيس ديوان الرسائل في عهد السلطان مسعود الغزنوي ، فأتاح له ذلك فرصة التعرف على ما كان يجري في بلاط السلطان الغزنوي ، وواكب الاحداث التي وقعت بين السلاجقة والغزنويين وقد ضمن كتابه هذا عددا من الوثائق الرسمية التي كانت تدخل في حوزته بوصفه الكاتب المسؤول عن نسخها ثم عن حفظها ، وتاريخ البيهقي في الواقع جزء من سفر كبير يقع في ثلاثين جزءا ، وللمؤلف عدا تاريخ المعروف بأسمه كتب اخرى منها : كتاب (زينة الكتاب) و (مقامات ابي نصر مشكان) رئيس ديوان الرسائل في عهد السلطان محمود الغزنوي[٦] .

ويلي كتاب البيهقي مصدر فارسي اخر لا غنى للباحث في تاريخ السلاجقة عنه ، واعني به كتاب راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية تأليف محمد بن علي بن سليمان الراوندي[٧] ، المتوفى سنة ٦٠١هـ ، وقد امدنا هذا الكتاب بمعلومات غاية في الاهمية عن قيام الدولة السلجوقية وعصر السلاطين العظام كما اورد تفصيلات دقيقة عن علاقات

---

(٥) ابو الفضل محمد بن حسين البيهقي المتوفى سنة ٤٧٠هـ ، وقد ترجم الكتاب الى العربية الدكتور يحيى الخشاب والاستاذ صادق نشأت مصر ١٩٥٦

(٦) تاريخ البيهقي المقدمة ص٥-١١ ، دائرة المعارف الاسلامية مادة بيهق ص١١ ج .

(٧) نقله العربية الدكتور عبدالنعيم حسنين والاستاذ ابراهيم امين الشواربي والدكتور فؤاد الصياد .

السلاجقة بالقوى الاسلامية المجاورة ثم كتاب : العراضة في الحكاية السلجوقية لمحمد بن عبدالله النظامي الحسيني اليزدي المتوفى سنة ٧٤٣هـ وهو احد مختصرات كتاب راحة الصدور وقد تضمن اخبار عن اصل السلاجقة وموطنهم الاول ثم هجرتهم الى بلاد ما وراء النهر وبداية اتصالهم بالخلافة العباسية ، كما تناول اخبار الصراع بين السلاجقة بعد وفاة ملكشاة وقد اخذت من المعلومات التي اوردها عن علاقات السلاجقة بالخلافة العباسية . كما اعتمدت على كتاب جهار مقالة لاحمد بن عمر بن علي نظامي عروضي سمرقندي في الفصل الخاص ينظم الحكم والادارة في الموصل خلال العصر السلجوقي .

ومن المصادر العربية الرئيسية التي اهتمت بالتاريخ العام الاسلامي وعاصرت او على الاقل صنفت في عهد قريب من احداث الفترة التي نحن بصدد دراستها ، كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لمؤلفه عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي المعروف بأبن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ وقد أمدني بمعلومات وافية عن تاريخ السلاجقة خصوصا ما يتعلق بأمر المكاتبات عرضها البساسيري على الخليفة العباسي القائم بامر الله والسلطان طغرلبك بين طغرلبك وبين قريش بن بدران العقيلي والبساسيري والشروط التي مقابل اعادة الخليفة الى بغداد . كما اورد ابن الجوزي تفصيلات دقيقة وغاية في الاهمية عن العلاقات بين السلاجقة والقوى المجاورة واخبار الصراع الذي اعقب وفاة ملكشاه ودور امراء الموصل في هذا الصراع ، بالاضافة الى انه تناول بايجاز الحروب بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام .

ويعتبر كتاب الكامل في التاريخ للمؤرخ ابن الاثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٠هـ من أهم المصادر الرئيسية التي اعتمدت عليها في دراسة عصر ولاة السلاجقة فهو من أقيم وأهم المصادر العربية في التاريخ العام . فقد

تجلت فيه مواهب أبن الاثير النادرة ويتمثل ذلك في عرضه للحقائق وجعلها متماسكة مقبولة[٨] ، كما حرص ابن الاثير على حفظ التوازن بين الاحداث في مختلف انحاء العالم الاسلامي وعندما يقترب من عصره يحاول تفصيل الاحداث التاريخية دون ان يخل بنسبة المادة التي يوردها[٩] • وكتاب الكامل من أوثق المصادر التي ارخت لبلاد الموصل والجزيرة وأدقها، ويعتبر ابن الاثير حجة في معظم ما رواه عن اخبارها ، فأورد من التفاصيل ما يندر ان نلقاه في مصنف اخر ، فأبن الاثير ينتمي الى احدى الاسر العريقة في الموصل شغل افرادها مناصب رفيعة في العهد الاثابكي الذي تلا حكم الولاة السلاجقة ، وقد اورد معلومات شاملة عن الموصل بعد سقوط دولة بني عقيل وانتقال الحكم الى السلاجقة ، فسجل صورة واضحة المعالم للعلاقات بين الموصل والقوى الاسلامية في الجزيرة وبلاد الشام ، كما تناول العلاقات مع السلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين وأمدنا بمعلومات دقيقة عن طبيعة هذه العلاقات ، وتتبع ابن الاثير اخبار الصراع مع الصليبيين بعناية فائقة وابرز دور أمراء الموصل في هذا الصراع ، وجهودهم في توحيد الجبهة الاسلامية • الا انه لم يتعرض للنواحي الادارية والتنظيمات العسكرية الا نادرا ولهذا جاء تصويره الضمني لنظام الحكم في الموصل وطبيعة المؤسسات الادارية والعسكرية شاحبا لا وضوح فيه ، في حين نراه لا يبخل بايراد مثل هذه التفاصيل عن نظام الحكم في العصر الاتابكي • وقد افرد ابن الاثير كتابا خاصا عن الدولة الاتاكية في الموصل اسماه (التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل) وهو تاريخ يمتاز بتخصصه الموضوعي الذي يتيح لمؤلفه التوسع في سرد اخبار الاسرة الحاكمة العامة والخاصة ، واهدى كتابه هذا الى الملك

(٨) العريني ، مؤرخو الحروب الصليبية ص٢٠٧

(٩) سالم ، التاريخ المؤرخون العرب طبعة مصر ١٩٦٧ ص١٠٣ .

القاهر عزالدين مسعود (٦٠٧هـ ـ ٦١٥هـ) اعترافا بفضل اسلافه على اسرته ، وليكون دستورا يهتدي به الملك القاهر ويسير على نهج ابائه ويقتدي بهم[١٠] ، ويتضمن هذا الكتاب عرضا تاريخيا مفصلا عن دولة الاتابكة في الموصل منذ ان اسسها عمادالدين زنكي ٥٢١هـ حتى وفاة الملك نورالدين ارسلان شاه سنة ٦٠٧هـ وقد تناول احداث هذه الفترة بتفصيل شديد ، ومع انه اهتم بنشأة عمادالدين زنكي في كنف امراء الموصل الا انه استعرض هذه الفترة بايجاز شديد ولم يشر الا الى الاحداث التي لها صلة بعمادالدين زنكي .

كما اعتمدت على كتاب تاريخ دولة آل سلجوق من انشاء العمادالكاتب الاصفهاني المتوفى في سنة ٥٩٧هـ ، وقد ضمن كتابه هذا معلومات هامة عن السلاجقة بحكم انتمائه الى اسرة تولى كثير من افرادها وظائف هامة في الدولة السلجوقية وفي ديوان الخلافة العباسية . ثم اتيح للعماد ان يتلقى علومه في الدراسة النظامية ببغداد ، واسندت اليه فيما بعد وظيفة ادارية في واسط بالعراق ، وقد حملته صلته هذه على تدوين تاريخ السلاجقة في مؤلف خاص[١١] . فألف كتاب : نصرة الفطرة وعصرة الفطرة في اخبار الدولة السلجوقية ، نقل معظم مادته عن الوزير الفارسي انوشيروان المتوفى سنة ٥٣١هـ ، وقد تناول القسم الاخير من هذا الكتاب مذكرات العماد الشخصية الى ان غادر العراق في سنة ٥٦٢هـ ، وهي السنة التي توقف عندها عن الكتابة في تاريخ السلاجقة ، وقد قام الفتح بن علي الاصفهاني المعروف بالبنداري فيما بعد باختصار الكتاب الذي عرف بتاريخ دولة

---

(١٠) طليعات ، ابن الاثير الجزري المؤرخ مصر ١٩٦٩ ص٧٨-٧٩ .

(١١) محمد حلمي احمد : مقدمة كتاب الروضتين ص٢٧

(السيرة المؤيدية)[١٤] لهبة الله الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٠هـ ، وقد تضمن هذا الكتاب معلومات هامة لا نجدها في مراجع اخرى ، عن نشاط الدعوة الفاطمية في بلاد العراق وفارس في النصف الاول من القرن الخامس الهجري، وتنحصر اهمية هذا المصدر في ان مؤلفه كان احد دعاة الفاطميين في العراق وفارس ، ثم تولى بعد ذلك منصب داعي الدعاة بمصر بعد رحيله اليها في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي . وقد لعب المؤيد في الدين هذا دورا بارزا في نشر الدعوة الفاطمية بين صفوف الجند من الديلم والاتراك ، وقد نجح في استمالة امراء بني عقيل في الموصل ، كما ادخل بعض امراء بني بويه في الدعوة وامده بالمال والسلاح والرجال للقضاء على الخلافةالعباسية في بغداد . وتمكن من استمالة ابراهيم ينال اخو طغرلبك كما اثار المشاكل في وجه السلطان السلجوقي[١٥] .

ومن المصادر التاريخية التي فصلت تصوير العلاقات بين الموصل وحلب فأن كتاب زبدة الحلب في تاريخ حلب لكمال الدين ابو القاسم عمر المعروف بأبن العديم المتوفى سنة ٦٦٠هـ يوضع في الصدارة ، وترجع اهمية الكتاب الى ان المؤلف اورد تفاصيل دقيقة عن علاقات مملكة حلب بالقوى المجاورة ومع الموصل بوجه خاص كما امدني بمعلومات هامة عن الحروب التي خاضها المسلمون ضد الفرنج في بلاد الشام وكشف عن حقيقة موقف حسام الدين تمرتاش من حصار الصليبيين لحلب ودور البرسقي في انقاذ المدينة في سنة ٥١٨هـ . واورد نص الحديث الذي دار بين تمرتاش وبين وفد حلب الذين

---

(١٤) قام الدكتور محمد كامل حسين بتحقيق هذا الكتاب ونشره في سنة ١٩٤٩ : بأسم (سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة) .

(١٥) الخالدي ، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري بغداد ١٩٦٩ ، ص ح و ط

آل سلجوق[12] . وقد امدني الكتاب بمعلومات مهمة جدا عن العلاقات بين السلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين ، واخبار الصراع بين خلفاء ملكشاه ودور أمراء الاطراف في ذلك الصراع ، كما انه اورد معلومات مهمة عن مصرع البرسقي في الموصل في سنة ٥٢٠هـ ، وعن علاقات الموصل مع اتابكية دمشق وبلاد الشام بصورة عامة تبرز أهمية كتاب ذيل تاريخ دمشق لابي يعلى بن حمزة القلانسي المتوفى سنة ٥٥٥هـ ، ذلك ان مؤلفه بالاضافة الى معاصرته لاحداث هذه المرحلة كان من مواطني دمشق المقيمين بها ومن رجالها الرسميين ، فقد تولى رئاسة ديوان دمشق مرتين ، فجاءت معلوماته عنها دقيقة لا غنى للباحث في التاريخ الاسلامي عنها ، فقد حرص على ان يكون دقيقا وموضوعيا في كل ما تناوله[13] ولم يقتصر ابن القلانسي على سرد الاحداث التي تتعلق بدمشق وحدها بل تتبع اخبار الصراع بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام وأكد على دور طغتكين في الجهاد ضد الفرنج وتعاونه مع امراء الاطراف ، كما انه رفع عنه تهمة التحريض على قتل الامير مودود بدمشق سنة ٥٠٧هـ ، وتناول العلاقات بين الفاطميين وأمراء الشام عامة ودمشق بوجه خاص ، وعنى باخبار الصراع بين السلاجقة بعد وفاة ملكشاه ، وأورد نص منشور السلطان محمد بتوليه طغتكين اتابك دمشق ، فأمدنا بذلك بمعلومات هامة عن طبيعة الاقطاع في العصر السلجوقي .

ومن بين المصادر الهامة التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة كتاب

---

(١٢) العريني ، مؤرخو الحروب الصليبية ص٢٤١ ، محمد حلمي احمد : مقدمة كتاب الروضتين ص٢٥ .

(١٣) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص٤٧٦ـ العريني ، مؤرخو الحروب الصليبية ص٢٠٣ .

طلبوا اليه سرعة التوجه الى حلب وانقاذها من الفرنج • وللمؤلف كتاب اخر عنوانه : بغية الطلب في تاريخ حلب ، مادته تتشابه في معظم الاحيان مع ما ورد في زبدة الحلب ، الا انه يذكر احيانا رواية تخالف او تتناقض معذكره في زبدة الحلب ويتمثل ذلك في حديثه عن حصار الصليبيين لحلب في سنة ٥١٨هـ ، حيث اورد في بغية الطلب ان تمرتاش غادر حلب بعد ان بلغه وفاة اخيه سليمان بن ايلغازي[١٦] ، في حين نجده يذكر في زبدة الحلب ان تمرتاش رحل عن المدينة لطلب النجدة من اخيه في ماردين ، بعد ان شعر بتهديد الفرنج ونقضهم للهدنة[١٧] ، ويجدر بنا التنويه بالمادة التاريخية الغزيرة التي امدنا بها ابن العديم عن حلب بعد خضوعها للامير اقسنقر البرسقي فقد ذكر اسماء نوابه في المدينة بعد رحيله عنها الى ان اناب بها ولده عزالدين مسعود •

ومن جملة المصادر الهامة التي امدتني بالكثير من المادة العلمية لهذا البحث كتاب : مرآة الزمان في تاريخ الاعيان لشمس الدين ابي المظفر يوسف التركي الشهير بسبط ابن الجوزي الذي ولد ببغداد في عام ٥٨٢هـ ، وتلقى علومه بها ثم عمل فيما بعد مدرسا وكاتبا في مدينة دمشق وكتابة تأريخ جامع من النوع المعروف بالتاريخ العام او العالمي ، يبدأ فيه منذ بدء الخليقة وينتهي بعام ٦٥٣هـ أي قبل وفاته بعام واحد ، ويتضمن الكتاب اخبارا هامة تتعلق بجوانب من سير السلاطين وذكر الحروب التي نشبت بين افراد البيت السلجوقي الحاكم بعد وفاة ملكشاه ، وفيه يكثر النقل من كتابات الفارقي ، وابن القلانسي وابن الاثير ، وقد تعرض باختصار للمعارك التي

---

(١٦) منتخبات من بغية الطلب في تاريخ حلب ـ مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية جـ٣ ص٧١٧ •

(١٧) زبدة الحلب جـ٢ ص٢٢١ـ٢٢٢ •

خاضها السلاجقة ضد الفرنج في بلاد الشام وروى بعض الاخبار عن الصراع بين جكرمش وجاولي سفاوه مؤكدا على جكرمش توفى في الموصـل متأثرا بجراحه اثناء محاربته لجاولي فخالف بذلك ما اورده معظم المؤرخين الذين اكدوا ان جكرمش كان قد وقع في أسر جاولى ثم اخرج فيما بعد ميتا من الجب الذي وضع فيـه •

وبالاضافة الى هذه المصادر التي ذكرتها هناك مصادر اخرى كثيرة تأتي في الدرجة الثانية من الاهمية نذكر منها كتاب تاريخ آمد وميافارقين للفارقي المتوفى سنة ٥٧٢هـ الذي تضمن معلومات هامة عن أمراء ديار بكـر عـن الاراتقة وغيرهم • وكتاب الاعلاق الخطيرة ـ الجزء الخاص بالجزيرة ـ لعزالدين ابن شداد المتوفى سنة ٦٨٤هـ وتعتبر اخباره متممة لمـا قدمـه القارقي • وكتاب اخبار مصر لابن ميسر المتوفى سنة ٦٧٧هـ ومرآة الجنان لليافعي المتوفى سنة ٦٧٨هـ والمختصر في اخبار البشر لابي الفدا المتوفـى سنة ٧٣٢هـ والبداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ وكتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ ت٥٨٤هـ ، وكتاب العبر لابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ، والحوادث الجامعة لابن الفوطى ت٧٣٢هـ ، وتاريخ مختصر الدول لابـن العبري ت٦٨٤هـ ، ودول الاسلام للذهبي ت٧٤٨هـ ولا تخلو هذه المصادر من روايات لها اهميتها لموضوع البحث ، أفدت منها في كثير من فصـول الرسـالة •

على انني اعتمدت الى جانب ما سبق ان ذكرته من مصادر مطبوعة على مصادر عربية مخطوطة من اهمها : كتاب عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان لبدرالدين بن محمد بن محمود المعروف بالعيني ت٨٥٥هـ وقـد تضمـن معلومات هامة عن الصراع بين السلاجقة بعد وفاة ملكشاه • والحروب التي دارت بين بركياروق وعمه تاج الدولة تتش ، وبين بركياروق وخاله اسماعيل

ابن ياقوتي ، وتضمنت المخطوطة اخبارا مفصلة عن اسهام ولاة الموصل في المعارك التي دارت بين اولاد ملكشاه ، الا ان المؤلف ردد في مصنفه الروايات التي اوردها من سبقه من المؤرخين كأبن الجوزي وابن القلانسي وابن الاثير، وتاريخ بيبرس ، ولكنه اخطأ في سرد حوادث سنة ٥١١هـ عندما ذكر ان البرسقى سار الى حلب لانتزاعها من ياروقتاش فلم يظفر بشيء وعاد الى الموصل ، والواقع ان البرسقى كان قد عزل عن الموصل في اوائل سنة ٥٠٩هـ واقام بالرحبة ثم اعيد الى امارة الموصل بعد اقصاء جيوش بك سنة ٥١٥هـ ومنها كتاب تاريخ الدول والملوك للمؤرخ ناصر الدين محمد المعروف بأبن الفرات ت٨٠٧هـ الذي امدني بمعلومات مهمة تتعلق باخبار السلاجقة وعلاقاتهم بالقوى المجاورة ، وقد اهتم بوجه خاص بتتبع اخبار الموصل في هذه المرحلة فتعرض للحديث عن عزل جاولي سنة ٥٠٢هـ وحصار مودود للموصل واورد معلومات مفصلة عن اقتحام عساكر السلطان للموصل والقضاء على حكم جاولي . كما تعرض ابن الفرات لذكر الدور الذي لعبه جيوش بك في تحريض الملك مسعود ضد اخيه السلطان محمود بشيء من التفصيل .

وتعتبر مخطوطة نهاية الارب للنويري على الرغم من اعتماد مؤلفها على المصنفات التاريخية التي سبق الاشارة اليها من اهم المصادر التي امدتني بمعلومات عن العلاقات مع الصليبيين ، وحملة كربوقا على انطاكية عام ٤٩١هـ حيث القى المؤلف تبعة التفكك الذي اصاب المعسكر الاسلامي على السياسة التي اتبعها كربوقا مع امراء الاطراف وهناك مصدرا اخر مخطوط لا يقل اهمية عن المصادر السابقة وهو : ملخص تاريخ الاسلام لشمس الدين محمد ابو الخير المعروف بالجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ ، وقد تناول اخبار الموصل من خلال اشتراك ولاتها في احداث الصراع بين السلاطين السلاجقة ومن خلال دورهم في الحروب الصليبية الا انه اغفل دور جكرمش

في موقعة حران التي انهزم فيها الفرنج سنة ٤٩٧ھ ، وركز حديثه على سقمان الإرتقي فقط .

ومن المخطوطات التي اعتمدت عليها ايضا : التاريخ المظفري لابراهيم بن عبدالله ابن أبي الدم الحموي المتوفى سنة ٦٤٢ھ ، وقد افدت من المعلومات التي اوردها المؤلف عن العلاقات بين الموصل وحلب في عصر عزالدين مسعود . اما المخطوطات التي تليها في الأهمية باعتبارها نقلت من المصادر التاريخية السابقة فمنها مخطوطة ملخص تاريخ الاسلام لاحمد بن محمد بن علي الحلبي ، وهي تلخيص لكتاب تاريخ الاسلام الكبير للذهبي، وقد امدني بمعلومات عن موقف السلاجقة من خلفاء بني العباس وعن حركة ابي الحارث البساسيري . ومخطوطة تاريخ الدولة العباسية لمؤرخ مجهول، ومخطوطة تحفة الوزراء المنسوبة لابي منصور عبدالملك الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ھ .

اما ما يتعلق بالباب الذي افردته لدراسة دور الموصل في حركة الجهاد ضد الصليبيين فقد اعتمدت فيه على مجموعة من المصادر الأولية البيزنطية والسريانية واللاتينية والارمنية بالاضافة الى المصادر العربية التي تناولت الحديث عن الصراع بين المسلمين والفرنج في تلك الفترة . فمن المصادر البيزنطية اعتمدت على كتاب الالكسياد **Alexiad** الذي وضعته الاميرة آن كومنين **Ann Comnen** فيما يقرب من منتصف القرن الثاني عشر الميلادي ، ويشغل الفترة الممتدة من سنة ١٠٦٩م الى ١١١٨م ، وهو سجل حافل لحياة ابيها الامبراطور الكسيس كومنين ، وقد تضمن معلومات غاية في الاهمية عن الحملة الصليبية الاولى وكشفت حقيقة اطماع الصليبيين وجشعهم ، ومما يزيد في اهمية هذا الكتاب ان مؤلفته عاصرت الاحداث التي كتبت عنها وعاشت فيها ، كما كانت شاهدة عيان لجانب كبير منها ، ثم انها

اعتمدت على ما رواه لها بعض شهود العيان وعلى مذكراتها الخاصة ومذكرات زوجها[18] التي تركها لها[19] ، الا انه يؤخذ عليها غموض بعض الوقائع التي تعرضت لها وعدم دقة الاسماء التي شاركت في صنع الاحداث[20] ، وقد افدت من المعلومات التي اوردتها الكاتبة عن اوضاع الفرنج خلال حصارهم لانطاكية وما كشفته عن حقيقة نوايا بوهيمند في الاستئثار بحكم المدينة ودفاعها عن تاتيكوس ممثل الامبراطور والمبررات التي سجلتها لانسحابه من المعسكر الصليبي ، كما انها سلطت الاضواء على موقف ابيها من الصليبيين في انطاكية اثناء تعرضهم لحصار كربوقا[21] .

ومن اللاتين الذين اشتركوا في الحملة الصليبية الاولى وكانوا شهود عيان لاحداثها نذكر المؤرخ المجهول وفوشيه دي شارتر ، ويعتبر كتاب المؤرخ

---

(18) كانت الاميرة آن كومنين متزوجة من نقفور برينوس (جوزيف نسيم ، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى ص24 مصر 1967).

(19) جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ص23 ، 24 .

(20) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ1 ص465-466 ترجمة الباز العريني بيروت 1967 .

(21) اعتمدنا في هذا البحث على النسخة الانكليزية التي ترجمها عام 1969 .

المجهول[٢٢] من المصادر الاساسية في تاريخ الحملة الصليبية الاولى فيالفترة ما بين ١٠٩٥م و١٠٩٩م فقد كان مؤلفه شاهد عيان لمعظم المعارك التي دارت في تلك الفترة • ويكشف القسم الاول من هذا الكتاب عن دوافع الحركة الصليبية ، كما يتضمن تصويرا واقعيا لطبيعة العلاقات بين الصليبيين وبيزنطة[٢٣] • وواضح من سياق هذا التصوير ان المؤلف المجهول كان متحاملا على الامبراطور الكسيس كومنين اذ جعل منه عدوا لدود للصليبيين ولكن يؤخذ عليه انه اورد روايات بعيدة كل البعد عن الحقيقة يغلب عليها الطابع الخرافي في معرض حديثه عن حصار انطاكية وما تلا ذلك من دخول الفرنج المدينة ووصول كربوقا ، فقد نسب الى الاخير اشياء كثيرة ليس لها أي نصيب من الصحة املتها مخيلة المؤلف اما فوشيه دي شارتر Falcherde Charters فقد تحدث في مقدمة كتاب : Gesta Francorum Jerusalem عن المناقشات التي دارت في دير كلير موت (كليرمون) عام ١٩٠٥م كما اورد الخطبة التي القاها البابا اربان الثاني وشاهد معظم المعارك التي وقعت بين الفرنج والسلاجقة في اسيا الصغرى،

---

(٢٢) هو مؤرخ حملة بوهيمند النورماندي وقد وضع كتابه هذا باللاتينية تحت اسم :

Gesta Francorum et Alisrum Hieosolymi tan .

وظهرت عدة طبعات لهذا الكتاب اهمها :
Bongars Gesta Deiper francos
وقد اعتمدت على النسخة التي قام بترجمتها الى العربية الدكتور حسن حبشي عام ١٩٥٨ ونشرها تحت عنوان « اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس » .

(٢٣) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص٤٦٩ • جوزيف نسيم العرب والروم واللاتين ص٢ •

كومينين للفرنج اثناء مرورهم عبر اراضيهم وعند تقدمهم في اسيا الصغرى، والكتاب يروي احداث الحملة الصليبية الاولى وتاريخ مملكة بيت المقدس من عام ١١٠٣م الى ١١٢٠م[٢٥]، لذا فانه امدني بمعلومات قيمة عن المعارك التي خاضها مودود ضد الفرنج في بلادالشام • وهناك مصدر لاتيني اخـر له اهميته في تاريخ الحروب الصليبية للمؤرخ وليم الصوري :

الذي وضع كتابا بعنوان :

Historia Revum in Partibus Transmarinis Gestarum

الفه في الفترة من ١١٣٥م الى ١١٨٦م ، بعد ستين سنة مضت على الحملة الصليبية الاولى ، وقد شغل وليم الصوري وظيفة مطران صور في الفترة من ١١٣٠م الى ١١٨٦م ، وقد اتاح له ذلك الوقوف على معلومات هامة عن سير الاحداث في بلاد الشام واعطاء صورة واضحة عن خط سير الحملة الصليبية الاولى ونشاط الفرنج في بلاد الشام •

ومن المصادر السريانية اعتمدت على حولية لمؤرخ سرياني مجهـول ترجم تريتون منها الى الانجليزية ما يخص الحملة الصليبية الاولى والثانية ، ونشر الترجمة في الجريدة الاسيوية :

تحت عنـوان **Journal of the Royal Asiatic Sociaty, London 1933**

The Frist and secend Crusades from an Anonymoons Syriac chornicle .

والواقع أن هذه الحولية اشتملت على معلومات هامـة جـدا تتعلق بالمواقع الحربية التى حدثت بين المسلمين والصليبيين في الشام والجزيرة ،

---

(٢٥) جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللاتين ص١٠٢–١٣ •

ثم انفصل عن الجيش الصليبي الرئيسي قبل سقوط انطاكية سنة ١٠٩٨م ـ ٤٩١هـ ولازم بلدوين دي بويون الذي اقام بالرها واصبح خادما لكنيسته الخاصة واشترك في جميع المعارك التي خاضها بلدوين اثناء وجوده بالرها، وقد اتجه فوشيه دي شارتر اتجاها موضوعيا وليظهر عدوانه للبيزنطيين الا في القسم الثالث من كتابه واتسمت نظرته لمسيحيي الشرق بالمودة والانصاف[٢٤] ، وقد امدني بمعلومات هامة عن موقف امراء الموصل السلاجقة من امارة الرها ومحاولات جكرمش ومودود للاستيلاء عليها .

ومن المصادر اللاتينية الاخرى التي اعتمدت عليها : تاريخ بيت المقدس للمؤرخ البرت دكس **Albert d'Aix** وضعه باللاتينية تحت عنوان **Historia Hierosolymitana** ويعتبر هذا الكتاب من الوثائق الهامة التي كتبت عن الحملة الصليبية الاولى ومن بين المصادر التي استوفت الكتابة في تاريخ هذه الحملة ، وتظهر قيمته عند حديثه عن الحملات الشعبية التي سبقت الجيوش النظامية ، ويمتاز البرت دكس بعدم تحيزه للاتين ضد الاغريق واعترافه بالخدمات التي قدمها الامبراطور البيزنطي الكسيس

---

(٢٤) رنسيمان ، الحروب الصليبية جا ص٤٦٨ جوزيف نسيم يوسف العرب والروم واللاتين ـ٨ـ٩ كان بونجار اول من قام بنشره عن مخطوطة ناقصة تنتهي بعام ١١٢٤م ثم عاد ديشن نشره في طبعة ادق واوفى عن مخطوطة تنتهي باحداث عام ١١٢٧م ، ثم قام العالم مارثين بنشره من جديد في مجموعته المعروفة باسم الن ارد وزوده بمقدمة للمؤلف نفسه لم ترد في الطبعات السابقة وفي سنة ١٩١٣م نشره هاجينمار . والكتاب منشور ايضا في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية وقد اعتمدنا على طبعة لندن عام ١٩٤١ التي ترجمها :

وقد حاول كغيره من مؤرخي الغرب ان يجعل من انتصار الصليبيين على كربوقا انتصار على السلطة السلجوقية والخلافة العباسية ، وقد امدني بمعلومات غاية في الاهمية عن موقعة حران التي انهزم فيها الفرنج امام جكرمش ، وكشف القناع عن اطماع الصليبيين في الاستيلاء على الموصل نفسها . واورد تفصيلات هامة عن حملات مودود ضد امارة الرها وذكر ان امير الموصل كاد يستولي على المدينة بمساعدة جماعة من اهلها الارمن، كما تناول الحلف الذي عقده دبيس بن صدقة مع الصليبيين للاستيلاء على حلب سنة ٥١٨هـ . الا انه وقع في اخطاء كبيرة عندما خلط بين برسق بن برسق وبين اقسنقر البرسقي ، واكد هذا الخطأ بعد وفاة الاخير سنة ٥٢٠هـ اذ ذكر ان ولده برسق خلفه في حكم الموصل وحلب ، في حين ان الذي خلفه فيما اجمعت عليه المصادر هو ولده عزالدين مسعود .

اما المصدر السرياني الاخر الذي اشرت اليه في موضوع العلاقات مع الصليبيين فهو : ميخائيل السرياني Michel le Syrin المتوفى سنة ١١٩٩ ، وكان قد تولى منصب بطريرك اليعاقبة في انطاكية منذ سنة ١١٦٦م وحتى سنة ١١٩٩م ، وقام بكتابة حولياته في سنة ١١٩٦م وقدم معلومات لها قيمتها التاريخية عن الصلات القائمة بين مسلمي اسيا الصغرى وبين الامبراطورية البيزنطية والشام وامدنا بتفضيلات هامة عن مؤامرة الارمن في الرها واتفاقهم مع مودود ، الا انه اورد ذكر الاحداث السابقة على سنة ١١٠٧م مختصرة ، ولم تظهر قيمة كتابه الا فيما رواه عن الفترة المعاصرة له[٢٦] .

(٢٦) نشرت حولية ميخائيل السرياني بكاملها في طبعة شابو ، انظر :

والى جانب المصادر السريانية واللاتينية توجد المصادر الارمنية التي استفدت منها بعض المعلومات المتعلقة بالمواقع الحربية التي دارت بين المسلمين والصليبيين في هذه المرحلة ، ومن بينها كتاب متى الرهاوي . Mathieu de Edessa قد نشرت مقتطفات منه في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية : R. H. C. ARm.1 وتتضمن معلومات هامة عن امارة الرها وعلاقاتها بالقوى المجاورة في الجزيرة وشمالي الشام في الفترة الواقعة بين سنة ٩٥٢ و١٣٦٦م ويعتبر متى الرهاوي حجة في كل ما وقع من احداث في الرها وما يجاورها من البلاد[٢٧] فأمدنا بمعلومات دقيقة عن مؤمرة الارمن في الرها وطلبهم المساعدة من الامير مودود للتخلص من حكم الصليبيين وما تبع ذلك من قيام جوسلين بأخراجهم من المدينة .

والى جانب هذه المصادر الاصلية اعتمدت على عدد من المراجع الاوربية والعربية الحديثة التي اسهم في تصنيفها عدد من خيرة مؤرخي الحركة الصليبية نذكر منهم :

Grousset : Histoire des Croisades
Cahen : la Syrie du Nord, lepoque des Croisares
Setton : Ahistory of the Crusades
Stevenson : the Crusaders in the Fast
Oman : Histony of the Art of War in the Middle Ages

---

(٢٧) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ج١ ص٤٧٧–٤٧٨ – جوزيف نسيم ، العرب والروم واللاتين ص٢٥

وقد امدني بمعلومات هامة عـن النظـم العسـكرية السلجوقية وقدم صورة واضحة لاساليب البيلاجقة في القتال كما قارن بين اسلحتهم واسلحة الفرسان الصليبيين ونوه بمزايا الفارس التركي وقدرتـه على المناورة في القتال • اما كتاب اومان الخاص بفن الحرب في العصر الوسيط فقد زودنا بمعلومات هامة وتفصيلية عن بعض المواقـع الحربية التي وقعت بين المسلمين والفرنج في الشام موضحا ذلك بالخرائـط التي تبين مواقع الطرفين في ارض المعركة وقد اولى عناية خاصة بمعركـة انطاكية وحـران •

اما المراجع العربية الحديثة التي تناولت الحركة الصليبية فنذكر منها : كتاب الحركة الصليبية للدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور والحملة الصليبية الاولى للدكتور حسين حبشي • والشـرق الاوسـط والحروب الصليبيـة للدكتور الباز العريني وكتاب العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبيـة الاولى للدكتور جوزيف نسيم يوسف •

واخيرا أرى لزاما على ان اوجه عميق شكري وعرفاني الـى استاذي الفاضل الاستاذ الدكتور السيد عبدالعزيز سالم • الذي تلقيت العلم علـى يديه منذ المراحل الاولى لدراستي الجامعية وشجعني على مواصلة البحـث والتحصيـل ، ثـم كان لي شـرف مواصلة دراسـتي العليا في مرحلتـي الماجستير والدكتوراه تحت اشرافه ، فوجدت منه كل الاهتمام والرعايـة • ولم يضن علي بعلمه وارائه وتوجيهاته السديدة ، فجـزاه اللـه عن العلـم خير الجزاء ، كما ارجو ان اكون قد اديت بهذا البحث بعض ما كنت اهدف اليـه •

والله ولي التوفيـق •••

رشيد عبدالله الجميلي

الباب الاول

السلاجقة منذ ظهورهم حتى استيلائهم على الموصل في سنة ٤٨٩هـ

الفصـــل الاول

السلاجقة منذ ظهورهم حتى نهاية عصر طغرلبك

(١)

أ ـ ظهور السلاجقة في بلاد ما وراء النهر وانتقالهم الى خراسان

ب ـ الصراع بين السلاجقة والغزنويين •

(٢)

أ ـ قيام دولة السلاجقة في ٤٢٩هـ • واتصالهم بالخلافة العباسية ٤٣٢هـ

ب ـ دخول السلاجقة بغداد ٤٤٧هـ •

(٣)

أ ـ سياسة طغرلبك نحو الخلافة وموقفه من حركة البساسيري

ب ـ زواج طغرلبك من ابنة الخليفة القائم ووفاتـه •

١ ـ ظهور للسلاجقة في بلاد ما وراء النهر وانتقالهم الى اقليم خراسان

(١)

١ ـ ظهور السلاجقة في بلاد ما وراء النهر وانتقالهم الى اقليم خراسان

ينتسب السلاجقة الى قبيلة من القبائل التركية تعرف بأسم القنق[١]. اخذت في التدفق من موطنها الاصلي في سهل التركستان خلال القـرون الثاني والثالث والرابع للهجرة ، واستقرت اول الامر في بلاد ما وراء النهر، ويرجع المؤرخون اسباب هذه الهجرة الى قلة الموارد الاقتصادية وعجـز المنطقة عن امدادهم بالغذاء الكافي بعد تزايد اعدادهم من جهة واستـمرار الحروب مع القبائل الاخرى من جهة ثانيـة[٢] .

---

(١) الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية . نشر محمد اقبار ، لاهـور ١٩٣٣ ، ص٣ عبالمنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، مصر١٩٥٩ ص١٦ .

(٢) عبدالمنعم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ص١٦ ، حسين امين ، العراق في العصر السلجوقي ، بغداد ١٩٦٥ص٤٥ .
وعن مفهوم الترك ومواطنهم راجع بارتولد ، تاريخ التـرك في اسـيا الوسطى وسعد زغلول عبدالحميد ، الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ، مجلة كلية الاداب مجلد .١سنة ١٩٥٦

المساعدات العسكرية التي قدمها سلجوق بن دقاق للسامانيين حصل السلاجقة على موافقة هؤلاء بالمرور عبر اراضيهم والاستقرار قرب شواطىء نهر سيحون واتخذوا مدينة (جند)[7] قاعدة لهم[8] .

ولم يلبث سلجوق بن دقاق ان توفى في جند ، فأنتقلت الزعامة الى اكبر ابنائه اسرائيل[9] . وبعد زوال الدولة السامانية سنة ٣٨٩هـ ـ ٩٩٨م، توزعت املاكها بين القراخانيين والغزنويين ، فأستفاد السلاجقة من هذا التوزيع السياسي الجديد وعملوا على توسيع رقعة بلادهم ، فأخذوا يتنقلون بين مدينة نور بخارى[10] شتاء وسغد[11] صيفا [12] .

وكان السلاجقة يعيشون حياة يغلب عليها الطابع القبلي فلم يألفوا حياة المدن والاستقرار بل دأبوا على التنقل والارتحال طلبا للرزق وانتجاعا لمواطن

---

(٧) جند مدينة عظيمة في بلاد تركستان بينها وبين خوارزم عشرة ايام قريبة من نهر سيجون ياقوت ، معجم البلدان ج٢ص١٢٧ .

(٨) ابن الاثير ، الكامل ج٩ص٤٧٤ ، الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية٢ دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد ٢ مادة سلجوق ـ بارتولد : تاريخ الترك ص١٠٣/١٠٤ .

(٩) خلف سلجوق بن دقاق من الاولاد : ميكائيل وموسى ويبغو ارسلان الذي عرف باسم (اسرائيل) ، وخلف اسرائيل : قتلمش الذي تزعم سلاجقة الروم .
اما ميكائيل فقد لقى مصرعه في احدى الغارات التي شنها السلاجقة ضد الاتراك غير المسلمين ، وخلف من الاولاد : بيغوا وطغرلبك محمدا وجغري بك داود . انظر : ابن الاثير ، الكامل ج٩ص٤٧٤ ، ابو الفدا: المختصر في اخبار البشر ج٢ص١٧١ .

(١٠) نور بخاري : بلدة صغيرة بين بخاري وسمرقند (ابو الفدا : تقويم البلدان ص٤٨٤)

(١١) سغد ، وصغد : كورة من بلاد ماوراء النهر قصبتها سمرقند ، وقيل انهما صغدين صغد بخاري ، وصغد سمرقند (ياقوت ، ج٣ص٣٩٥ـ ٣٩٣)

(١٢) الراوندي راحة الصدور ص٤٥ ١

وقد عرفوا بالسلاجقة نسبة الى جدهم سلجوق بن دقاق[٣] ، وكـان دقاق هذا رجلا شهما صاحب رأي وتدبير وبعد وفاته انتقل الامر الى ولده سلجوق ، ففوض اليه ملك الترك (بيغو) امارة الجيش ،وأنعم عليه بلقب سوباشي[٤] ــ أي قائد الجيش ــ ولكن العلاقة بين سلجوق وبيغو لـم تلبث ان ساءت مما حمل سـلجوق على الرحيل مع قبيلته وانصاره الـى بلاد الاسلام حيث جاوروا السامانيين والخانيين والغزنويين[٥] . واعتنقوا الاسلام على المذهب السني الذي كان سائدا في تلك البلاد ، ويرجع الفصل الى سجلوق في توطيد كيان السلاجقة وتوحيدهم تحت زعامته وزعامـة ابنائه واحفاده من بعده ، ومنذ ذلك الحين عرف هؤلاء الذين قادهم سلجوق فيما يقرب من سنة ٣٧٥هـ بالسلاجقة[٦] .

وادى اعتناق السلاجقة للاسلام الى توطيـد علاقاتهم بالسامانيين ، الذين عهدوا اليهم عن ممتلكاتهم ضد غارات الاتراك غير المسلمين ، وبفضل

---

(٣) ورد اسم دقاق على صور مختلفة ، ففي اخبار الدولة السلجوقيـة للحسيني ورد (يقاق) وفي الكامل لابن الاثير (تقاق) ، وفي بقيـة المصادر (دقاق) ، ودقاق او يقاق كلمة تركية تعني القوس مـن الحديد ، انظر الحسيني ، ا بار الدولة السلجوقية ص١

(٤) ورد في الكامل لابن الاثير (ج٩ص٤٧٤) سباشي .

(٥) ذكر بعض المؤرخين ان سبب تغير سياسة ملك الترك بيغـو نحـو سلجوق يعود الى تحريض زوجة الملك التي دابت على اثارت زوجها وتخويفه من تعاظم نفوذ سلجوق وكثرة اتباعه فاغرته بقتله ، راجع : ابن الاثير ،الكامـل ج٩ص٤٧٤ الحسـيني ، اخبـار الدولـة السلجوقية ص٢ .
فاضل الخالدي ، الحياة السياسية في العراق في القـرن الخامـس

(٦) ابن الاثير ، الكامل ج٩ص٤٧٤ ، سلاجقة ايران والعراق ص١٧–١٨ .
الهجري ، بغداد ١٩٦٩ ص١٤٥

الكلأ ، فكانت جذور الحياة القبلية راسخة في اعماق نفوسهم مما أثـر في دولتهم وفي حاضرهم ومستقبلهم ، فأعتمد سلاطينهم اعتمادا كبيرا على القبائل التركية وكونوا من افرادها جيشا كامل العدة والعدد ، واصبحوا في فتـرة وجيزة قوة يخشى بأسها ويحسب حسابها ، فأثار ذلك مخاوف القـوى الاسلامية المجاورة فعملوا على الايقاع بهم[١٣] .

واستطاع السلاجقة بعد استقرارهم في بلاد ما وراء النهر ان يجهزوا أنفسهم بالاموال والعتاد وكان لتعاظم قوة السلاجقة هذه اثرها في نفس الغزنويين وادرك السلطان الغزنوي محمود بن سبكتكين مدى الخطر الذي يكمن وراء ازدياد قوة السلاجقة في بلاد ما وراء النهر وخشى ان يكونـوا شوكة في ظهره تشغله عن مواصلة جهاده لنشر الاسلام في ربوع الهنـد ، وكان السلاجقة آنذاك يواصلون غاراتهم على المناطق المجاورة لهم في محاولة لتوسيع منطقة نفوذهم في تلك البلاد[١٤] . وبادر اسرائيل (ارسلان) الى التحالف مع الامير علي تكين وكان من اعداء السلطان الغزنوي وتمكنا من التغلب على ايلك خان واقاما في بخارى[١٥] .

وفي سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م اتصل الخانيون بالسلطان محمود بـن سبكتكين الذي كان آنذاك مقيما بالقرب من نهر جيحون وحذروه من وجود السلاجقة قرب بلاده ومن تطلعهم الى الوثوب عليها وخوفوه من احتمال

---

(١٣) عبدالمنعم حسنين سلاجقة ايران والعراق ص١٨ــ١٩ .

(١٤) نفس المرجع ، سلاجقة ايران والعراق ص٢١ــ٢٣ ، الخالدي ،نظم الحكم في العراق ص١٤٨ــ١٤٩ .

(١٥) ابن الاثير ، الكامل ج٩ص٤٧٥ .

قيامهم بالاستيلاء على ممتلكاته اثناء غيابه في بلاد الهند ، في حين نصحه الملك القراخاني (قدرخان) بأن يستظهر بهم ويستعين بقوتهم[16] .

وما ان عبر السلطان محمود نهر جيحون حتى ولى ارسلان من سلجوق وحليفه على تكين الادبار ففرا من بخارى خوفا من لقائه وكان السلطان قد هاله كثرة عساكر السلاجقة وقوة شوكتهم ، فعمل على الايقاع بزعيمهم ارسلان بن سلجوق ، وفي سبيل ذلك عمد الى اصطناع الحيلة والدهاء وتمكن من القبض على ارسلان وولده قتلمش وعدد من كبار اصحابه ، وارسل ارسلان بن سلجوق الى الهند فسجن في قلعة هناك تعرف باسم (كالنجر) ، حيث امضى سبع سنوات جرت خلالها محاولة فاشلة لانقاذه من سجنه . وظل سجينا حتى توفى عام ٤٢٢هـ[17] ثم اسند السلاجقة قيادتهم الى ميكائيل بن سلجوق ، بعد غدر السلطان محمود بزعيمهم ارسلان (اسرائيل) وعزموا على طلب الثأر من الغزنويين ، واخذوا يصطنعون الحيطة والحذر ، ونجح ميكائيل في اقناع السلطان محمود بالسماح للسلاجقة بعبور نهر جيحون الى خراسان على ان يكون مقامهم بين (نسا) و (باورد)[18] .

---

(١٦) الراوندي ، راحة الصدور ص١٤٦-١٤٧ .

(١٧) نفس المصدر ، راحة الصدور ص٤٨-١٥١ ، ابن الاثير ، الكامل ج٩ص٤٧٥ .

(١٨) اليزدي ، العراضة في الحكاية السلجوقية ص٢٩، كرديزي ، زين الاخبار ص٦٧ نسا : مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان وبينها وبين مرو خمسة ايام (ياقوت ، ج٤ص٧٧٦)

بارود :من مدن خراسان المعروفة ، ويقال لها ايضا ابيورد واباورد الفدا : تقويم البلدان ص٤٤٥) .

وعلى الرغم من تحذير ارسلان الجاذب حاكم مدينة طوس للسلطان محمود في مغبة الموافقة على عبور السلاجقة ، الا انه سمح لهم بالعبور في عام ٤١٦هـ ، والواقع ان نجاح السلاجقة في الانتقال الى اقليم خراسان كان من عوامل تثبيت اقدامهم ودعم مركزهم في الاقليم المذكور ، فقد تهيأت لهم الفرصة لاقامة دولة قوية تستطيع الوقوف في وجه الغزنويين فيما بعد ، وكان ميكائيل يدرك تماما مدى قوة خصمه ومكانته في العالم الاسلامي نتيجة تأييد الخلافة العباسية له . لذلك تجنب الزعيم السلجوقي التورط في خوض المعركة مع السلطان محمود الا اذا كان واثقا من قوة السلاجقة وقدرتهم على تحقيق النصر ، فشرع في تدعيم قوته العسكرية استعدادا للانقضاض على الدولة الغزنوية واقتلاع جذورها من اقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر[١٩] . ولم يلبث سكان مدينتي (نسا) و (باورد) ان التمسوا من السلطان محمود العمل على ابعاد السلاجقة عن بلادهم ، فأوعز الى حاكم طوس بأجلائهم عن المنطقة ، فجرت عدة معارك بين الجانبين كان النصر فيها حليف السلاجقة ، مما اضطر السلطان محمود الى الخروج اليهم بنفسه في سنة ٤١٩هـ / ١٠٢٨م ودارت بينهما معركة عنيفة انهزم فيها السلاجقة ولاذوا ببلخان[٢٠] ودهستان[٢١] ، بعد ان فقدوا اربعة الاف من خيرة فرسانهم[٢٢] .

(١٩) عبدالمنعم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ص٢٥-٢٦ .

(٢٠) بلخان : مدينة من مدن خراسان تقع بالقرب من ابيورد ، ياقوت جـ١ ص٧١٣ .

(٢١) دهستان : بلد مشهور في طرف مازندران قرب خوارزم ، ياقوت جـ٢ ص٦٣٣ .

(٢٢) الراوندي ، راحة الصدور ص١٥٤ .

ثم اسند السلاجقة قيادتهم بعد هذه الهزيمة النكراء الى جغري بك داود وطغرلبك محمد ابني ميكائيل فبادرا للعمل على جمع شمل السلاجقة في جديد وتوحيد صفوفهم واعدادهم للقتال ، فأنتهزا فرصة وفاة السلطان محمود في سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م وعملا على توسيع رقعة اراضيهم وبسط نفوذهم على المناطق المجاورة ، فشمل ذلك كثيرا من انحاء خراسان[٢٣] ، ثم ارسلا الى سوري بن المعتز والي نيسابور ، يطلبان السماح للسلاجقة بالاقامة في اطراف هذه المدينة ، فرفض طلبهم وبادر بأبلاغ رسالتهم الى السلطان مسعود ، فأهتم الاخير بما ورد فيهما وادرك ما يترتب على انتقال السلاجقة من اخطار مباشرة تهدد الدولة الغزنوية ، فقرر الخروج لقتالهم وطردهم من البلاد ، واعد جيشا كبيرا لتحقيق هذا الهدف ، اتخذ لقيادته عشرة امراء وسيره لقتال السلاجقة فدارت بين الفريقين معركة ضارية استعمل السلاجقة فيها المكر والدهاء انتهت بهزيمة الغزنويين هزيمة نكراء وتفرقوا « ايدى سبأ »[٢٤] ، وبلغ قيمة ما استولى عليه السلاجقة في هذه المعركة عشرة ملايين من الدنانير من الالبسة والامتعة والدواب[٢٥] واستعد السلاجقة لقطف ثمار هذا النصر فعقدوا مجلسا ضم الاعيان والمقدمين والشيوخ ، واتخذوا قرارا بمراسلة السلطان مسعود ليعبروا عن ولائهم له ويطلبوا العفو منه ، وقد اثبت السلاجقة بذلك على مقدرتهم السياسية الفائقة فلم يأخذهم الغرور بعد انتصارهم الكبير على الغزنويين ، فأنفذوا الى السلطان مسعود شيخا من علماء بخارى امتاز بحسن الحديث

---

(٢٣) عبدالمنعم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ص٢٧ ؛ الخالدي ، نظم الحكم والحضارة في العراق في القرن الخامس الهجري ص١٥٥-١٥٦ .

(٢٤) البيهقي ، تاريخ البيهقي ص٥٢٠ .

(٢٥) الراوندي - راحة الصدور ص١٥٦ .

لينهي اليه رغبة السلاجقة في عقد الصلح معه والدخول في طاعته ، فأستجاب مسعود لرغبتهم ، واستقر الامر بعد ذلك على ان تعطى لبيغو وطغرل وداود ولايات : نسا وفراوه ودهستان ، وان تعطى لكل منهم خلعة ومنشور ولواء ، كما تقرر ايفاد القاضي ابي نصر العيني الى السلاجقة ليأخذ عليهم المواثيق بالوفاء للسلطان ، والزامهم بالاقتصار على هذه الولايات الثلاث ، واشترط السلطان كذلك على ان يحضر احد هؤلاء الزعماء الثلاثة الى الدركاه[٢٦] ليكون في خدمة السلطان بعد وصوله الى بلخ ، وتم توقيع الاتفاق ، وحررت الرسائل الى الزعماء السلاجقة ، وانعم السلطان على كل منهم بلقب (الدهقان)[٢٧] ، وخلع عليهم خلعة الولاة ، تشتمل الواحدة على قلنسوة ذات ركنين[٢٨] ، ولواء وحلة مطرزة وجواد وسرج وكمر[٢٩] من ذهب برسم التركمان وثلاثين ثوبا غير مخيطة لكل واحد منهم[٣٠] . وحصل السلاجقة بمقتضى هذا الصلح على اعتراف صريح من السلطان مسعود

---

(٢٦) الدركاه : جمعها دركاوات ، والدركاه لفظ فارسي يعني سراي الملك ، وقد استعمل هذا الاصطلاح في المصادر الملوكية بمعنى القضاء او السر المؤدي الى مدخل بناء كبير . راجع : محمد موسى هنداوي ، المعجم في اللغة الفارسية ص١٥١ ، عاشور ، العصر المالكي في مصر والشام ص٤١٦ .

(٢٧) الدهقان : لقب فارسي قديم بمعنى الشخص المسؤل امام الدولة بحمل الخراج بعد ضمانها وسلطته تشبه سلطة رئيس القبيلة .

(٢٨) ذكر البيهقي (ص٥٢٩) وابن الاثير (الكامل جـ٩ ص٤٧٨) ان السلاجقة كانوا يسخرون من رسول السلطان اذا خلوا لانفسهم ويدوسون القلنسوات ذات الركنين بأقدامهم .

(٢٩) الكمر : جمعه كمرات ، وهو لفظ فارسي معناه الحزام المفرغ من وسطه لوضع النقود والاشياء الثمينة (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٧ ص٣٣١) .

(٣٠) البيهقي ، تاريخ البيهقي ص٥٢٨

بنفوذهم ، مما كان له اثر واضح في ترسيخ اقدامهم في خراسان « واشتد بأسهم وازدادت قوتهم ولاحت عليهم امارات الملك ، وعلامات الحكم ومخايل السلطان »[31] .

واحس السلطان مسعود بعد عودته من بلاد الهند الى غزنة عام ٤٢٩هـ بأن السلاجقة باتوا يشكلون خطرا كبيرا على دولته ، فحاول اجلائهم عنها وكتب الى امير خراسان يأمره بالعمل على ابعاد السلاجقة ، ويبدوا ان امير خراسان كان يعلم بقوة السلاجقة وكثافة عساكرهم ، فتردد في تنفيذ امر السلطان ، وارسل اليه : « ان امر السلاجقة قد علا بحيث لا استطيع انا ولا غيري ان نقاومهم »[32] ، الا ان السلطان اصر على قتالهم واعتبر امير خراسان مقصرا في اداء واجبه ، وانه لا يصلح لهذه المهمة ، وارسل يهدده، فلم يجد امير خراسان بدا من الخروج للحرب فسار في قوة كبيرة في اخر شعبان من سنة ٤٢٩هـ ، واشتبك مع السلاجقة في معركة عنيفة على باب مدينة سرخس ، انتهت بانتصار السلاجقة[33] .

ا ــ قيام دولة السلاجقة وتطلعهم الى الخلافة العباسية

كان انتصار السلاجقة على الغزنويين في سنة ٤٢٩هـ ايذانا بأعلان قيام دولتهم فأندفعوا تحت قيادة طغرلبك نحو نيسابور فدخلوها بالامان ، وجلس طغرلبك على عرش مسعود في ذي القعدة من سنة ٤٢٩هـ[34] ولقب

---

(٣١) الراوندي ، راحة الصدور ص١٥٦ــ١٥٧ .

(٣٢) نفس المصدر راحة الصدور ص١٥٧

(٣٣) نفس المصدر راحة الصدور ص١٥٨ ذكر الحسيني (في اخبار الدولة السلجوقية ص٩) وابن الاثير (الكامل جـ٩ ص٤٨٠) ان هزيمة عساكر السلطان مسعود كانت في شعبان من سنة ٤٢٨هـ .

(٣٤) نفس المصدر ، راحة الصدور ص١٨٥ ــ البنداوي ، تاريخ دولة آل سلجوق ــ ص٦ .

بالسلطان المعظم ركن الدنيا والدين ابو طالب(٣٥) وأمر ان يخطب له على المنابر بأسم السلطان الأعظم ، وان تضرب النقود بأسمه ، وباشر مهامه كسلطان فعلي منذ سنة ٤٢٩هـ ولم يبق له سوى الحصول على اعتراف الخليفة العباسي وتفويض منه في حكم البلاد ليكسب حكمه صفة شرعية امام المسلمين(٣٦) .

والواقع ان قيام الدولة السلجوقية كان حدثا جديدا في تاريخ العالم الاسلامي ، اذ ما لبثت هذه الدولة الفتية ان لعبت دورا رئيسيا في توجيه الاحداث في منطقة الشرق الادنى ، ولم يمض وقت طويل حتى تم لها السيطرة على اجزاء كبيرة من العالم الاسلامي وعلى كثير من ممتلكات الروم البيزنطيين في اسيا الصغرى والمناطق المجاورة لايران(٣٧) .

وكان رد الفعل عنيفا لدى الغزنويين ، فقد هب السلطان مسعود مذعورا عند سماعه نبأ قيام الدولة السلجوقية واعتلاء طغرلبك عرشه في نيسابور . واندفع بقواته نحو خراسان لخوض معركة انتحارية ضد السلاجقة ، وتم اللقاء بين الفريقين في موضع يعرف بأسم : (دندانقان) في اقليم خراسان ، في اليوم الثاني من شهر رمضان سنة ٤٣١هـ ــ ١٠٣٩م وانتهى الامر بهزيمة السلطان مسعود هزيمة منكرة . وغنم السلاجقة ما لا حصر له من الذهب والفضة والملابس والدواب(٣٨) .

---

(٣٥) الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص٩ .

(٣٦) بارتولد ، الترك في اسيا الوسطى ص١٠٤ .

(٣٧) عبدالمنعم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ص٢٩ .

(٣٨) البيهقي ، ص٦٨٥ــ٦٩٥ ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٤٨٢ .

وواصل السلاجقة انتصاراتهم بعد معركة دندانقان ، واتفقوا على ان يكونوا جهة متحدة والا يدعوا للفرقة او التنازع سبيلا الى قلوبهم ، كما اكدوا اتفاقهم على تعيين طغرلبك قائدا اعلى لجيوشهم وسلطانا على دولتهم وان يدينوا له بالولاء ، ولم يكن طغرلبك هذا اكبر ابناء ميكائيل فقد كان اخوه جغري يكبره سنا ، الا ان طغرلبك كان يتمتع بشخصية قوية وذكاء حاد ، وشجاعة نادرة وتمسك شديد بالدين الحنيف ، فكان هذا سببا في التفاف الجند والقبائل حوله وانقيادهم اليه ، فصمم على تحقيق اهداف السلاجقة في بناء دولة قوية واسعة الارجاء ، فأستعان في تحقيق هذه الاهداف بأفراد اسرته وعمد الى تعيين كل واحد منهم واليا على احدى الولايات ، وسمح له في التوسع على حساب القوى المجاورة لحدود ولايته(٣٩) ، واتخذ طغرلبك مدينة الري عاصمة للدولة السلجوقية(٤٠) .

ولم يبق امام السلاجقة بعد ان اطمأنوا الى قوة مركزهم وتوطيد نفوذهم سوى اسباغ الصفة الرسمية لدولتهم الفتية واكساب حكمهم الصفة الشرعية ، فشرع في سنة ٤٣٢هـ ١٠٤٠م في الاتصال بالخليفة العباسي القائم بأمر الله للحصول على اعترافه بشرعية حكمهم للبلاد التي تقع تحت سيطرتهم والمناطق التي يسيطرون عليها مستقبلا واختار السلاجقة ابا اسحق الفقاعي رسولا منهم الى الخليفة العباسي يحمل اليه رسالة تتضمن تأكيد ولائهم للخليفة ورغبتهم في الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته ، وورد فيها : «اننا معشر آل سلجوق قوم اطعنا دائما الحضرة النبوية المقدسة واحببناها من

---

(٣٩) الراوندي ، راحة الصدور ص١٣٠ ، ١٦٥ ، ١٦٧ عبدالنعيم حسنين سلاجقة ايران والعراق ص٣١-٣٢ .
(٤٠) نفس المصدر ، راحة الصدور ص١٧١ .

صميم قلوبنا ، ولقد اجتهدنا دائما في غزو الكفار واعلان الجهاد وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة ، وكان لنا عم مقدم محترم بيننا اسمه اسرائيل بن سلجوق ، فقبض عليه يمين الدولة محمود بن سبكتكين بغير جرم او جناية وارسله الى قلعة كالنجر ببلاد الهند ، فبقى في اسره سبع سنوات حتى مات. واحتجز كذلك في القلاع الاخرى كثيرا من اهلنا واقاربنا ، فلما مات محمود وجلس في مكانه ابنه مسعود لم يقم على مصالح الرعية واشتغل باللهو والطرب ... فلا جرم اذا طلب منا اعيان خراسان ومشاهيرها ان نقوم على حمايتهم ، ولكن مسعودا وجه الينا جيشه فوقعت بيننا وبينه معارك تناوبنا بين كر وفر وهزيمة وظفر حتى ابتسم لنا الحظ الحسن فانحاز الينا اخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرنا بالغلبة بعونة الله عز وجل بفضل اقبالنا على الحضرة النبوية المقدسة ، وانكسر مسعود واصبح ذليلا ، وانكفا عليه وولى الادبار تاركا لنا الدولة والاقبال وشكرا لله على ما افاء علينا من فتح ونصر ، فنشرنا عدلنا وانصافنا على العباد وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد ، ونحن نرجو ان نكون في هذا الامر قد نهجنا وفقا لتعاليم الدين ولامر امير المؤمنين[41] .

وقد وجدت رسالة السلاجقة هذه الاستحسان لدى الخليفة العباسي في وقت كانت الامور ببغداد مضطربة ، فكثرت حركات الجند والاتراك

(٤١) الراوندي ، راحة الصدور ص١٦٦-١٦٧ .

من جهة وزادت هجمات البدو والعيارون[٤٢] على المدن والاسواق من جهة اخرى ، ولم يكن للخليفة القائم بأمر الله ولا للملك البويهي (جلال الدولة)[٤٣] أي سلطان ، فوجد الخليفة في السلاجقة قوة جديدة يمكن ان يكون لها اثرها الخطير في مجريات الامور في حاضرة الخلافة العباسية لو اصطنعها واستجاب لطلبهم ، فأظهر رغبته في التقرب اليهم ، وبادر بأيفاد قاضي القضاة ابا الحسن بن علي بن محمود الماوردي وهبة الله بن محمد

---

(٤٢) العيارون ادى سوء الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في العراق خلال الحكم البويهي في العراق الى ظهور حركة العيارين الذين انتشروا بكثرة ببغداد وركزوا هجماتهم على بيوت الاغنياء وكبار التجار واصحاب الشرط والمتنفذين (لزيادة المعلومات عن هذهالحركة راجع ، حسين امين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص٣١ـ ٣٤) .

(٤٣) هو الملك جلال الدولة ابو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ويرجع اصل البويهيين الى الديلم ، وبلاد الديلم هي المنطقة الواقعة بين طبرستان والجبال وجيلان وبحر الخزر كما تحتل جزء من اذربيجان وبلاد الران من جهة الغرب (الاصطخري ، المسالك والممالك ص١٢١ ، طبعة ٦١) ويرجع بعض المؤرخين نسبهم الى احد ملوك الفرس (ابن الطقطقي ، الفخري ص٢١٥) (ابن حسول: تفضيل الاتراك على سائر الاجناد ، استنبول ١٩٤٠ ، ص٣٥) في حين يرى اخرون انهم ينتسبون الى بني قبيلة ضبة العربية (ابن حسول : ص٣٤ـ٣٥) ، والواقع ان البويهيين من الديلم ولا صلة لهم بالعرب (حسين امين ، العراق في العصر السلجوقي ص٢٠) وقد استبدوا بالسلطة في بغداد منذ سنة ٣٣٤هـ وشاركوا الخلفاء العباسيين في مظاهر سيادتهم الدينية والسياسية (جمال الدين سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ص١٦٨ ، طبعة مصر ١٩٧٣) وقد اعتبر البويهيون ان العلويين احق بالخلافة من العباسيين وان هؤلاء لا يحق لهم السيادة على جميع العالم الاسلامي (الدوري : دراسات في العصور العباسية المتاخرة ، بغداد ١٩٤٥ ص٧٢ـ٧٣) .

المأمون الى السلطان طغرلبك في سنة ٤٣٥هـ فتوجها الى الري بصحبة ابي اسحق الفقاعي مبعوث السلاجقة الى دار الخلافة(٤٤) .

وامر الخليفة رسوله بالتقرب من طغرلبك واقناعه بالحضور الى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره ، وان ينقل اليه رغبته بعقد الصلح بين الزعيم السلجوقي والامير البويهي ابي كاليجار والملك جلال الدولة(٤٥) ، كما تضمنت الرسالة ايضا استياء الخليفة وعدم قبوله لما اقترفه اصحاب طغرلبك من فساد وامره بالاحسان الى الرعية وحمل الماوردي الخلع السلطانية التي منحها الخليفة العباس لطغرلبك مع كتاب التفويض بحكم البلاد(٤٦) ، وكان السلطان مقيما آنذاك بجرجان ، وما ان علم بوصول رسول الخليفة حتى خرج لاستقباله ، فلقيه على اربعة فراسخ اجلالالرسالة الخليفة(٤٧) .

وقد عبر السلاجقة عن سرورهم البالغ ، فخلعوا على الرسول ثلاثة عشر خلعة ، وتباهوا برسالة الخليفة وازدادوا بها قوة ورفعة(٤٨) . ورحب

---

(٤٤) الراوندي ، راحة الصدور ص١٦٦–١٦٧ ، الجوزجاني ، طبقات ناصري ص١٣٢ .

(٤٥) توفي جلال الدولة في شعبان من سنة ٤٣٥هـ بعد رحيل رسول الخليفة الى السلاجقة ، فخلفه ولده الاكبر ابو منصور فيروز الذي لقبه الخليفة بالملك العزيز الا انه لم يستطع الاحتفاظ بمنصبه طويلا ، بسبب منافسه ابي كاليجار بن سلطان الدولة الذي نجح في استمالة كبار القادة انصرفوا عن الملك العزيز ، ودخل بغداد واقيمت له الخطبة في شهر صفر من سنة ٤٣٦هـ (ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص١٥٦ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص١٨٤) .

(٤٦) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٨ ص١٦٦ .

(٤٧) ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٥٢٢ ، الذهبي ، العبر جـ٣ ص١٨٢ .

(٤٨) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ص٧–٨ محمد صالح القزاز ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ص٣٦ .

السلطان بدعوة الخليفة له بزيارة بغداد ، ووعد بتلبيتها في اقرب فرصة، ويبدوا ان طغرلبك كان مشغولا في هذه الاثناء بفتح الاقاليم الغربية والجنوبية من ايران واقام رسول الخليفة في ضيافة السلطان نحوا من سنة عاد بعدها الى بغداد[٤٩] ومعه عشرون الف دينار هدية من السلطان الى الخليفة وعشرة الاف دينار اخرى لحاشيته[٥٠] .

وفي رمضان من سنة ٤٤٣هـ ، وفد على بغداد رسل السلطان طغرلبك، يحملون رد السلطان على رسالة الخليفة القائم بأمر الله ، وفيه يعرب عن شكره لانعام الخليفة عليه بالخلع والالقاب ، وحملوا الى دار الخلافة عشرة الاف دينار عينا واعلاقا نفيسة من الجواهر والثياب والطيب وغير ذلك هدية من السلطان الى الخليفة القائم ، كما قدموا خمسة الاف دينار للحاشية، والفي دينار لرئيس الرؤساء واستقبل رسل السلطان في بغداد استقبالا حافلا اذ أمر الخليفة بأكرامهم وانزالهم بباب المراتب[٥١] .

وما ان اطمئن طغرلبك على سلامة الموقف في اقليم فارس ونواحي اذربيجان واحكام السيطرة السلجوقية هناك حتى توجه نحو بلاد ارمينية في سنة ٤٤٦هـ ـ ١٠٥٤م فأجتاح الاقاليم الواقعة بين بحيرة وان وارزن الروم[٥٢] والبلاد المجاورة لطرابزون[٥٣] ، ثم قصد ملاذكرد فحاصرها وضيق على اهلها ، وهناك امده نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر

---

(٤٩) ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٥٢٢ ذكر الراوندي (ص١٦٩) ان رسول الخليفة العباسي اقام في ضيافة السلطان مدة ثلاث سنين .

(٥٠) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٨ ص٢٣٣ .

(٥١) ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٥٨٠ .

(٥٢) ارزن الروم : بلدة من بلاد ارمينية ، اهلها ارمن ، وارزن ايضا اسم موضع في بلاد فارس قرب شيراز واسم قلعة حصينة قرب خلاط من نواحي ارمينية ، ياقوت جـ١ ص٢٠٥ـ٢٠٦ .

(٥٣) طرابزون :

بالهدايا الكثيرة والعساكر ، ولكن تعذر على طغرلبك الاستيلاء على هــذه المدينة نظرا لمــا كانت تتمتع به من حصانة ، فآثر الانسحاب الى اذربيجان ومنها الى الري فأقام بها حتى سنة ٤٤٧هـ(٥٤) ، عكف خلالها على اعــداد عدته لدخول بغداد بعد ان تم له الاستيلاء على معظم اجزاء ايران وبعــض البلاد المجاورة لها ، ورأى ان الوقت قد حان لفرض سيطرته على العــراق ووضع حد للنفوذ البويهي في حاضرة الخلافة العباسية(٥٥) .

ب ـ دخول السلاجقة بغداد ٤٤٧هـ :

لم تقتصر العلاقات بين السلطان طغرلبك والخليفة القائم على تبــادل الهدايا والرسائل بل ان الخليفة بدأ يفكر جديا في الاستعانة بهذه القــــوة الجديدة واتخاذها ركيزة ودرعا واقيا للخلافة التي كانت تمر في ظــروف حرجة آنذاك ، عندما استبد البساسيري(٥٦) بالسلطة واستحفل امره ببغداد حتى اصبح لا يقطع امرا دونه ولا يحل ويعقد الا عن رأيه ، وصــار يشرف على ما يدخل بيت المال من الايراد(٥٧) . ومما زاد في خطورة وضع الخلافــة

---

(٥٤) ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٥٩٨ـ٥٩٩ العيني عقد الجمان القســم٢ جـ٢٠ ص١١٨ .

(٥٥) عبدالنعيم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ص٣٧ .

(٥٦) البساسيري ، هو ابو الحارث ارسلان بن عبدالله البساسيري التركي مقدم الاتراك ببغداد ، كان من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولــة بن بويه ، وكان الخليفة القائم قد قدمه على سائر الاتراك فاســتبد بالسلطة ببغداد ، وخطب له على منابر العراق وخوزستان وعظــم امره وهابته الملوك ، وعرف بالبساسيري نسبة الى بلــدة من بــلاد فارس يقال لها بسا او بساسير تقع على اربعة مراحل من مدينــة شيراز ، كان يقيم بها جمع كبير من الديلم (ابن ميسر : تاريخ مصــر ص١١ ـ ابن العميد ، تاريخ المسلمين ص٢٧٦ ـ ابن خلكــان جـ١ ص٧٦) .

تقرب بني بويه من الفاطميين واعتناق عدد كبير من عسكر البويهي والاتراك والديلم للمذهب الفاطمي ، وميل البساسيري نفسه وتأثره بهذه الدعوة وانحيازه الى الفاطميين بعد ان ساءت علاقته بالخليفة القائم بأمر الله[57]، وقد ارجع المؤرخ ابن الاثير خلاف البساسيري مع الخليفة الى قيام ابي المعالي قريش بن بدران هما ابو الغنائم وابو سعد ابني المحلبان واكرم وفادتهما ، واقامة الخطبة على منابرها للسلطان طغرلبك ، على الرغم من تبعيتها للبساسيري ، ثم حدث ان استقبل الخليفة القائم ببغداد رسولين من قبل قريش بن بدران هما ابو الغنائم وابو سعد ابني المحلبان واكرم وقادتهما ، فأعتبر البساسيري هذا التصرف من الخليفة تحديا له ، وقال : « هؤلاء وصاحبهم ـ بقصد قريش بن بدران ـ كبسو حلل اصحابي ، ونهبوا ، وفتحوا البثوق ، واسرفوا في اهلاك الناس[58] . ويبدو ان البساسيري عزم على الانتقام منهما الا انه منع من ذلك فأمتنع عن دخول دار الخلافة على مادته ، واتهم رئيس الرؤساء بانه كان وراء ما قام به ابو الغنائم واخوه وبدأ موقفه يتغير من الخلافة[59]، ومما زاد في نفور القائم بأمر الله من البساسيري وحمله على الحد من نفوذه ان رئيس الرؤساء (وزير الخليفة) اشاع ان البساسيري كان يراسل اليازوري وزير المستنصر بالله الفاطمي بمصر مستهدفا خلع القائم بأمر الله[60] ، فلما تحقق عند الخليفة صحة

---

(57) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد جـ٩ ص٣٩٩ـ٤٠٠ ، الحلبي ، ملخص تاريخ الاسلام جـ٦ حوادث سنة ٤٤٧هـ (مخطوط)

(58) ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٦٠١

(59) نفس المصدر ، الكامل جـ٩ ص٦٠١

(60) ابن ميسر ، تاريخ مصر ص١١ ـ الذهبي ، تاريخ الاسلام ومشاهير الاعلام جـ٣ ورقة ٢٢ مخطوط ـ دار الكتب المصرية .

رمضان سنة ٤٤٧ هـ ، واتفق مع الخليفة على ان يخطب لطغرلبك على منابر العراق على ان يذكر بعده اسم الملك الرحيم سلطان الدولة البويهي كما تقرر ان يبذل اصحاب الملك الرحيم الطاعة الى السلطان السلجوقي ، وخطب لطغرلبك ببغداد يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان سنة ٤٤٧هـ ، ولقب بالسلطان ركن الدولة ابو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل امير المؤمنين ، ووصل موكب السلطان الى النهروان فارسل يستأذن الخليفة دخول بغداد فاذن له وكان يرافق السلطان وزيره عميد الملك ابو نصر الكندري(٦٤)، فخرج وزير الخليفة (رئيس الرؤساء) لاستقباله ومعه ارباب المناصب واصحاب المراتب ، وقاضي القضاة والشهود والجنود والبنود (٦٥) فارسل طغرلبك وزيره ابا نصر الكندري في جماعة من الامراء ليكون في استقبالهم ، ووصل رئيس الرؤساء الى السلطان وابلغه رسالة الخليفة واستحلفه له وللملك الرحيم وامراء الاجناد ، وفي اليوم الخامس والعشرين من رمضان سنة ٤٤٧هـ دخل طغرلبك بغداد ونزل بباب الشماسية (٦٦)

، ولم يلبث طغرلبك ان امر بالقبض على الملك الرحيم وارسله مقيداً الى الري(٦٧) على الرغم من العهد الذي اعطاه له ولاصحابه وعلى الرغم من تأييد الخليفة له ، وكان السلطان قد اتهم الملك الرحيم بتحريض العامة ببغداد ومهاجمتهم لعسكر السلطان (٦٨) ويبدو ان طغرلبك اراد التخلص

---

(٦٤) هو ابو نصر محمد بن منصور الكندري ، اول وزراء السلاجقة (البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ص٩) .

(٦٥) البنداري تاريخ دولة آل سلجوق ص٩ـ١٠ .

(٦٦) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٨ ص١٦٤ ـ ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٦١٠ ـ ٦١١

(٦٧) الراوندي ، راحة الصدور ص١٦٩ ، ابن الجزري ـ ملخص تاريخ الاسلام ص٤١٨

(٦٨) ابن الاثير الكامل جـ٩ ص٦١٢

ما نسب الى البساسيري ، ارسل الى الملك الرحيم يخبره بأن «البساسيري خلع الطاعة وكاتب الاعداء ، وان الخليفة له على الملك عهودا وله على الخليفة مثلها ، فأن آثره فقد قطع ما بينهما وان ابعده واصعد الى بغداد تولى الديوان تدبير امره » فأبدى الملك الرحيم استعداده لابعاد البساسيري عن بغداد ، ويبدو ان الاخير كأن قد وقف على ما تضمنته رسالة الخليفة ، فبادر بالرحيل عن بغداد الى الحلة حيث نزل على اميرها دبيس بن مزيد ، ثم اضطر الى الرحيل عنها الى مدينة الرحبة بعد دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ[٦١] .

ولم تكن هذه الامور تخفى على السلاجقة الذين كانوا يراقبون عن كثب مجريات الاحداث في حاضرة الخلافة ويعدون العدة للسيطرة على العراق ، فكان ذلك من العوامل المشجعة التي حملت السلطان السلجوقي على التحرك وقصد بغداد ، فبادر بالعودة من الري في المحرم سنة ٤٤٧، ــ ١٠٥٥م الى همذان ، واظهر انه يريد الحج ، واصلاح طريق مكة ، ومن ثم التوجه الى الشام ومصر لازالة المستنصر بالله الفاطمي ، في نفس الوقت الذي ارسل فيه طغرلبك الى اصحابه بالدينور وقرميسين وحلوان وغيرها من الاعمال يأمرهم بتأمين ما تحتاجه عساكره من الاقوات والعلوفات ، ودخل السلاجقة العراق عن طريق حلوان[٦٢] ، « فعظم الارجاف ببغداد، وفت في اعضاد الناس ، وشغب الاتراك ببغداد ، وقصدوا ديوان الخلافة »[٦٣] . وكان الملك الرحيم انذاك مقيما في واسط ولكنه غادرها الى بغداد عندما كتب الخليفة يستدعيه للحضور لتلافي امر الساسيري فوصلها في منتصف

---

(٦١) ابن خلدون ، جـ٣ ص٤٦٠ .
(٦٢) ابن الجزري ، ملخص تاريخ الاسلام ص٤١٧ .
(٦٣) ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٦٠٩

من الملك الرحيم الذي ينافسه في الخطبة ويشاركه في الالقاب [٦٩] ، فاسقط اسمه من الخطبة في اخر رمضان سنة ٤٤٧هـ ، وقضى بذلك على اخر امل للبويهيين في الحكم واسدل الستار على دولتهم لتحل محلها الدولة السلجوقية [٧٠] ..

أ ـ سياسة طغرلبك نحو الخلافة وموقفه من حركة البساسيري

واثار تصرف طغرلبك نحو الملك الرحيم وتجرئه على اعتقاله في نفس الخليفة مشاعر الضيق والاحراج وجاء مخيبا لاماله التي عقدها على السلاجقة لصون الخلافة والحفاظ على هيبتها ، واعتبر تصرف السلطان هذا اهانة له وتحديا لاوامره ، فقد كان خروج الملك الرحيم واصحابه الى طغرلبك قد تم بامر الخليفة واستنادا على الامان الذي سبق ان منحه طغرلبك للملك الرحيم واصحابه وقد عبر الخليفة عن استيائه البالغ لهذا الحادث وارسل الى السلطان ينكر عليه ذلك ويهدده بمغادرة بغداد ، وقال : انهم انما خرجوا اليك بامري واماني ، فان اطلقتهم ، والا فأن افارق بغداد ، فاني انما اخترتك واستدعيتك اعتقادا مني ان تعظيم الاوامر الشريفة يزداد ، وحرمة الحريم تعظم ، وأرى الامر بالضد [٧١] .

فأكتفى السلطان باطلاق سراح بض اصحاب الملك الرحيم ، وصادر اقطاعاتهم فتوجه معظمهم الى البساسيري وانحازوا اليه [٧٢] . كذلك امر طغرلبك بمصادرة اموال الاتراك البغداديين ، وانتشر السلاجقة في نواحي

---

(٦٩) حسين امين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص٦٠ .
(٧٠) عبدالنعيم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ص٤٠ .
(٧١) ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٦١٣ .
(٧٢) ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٦١٣ ، ابن خلدون ، جـ٣ ص٤٦٠ .

بغداد فكثرت اعمال النهب والتخريب واسرفت عساكر السلطان في ذلك « فنهبوا من الجانب الغربي من تكريت الى النيل (٧٣) ومن الشرقي الى النهروان واسفل الاعمال ... وخرب السواد ، واجلى اهله عنه » (٧٤) .

ولم يكتف السلطان بمصادرة اموال الملك الرحيم وامراء الاجناد ، بل امتدت يده الى اموال الخليفة نفسه ، فبينما كان القائم بامر الله مستغرقا في احزانه التي سببتها وفاة ولده وولي عهده محمد في اواخر سنة ٤٤٧هـ ارسل السلطان وزيره عميد الملك الكندري الى الخليفة وهو في مجلس العزاء يطلب اموالا فلما استعظم الخليفة مقدارها ، اشاروا عليه بان يطلق يده في اموال الحريم ، فعظم ذلك على القائم بامر الله واجاب على رسل السلطان بأن « مال الحريم مازال مصونا وقد جرى فيه مارأيتا مكافأته في ولدنا (٧٥) » .

وهكذا اضحى الخليفة العباسي في هذه المرحلة من مراحل النفوذ السلجوقي ، منذ الرغبات السلاطين يعيش على الارزاق والاقطاعات التي يقررونها له اسوة بما كان عليه الحال في العهد البويهي ، واقتصر نفوذ الخليفة على نقش اسمه على السكة ، وذكره في الخطبة ، واحتجب عن رقاياه ولم يعد الناس يرونه الا في المناسبات العامة (٧٦) .

ويبدو ان السلاجقة احسوا بالفتور الذي طرأ على العلاقات القائمة بينهم وبين الخليفة فارادوا توثيق هذه العلاقات واعادة الثقة الى نفس الخليفة العباسي ، وتحقق لهم ذلك بزواج القائم بامر الله من ارسلان خاتون (خديجة)

---

(٧٣) النيل : بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة (ابو الفدا ، تقويم البلدان ص٢٩٦) وفي ياقوت : نهر من انهار الرقة حفره هارون الرشيد .

(٧٤) ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٦١٣

(٧٥) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٨ ص١٦٥ .

(٧٦) حمد الله المستوفي ، تاريخ كزيده ، ص٤٣٨ ، حافظ حمدي ، الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ص٣٩ ، الخالدي ، نظم الحكم ص١٧٧ ،

ابنة داود اخي السلطان طغرلبك في المحرم من سنة ٤٤٨هـ [٧٧] .وعلى الرغم من هذه المصاهرة بين البيتين العباسي والسلجوقي فقد اقام طغرلبك ببغداد اكثر من ثلاثة عشر شهرا دون ان يحظى بمقابلة الخليفة العباسي [٧٨].

ومن الجدير بالذكر ان السلاجقة قنعوا في هذا العصر بان يحكم العراق نواب من قبلهم يتمتعون بسلطات عسكرية وادارية واسعة ووضعوا تحت تصرفهم حامية من الجند السلاجقة لضمان سيطرتهم التامة على هذا الاقليم ، وفوض الى هؤلاء النواب امر ضمان مدن العراق وارسال الاموال الى خزانة السلطان ، هذا ولم يتخذ السلاجقة بغداد مقرا لحكمهم كما كان الحال في عهد بعض امراء بني بويه [٧٩] .

هـ ـ موقف طغرلبك من حركة البساسيري :

كان البساسيري قد خرج على طاعة الخليفة بعد دخول طغرلبك بغداد في سنة ٤٤٧هـ واقام في كنف دبيس بن مزيد أمير الحلة ، فاستغل المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي[٨٠] ذلك وارسل الى البساسيري دعوه

---

(٧٧) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص١١ ، ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٦١٧ ، ابن الجزري ملخص تاريخ الاسلام ص٢٠٤ .

(٧٨) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٨ ص١٦٩ـ١٧٠ والحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص١٧ـ١٨ .

(٧٩) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٨ ص٢١٦ـ٢١٧ـ٣١٩ ، ابن خلدون جـ٣ ص٤٧١ـ٤٧٣ الخالدي ، نظم الحكم ص١٧٦ ، كان ينوب عن السلطان في حكم العراق موظف يعرف بالعميد وآخر مسؤول عن حفظ الامن في بغداد يعرف بالشحنة وموظف ثالث عهد اليه بجباية الاموال يعرف بالمستوفى او جابي الاموال .

(٨٠) ولد المؤيد في الدين في شيراز فيما يقرب من عام ٣٩٠هـ ، وقد تدرج في مراتب الدعوة حتى اصبح حجة في بلاد فارس ، وعرف بنشاطه في الدعوة لمذهبه الى حد انه تعرض للنفي عن شيراز في ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ولكنه تمكن من الفرار الى مصر في ٤٣٨هـ ـ ١٠٤٤م حيث تمكن من توثيق علاقته مع بعض الوزراء ورجال البلاط ونجح في الاتصال بالخليفة الفاطمي الذي اعجب بأدبه وسعة علمه (محمد كامل حسين: سيرة المؤيد في الدين ص١٤ ـ ١٦) .

للانضمام اليه والدعوة للفاطميين في مصر ، وكان المؤيد في الدين قد غادر مصر ومعه الاموال والخلع التي وعد الفاطميون بها البساسيري لكسب تأييده واستمالته اليهم بعد ان اظهر خلافة للعباسيين على اثر دخول السلاجقة بغداد ، كذلك ارسل المؤيد الى دبيس بن مزيد يدعوه الى الانضمام الى الفاطميين ، في نفس الوقت الذي كان يراسل فيه عددا من المؤيدين للبساسيري واخيرا تمكن المؤيد في الدين من تنظيم جيش كبير تحت قيادة البساسيري الذي استقر رأيه على مهاجمة الموصل [٨١] ، ووصلت اخبار زحف البساسيري ودبيس الى الموصل فاستعد للقائهما قريش بن بدران العقيلي ومعه قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق ، وعند سنجار دارت بين الفريقين معركة عنيفة في شوال من سنة ٤٤٨هـ ، انتهت بانتصار البساسيري ودبيس ، واصيب قريش العقيلي في المعركة بجرح وقصد دبيس بن مزيد . فاعطاه خلعة كانت قد وصلت اليه من مصر فانحاز قريش اليهم « وصار في جملتهم » ، وعاد الى الموصل وخطب للمستنصر بالله الفاطمي [٨٢].

ولم يجد الخليفة القائم بامر الله امام هذه الحركة الخطيرة بدا من الاحتماء بالسلطان طغرلبك فعهد اليه بولاية الموصل وبلاد الجزيرة ، ووكل اليه امر الدفاع عنها والقضاء على حركة البساسيري ، فبادر طغرلبك بالتوجه نحو الموصل في العاشر من ذي القعدة سنة ٤٤٨هـ فبلغ تكريت وحاصرها ، فاضطر صاحبها نصر بن علي بن خميس الى التسليم ، ونصب على القلعة

(٨١) ديوان المؤيد في الدين ، ص٤٢-٤٤ تحقيق محمد كامل حسين . حسين امين العراق في العصر السلجوقي ص٦٣ . خاشع المعاضيدي ، دولة بني عقيل في الموصل ص٦٧-٨٨ .

(٨٢) ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٦٢٥-٦٢٦ ، ابن الجزري ، ملخص تاريخ الاسلام ص٤٢١ (مخطوط) ، ابن الحلبي ، ملخص تاريخ الاسلام للذهبي جـ٦ حوادث سنة ٤٤٨ (مخطوط مكتبة الاوقاف ببغداد) .

علما اسود اللون شعار بني العباس كما قدم الاموال الى السلطان ، ففك الحصار عن المدينة وتقدم الى البوازيج استعدادا لمهاجمة الموصل فاقام حتى بداية سنة ٤٤٩هـ ، حيث توافدت عليه العساكر بقيادة اخيه ياقوتي ، فتحرك الى الموصل واقطع مدينة بلد للامير هزارسب بن بنكير ، ووصل طغرلبك الى نصيبين ، فاختار الف فارس بقيادة هزارسب وشرع في مهاجمة العرب ومن انضم اليهم من بني نمير اصحاب حران والرقة ، فانهزم العرب وكثر فيهم القتل والاسر ، فلما علم دبيس وقريش بن بدران بهذه الهزيمة ادركا انه لاطاقة لهما بلقاء عساكر السلطان واثرا الصلح فاجابهما طغرلبك وعفا عنهما ، اما بالنسبة للبساسيري ، فلم يعف عنه بسبب عصيانه على الخليفة فاضطر البساسيري الى الرحيل الى الرحبة وبصحبته طائفة من الاتراك البغداديين وجماعة من بني عقيل [٨٣] .

ولما فرغ طغرلبك من امر الموصل سار الى ديار بكر فحاصر جزيرة ابن عمر فصالحه ابن مروان صاحبها ، ووصل اليه في هذه الاثناء اخوه ابراهيم ينال ، فعهد اليه بولاية الموصل مع سنجار والرحبة وسائرالاعمال التي كان لقريش بن بدران وكان ذلك في سنة ٤٤٩هـ ، ثم قرر السلطان العودة الى بغداد واستعد الخليفة القائم بامر الله للاحتفال بقدومه بعد ان بلغته انباء الانتصارات التي احرزها على اعداء الخلافة العباسية ، فلما وصل موكب السلطان اطراف بغداد خرج الوزير لاستقباله وابلغه سلام الخليفة واستيحاشه ، فقبل الارض وعندئذ قدم الوزير اليه جاما من ذهب مرصع بالجوهر والبسة فرجيه خلافية[٨٤] ، ودخل السلطان بغداد وطلب الاجتماع

---

(٨٣) ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٦٢٧ـ٦٢٩ .

(٨٤) الفرجية : ثوب لبس فوق سائر الثياب ، وله طوق واردان طوال ، يلبسه العلماء وتكون احيانا مفرجة من القدام من اعلاها الى اسفلها مزرورة بالازرار وتوضع على الكتفين ، وتخلع على الامراء والسلاطين والقواد والقضاة وغيرهم (ميخائيل عواد : اقسام ضائعة من تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ص٥١) .

بالخليفة فاذن له وجلس القائم بامر الله في الخامس والعشرين من ذي القعدة وحضر وجوه عسكر السلطان واعيان بغداد « فقبل السلطان الارض ، وقبل يده ، واجلس على كرسي ، فقال الخليفة لرئيس الرؤساء قل له ان امير المؤمنين شاكر لسعيك ، حامد لفعلك ، مستأنس بقربك ، وقد ولاك جميع ماولاه الله من بلاده ، ورد عليك مراعاة عباده ، فاتق الله فيما ولاك ، واعرف نعمته عليك في ذلك ، واجتهد في نشر العدل ، وكف الظلم ، واصلاح الرعية (٨٥) . واظهر السلطان للخليفة حسن طاعته وصادق محبته له ، ثم امر الخليفة بافاضة الخلع عليه وخاطبه بملك المشرق والمغرب وهذا يعني اعتراف من الخليفة بكل مابيد طغرلبك من بلاد المشرق ، واشارة واضحة لدفع السلطان الى استخلاص البلاد الواقعة غرب العراق من النفوذ الفاطمي (٨٦)، وأهدى طغرلبك الخليفة خمسين الف دينار وخمسين مملوكا من احسن المماليك الترك ومعهم خيولهم وسلاحهم وخمسين قطعة من الثياب وعشرين راسا من الخيل وغير ذلك (٨٧) .

ولم تطل تبعية الموصل للخلافة فلم تلبث ان خرجت على طاعته في سنة ٤٥٠ حين تمكن البساسيري وقريش بن بدران من دخولها بعد مفارقة ابراهيم ينال للمدينة ، فاضطر السلطان للتوجه الى الموصل ، فلما بلغ ذلك البساسيري وقريش بن بدران رحلا عن الموصل الى نصيبين ، فقرر طغرلبك مواصلة الزحف الى نصيبين متتبعا اثارهما الا انه اضطر الى التوقف بسبب خروج اخيه ابراهيم ينال عليه ومسيره الى همدان بتحريض من البساسيري، وصمم السلطان على وضع حد لتمرد اخيه ، فدارت بينهما معركة كبيرة

(٨٥) ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٦٣٣-٦٣٤ .
(٨٦) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٨ ص١٨١-١٨٣ .
(٨٧) حسين امين ، العراق في العصر السلجوقي ص٦٦ .

بالقرب من الري ، انهزم على اثرها ينال ووقع الاسر فامر السلطان بقتله في جمادي الاخرة من سنة ٤٥١هـ (٨٨)

وقد اغتنم البساسيري وقريش بن بدران فرصة انشغال السلطان باخماد حركة اخيه ينال فهاجما بغداد وتمكنا من الاستيلاء عليها في الثامن من ذي القعدة سنة ٤٥٠هـ ، وطلب الخليفة القائم بامر الله الامان من قريش فاجابه الى ذلك وسلمه الى ابن عمه مهارش بن المجلي(٨٩) فحمله في هودج وسار به الى (حديثه عانه) واقيمت الخطبة للفاطميين في ذي الحجة من سنة ٤٥٠ (٩٠) وارسل البساسيري الى مصر يبشر الخليفة الفاطمي بما حققه من انتصارات في بغداد ، وامر بضرب الدنانير باسم المستنصر بالله وسماها المستنصرية (٩١) .

واسرع انصار الخليفة القائم بامر الله في اعقاب رحيله الى عانة بالاتصال بالسلطان طغرلبك مستنفرين وكان طغرلبك منشغلا انذاك باخماد حركة ينال (٩٢) فتوالت عليه استغاثات الخليفة من منفاه ، وذكر الراوندي ان القائم بامر الله ارسل الى طغرلبك يستحثه على القدوم الى بغداد ويقول « بحق الله ادرك الاسلام ، ساد العدو اللعين واخذ ينشر مذهب القرامطة » (٩٣).

ولم يكد السلطان يفرغ من امر اخيه ابراهيم نيال حتى بادر بالسير الى بغداد ، فاسرع البساسيري بالرحيل عنها في السادس من ذي القعدة سنة

---

(٨٨) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ص١٥ ، ابن خلدون ، ج٣ ص٣٦٤ .

(٨٩) هو محيي الدين ابي مهارش بن المجلى العقيلي ، توفى في سنة ٤٩٩هـ(ابن خلكان : وفيات الاعيان جا ص٦١) .

(٩٠) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ص١٥

(٩١) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٨ ص١٩٦

(٩٢) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ص١٥

(٩٣) الراوندي ، راحة الصدور ص١٧٢ ، البنداري ، ص١٤-١٦ .

٤٥١هـ [٩٤] ، وارسل طغرلبك الى قريش بن بدران يشكره على صنيعه مع الخليفة له ولزوجته ارسلان خاتون ابنة اخي طغرلبك ، ويعرفه بانه ارسل ابا بكر بن فورك [٩٥] ليقوم بخدمة الخليفة والعودة به الى بغداد ، ولما علم السلطان ان الخليفة شرع بالعودة انفذ لاستقبال وزيره الكندري والامراء والحجاب ومعهم الخيام العظيمة والسرادقات والتحف من الخيل بالمراكب الذهب وغير ذلك [٩٦] . ولما وصل موكب الخليفة الى النهروان خرج طغرلبك لخدمته [٩٧] ، وهناه بسلامة وصوله الى دار الخلافة ، واعتذر عن تأخره بعصيان ابراهيم الذي قتله لما سببه من الوهن على الدولة العباسية ، وبوفاة اخيه داود بخراسان ، وانه اضطر الى التريث حتى يرتب اولاده في المملكة من بعده وقال « انا امضي خلف هذا الكلب ، يعني البساسيري ، واقصد الشام ، وافعل في حق صاحب مصر ما اجازي به فعله [٩٨] . وكان لهذه العبارات اثر عميق في نفس الخليفة فاهداه سيفا ثم استعد لدخول بغداد ، فسبقه السلطان اليها ليكون في استقباله اذ لم يبق في المدينة من اعيانها غير القاضي ابي عبدالله الدامغاني وثلاثة نفر من الشهود . ودخل الخليفة بغداد في ٢٥ من ذي القعدة سنة ٤٥١هـ [٩٩] .

---

(٩٤) ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٦٤٦ ، ابن الجزري ملخص تاريخ الاسلام ص٤٢٨

(٩٥) هو الامام ابو بكر احمد بن محمد بن ايوب المعروف بابن فورك (ابن الاثير الكامل جـ١ ص٦٤٦) .

(٩٦) ابن الاثير ، الكامل جـ٩ ص٦٤٧ ، ابن الجزري ، ملخص تاريخ الاعلام ص٤٢٩

(٩٧) ابن انقلانسي ، ص٨٩ـ٩٠ ، البنداري ص١٦ .

(٩٨) ابن الاثير الكامل جـ٩ ص٦٤٧ .

(٩٩) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص٢١ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص٤١٨

ثم انفذ السلطان العساكر في طلب البساسيري فادركته في طريق الكوفة وكان عازما على الهرب الى الشام وبصحبته دبيس بن مزيد ، فحمل السلاجقة على اصحاب البساسيري وسقط الاخير عن فرسه فقتله كمشتكين [١٠٠] ، وامر السلطان بحمل رأسه الى بغداد في ذي الحجة من سنة ٤٥١هـ وجعل على قناة وطيف به ، وصلب قبالة باب النوبى بازاء دار الخلافة [١٠١]

وعظم نفوذ طغرلبك بعد هذه الانتصارات التي حققها ضد اعدائه واعداء الخلافة فاستتب له الامر في العراق واصبح سيد الموقف ولقبه الخليفة بلقب جديد هو « ركن الدين [١٠٢] » في الوقت الذي اضمحل فيه مركز الخليفة العباسي وضعف شأنه امام السلطان ، فلم يعد له دور يذكر في سياسة الدولة ففوض الامر الى السلطان حتى انه لم يكن ليستطيع التصرف في ممتلكاته ، وأصبح يعيش من أقطاع مقررة تكفي لسد جميع نفقاته[١٠٣] ، واستبد طغرلبك بالخلافة وبالغ في تحدي الخليفة فامر بان تحمل موارد العراق المالية الى خزانته بدلا من خزانة الخليفة [١٠٤] .

ب ـ زواج السلطان طغرلبك من ابنة الخليفة ووفاته :

ثم سعى طغرلبك بعد ذلك الى تدعيم سلطانه السياسي بكسب شرعي فعزم على مصاهرة الخليفة القائم بامر الله والزواج من ابنته وربط الاسرة السلجوقية بالبيت العباسي ، فكلف وزيره ابا نصر الكندري القيام بهذه المهمة ، وقد انزعج الخليفة لذلك ورد باديء ذي بدء طلب السلطان اذ لم يسبق

---

(١٠٠) كان كمشتكين حامل دواة عميد الملك الكندري .

(١٠١) ابن القلانسي ، ص٩٠ ، الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص٢١ ، ابن الاثير الكامل جـ٩ ص٦٤٩ .

(١٠٢) الراوندي ، راحة الصدور ص١٧٥

(١٠٣) نفس المصدر ، راحة الصدور ص١٧٦ .

(١٠٤) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٨ـ٩ .

لامير اعجمي ان تقدم لمصاهرة البيت العباسي ، وشق على الخليفة ان يزوج ابنته من طغرلبك وطلب ان يستعفى من ذلك الا انه لم يلبث ان وافق على هذا الزواج مضطرا بعد ان تدهورت العلاقات بينه وبين السلطان على اثر رفض الخليفة مصاهرته[١٠٥] .

ويتضح لنا ذلك من خلال رسالة طغرلبك الى قاضي القضاة والشيخ ابي منصور بن يوسف وفيها يعتب على الخليفة ، ويذكر جهوده وتضحياته من اجل الخلافة ومن العبارات التي ورد فيها قوله : هذا جزائي من الامام القائم وقد قتلت اخي في طاعته ووهب عمري لطاعته وانفقت اموالي في خدمته [١٠٦] . ثم مضى طغرلبك في سياسته الرامية الى التضييق على الخليفة ومحاولة ارغامه على تلبية رغبته ، فاقدم على مصادرة املاكه واملاك حاشيته وامر عماله في بغداد والبصرة وواسط بوضع اليد على هذه الاملاك على ان يترك للخليفة ما كان باسم ابيه القادر بالله من املاك [١٠٧] .

وكان لهذا التصرف من السلطان وقع سيء في نفس الخليفة فكتب اليه: مارجونا من ركن الدين ما صنع ، وماتوقعنا ما وقع ، وبين يديك الاقطاعات فاقطعها وقد ارتفعت الموانع فامنعها [١٠٨] وعلى الرغم من ذلك لم يتوقف طغرلبك عن اجراءاته التعسفية التي اخذ يطبقها على الخليفة ، فارسل في طلب ابنة اخيه زوجة الخليفة ، وعندئذ تدهور الموقف بشكل خطير وادرك القائم بامر الله ضعف مركزه امام السلطان السلجوقي فوافق على طلبه واذن في

---

(١٠٥) نفس المصدر ، الكامل ص٢٠ــ٢١ .
(١٠٦) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ص٢٠
(١٠٧) ابن الجوزي ، المنتظم ج٨ ص٢٢٣ ، ٢٢٤ .
(١٠٨) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ص٢٠ .

زواجه مرغما ، ويعبر المؤرخ ابن الاثير عن ذلك بقوله : « فلما رأى الخليفة شدة الامر أذن في ذلك وكتب الوكالة باسم عميد الملك وسيرت الكتب مع أبي الغنائم بن المحلبان وكان العقد في شعبان سنة اربع وخمسين واربعمائة بظاهر تبريز ، وهذا لم يجر للخلفاء مثله ، فان بني بويه مع تحكمهم ومخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطعموا في مثل هذا ولا ساموهم فعله (١٠٩) »

وحمل السلطان اموالا كثيرة وجواهر نفسية للخليفة ولولي عهده واهل بيته كما اعطى لابنة الخليفة وما كان بالعراق للخاتون زوجة طغرلبك المتوفاة (١١٠) ، وفي المحرم من سنة ٤٥٥هـ ثم زفاف السلطان في بغداد ثم رحل في ربيع الاول من السنة المذكورة قاصدا الري ، ولكنه اعتل اثناء رحيله ولم يلبث ان توفى في الثامن من رمضان سنة ٤٥٥هـ ـ ١٠٦٣م (١١١).

---

(١٠٩) ابن الاثير ، الكامل جـ١ ص٢٢

(١١٠) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ـ١٢ ، كانت وفاة زوجة طغرلبك بزنجان سنة ٤٥٢هـ وحمل تابوتها الى الري حيث دفنت .

(١١١) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ص٢٥ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص١٨٤ . ابن الجزري ، ملخص تاريخ الاسلام ص٤٣٧ ، السيوطي تاريخ الخلفاء ص٤٢٠ .

الفصـــل الثاني



السلاجقة منذ وفاة طغرلبك وحتى سقوط دولة بنـي عقيـل في الموصـــل

(١)

عصـر ألب ارســـلان

أ ـ سياسة الب ارسلان نحو الخلافة العباسية
ب ـ توسـع السلاجقة في عصر الب ارســلان
جـ ـ نهايـة الــب ارســلان

(٢)

عصـر ملكشـــاه

أ ـ المشاكل التى اعترضت ملكشاه في بداية عهــده
ب ـ سياســة ملكشـــاه في بلاد الشـــام
جـ ـ نهاية الوزير نظام الملك ثم وفاة ملكشاه واثره في الدولة السلجوقية

(٣)

انقسام السلاجقة على انفسهم بعــد ملكشاه

أ ـ الصراع بين بركياروق واخيه محمود
ب ـ تدخل تتش في الصراع حول العرش السلجوقي
جـ ـ استيلاء كربوقا على الموصل وزوال دولة بنى عقيل في سنة٤٨٩هـ



عصـــر الـــب ارســـلان

خلف طغرلبك على العرش السلجوقي ابن اخيه الب ارسلان (٤٥٥هـ ـ ٤٦٥ هـ) ٠ فسعى للحصول على التفويض بالسلطنة من الخليفة القائم بامر الله ٠ ولتحقيق ذلك عمل على التقريب من الخليفة وكسب رضاه ٠ فامـــر ابنة الخليفة ــ زوجة طغرلبك ــ الى بغداد لعلمه ان زواجها كان قد تم بغير رضا ابيها ومنحها خمسة الاف دينار وانفذ معها الامير أبتكين السليماني ليقوم على خدمتها الى بغداد وعينه شحنة بها ، وصحبة رئيس العراقين ، فوصلوا بغداد في منتصف ربيع الاخر سنة ٤٥٦هـ ، فخرج لاستقبالها عميد الدولــة بن الوزير فخر الدولة بن جهير ، ورحب الخليفة برسل السلطان ومنحهـــم التقليد له بالسلطنة ٠ وكان الب ارسلان جريا على سياسته في كسب رضـــا الخليفة قد برر اعتقاله لعميد الملك الكندري بانه اشترك في ارغام الخليفـــة على قبول مصاهرة طغرلبك فانفذ اليه النقيب طراد الزينبي من الديـــوان ليأخذ البيعة للخليفة ، وكان الب ارسلان مقيما انذاك في اذربيجان ، فاستقبل رسل الخليفة ولبس الخلع ، وبايع للقائم بامر الله [١] ٠

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ج٨ص٢٣٤ـ٢٣٥ ، ابـن الاثيـر ـ الكامـل ج١٠ص٣٥

وعلى اثر ذلك امر الخليفة بان تقام الخطبة للسلطان الب ارسلان في مساجد بغداد . وان يكون لقبه « السلطان المعظم عضد الدولة وتاج الملك ابو شجاع الب ارسلان محمد بن داود »[٢] . وكان من الطبيعي ان يعبر السلطان عن شكره للخليفة بمهاداته بالهدايا فارسل اليه عشرة الاف دينار وزنا ومائتي ثوب ابريسمية انواعا ، كما امر الناظر ببغداد بتسليم الخليفة عشرة الاف دينار اخرى ، وعشرة افراس . وعشرة بغلات[٣] .

وانصرف الب ارسلان للعمل على تحقيق اهداف السلاجقة في التوسع وبناء دولة قوية الجانب مترامية الاطراف وكان لايقل جدارة عن عمه طغرلبك، وهيأت له الظروف شخصية كان لها الاثر الاكبر في رسم السياسة السلجوقية تلك هي شخصية وزيره نظام الملك الذي عرف ببعد نظره وسياسته الحكيمة، فكان خير عون للسلطان على تحقيق اهدافه . وتم الالب ارسلان ان يحقق في فترة وجيزة سلسلة من الانتصارات في بلاد (الكرخ) وارغم ملكهم على الخضوع والاذعان لطاعته ، واخذ الجزية منه. وارسل ارسلان الى الخليفة العباسي بما حققه من انتصارات ، فسر الخليفة وكتب اليه بالبقاء والدعاء له، ثم واصل الب ارسلان تقدمه الى كرمان وعبر نهر جيحون سنة ٤٥٧هـ واخضع ملوك وامراء مدن هذا الاقليم ثم سار الى مرو[٤] . وفوض امارة خوارزم الى ولده ارسلان ارغون ، ثم اخذ العهد من امراء دولته بولاية العهد من بعده لابنه ملكشاه ، وخلع على الامراء ، وامرهم بالخطبة لولده في جميع البلاد الخاضعة له[٥] .

---

(٢) الحلبي ، ملخص تاريخ الاسلام ج٦ حوادث سنة٤٥٦هـ (مخطوط بمكتبة الاوقاف ببغداد رقم ٥٨٨٥) .

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ج٨ص٢٣٤ـ٢٣٥ .

(٤) الحسيني،اخبار الدولة السلجوقية ص٤٠ الذهبي، العبر ج٣ص٢٤١

(٥) نفس المصدر ، اخبار الدولة السلجوقية ص٤٠ـ٤١ .

وبعد ان فرغ الب ارسلان من توزيع الاقطاعات على امراء البيت السلجوقي استعد لاخماد بعض الحركات في اقليم فارس فاخضع ملك كرمان ثم توغل داخل اقليم فارس فوصل الى اصطخر وفتح قلعتها وقدم له اميرها هدايا عظيمة وتمكن ألب ارسلان من اخضاع جميع حصون فارس [٦] .

وكان لنجاح الب ارسلان في الاستيلاء على الجزء الاكبر من البلاد الواقعة بين بحيرة وان ، واروميه وفتح جورجيا وبلاد الارمن ، رد فعل عنيف لدى الروم فصمم الامبراطور رومانوس على القيام بحركة مضادة في محاولة لوقف التوسع السلجوقي عند حده ، فهاجم منبج واستباحها وقتل اهلها ثم تغلب على محمود بن مرداس أمير حلب ومن معه من قبائل العرب وقفل رومانوس بعدها عائدا الى القسطنطينية [٧] .

ووجد الب ارسلان في غزو رومانوس على الشام الفرصة المواتية لتحقيق امل السلاجقة بتحرير بلاد الشام من النفوذ الفاطمي ، فشرع في التحرك الى بلاد الشام في سنة ٤٦٣هـ متجها نحو حلب عن طريق ديار بكر ، فخرج اليه نصر بن مروان ــ أمير ديار بكر ــ مؤكدا ولاءه له ، وتقدم الب ارسلان الى الرها فحاصرها دون ان ينال منها لحصانتها ومناعة اسوارها ، فرحل عنها الى حلب وكان اميرها محمود بن مرداس قد قطع الخطبة للفاطميين وخطب للخليفة العباسي وللسلطان الب ارسلان في ٩ شوال في سنة ٤٦٢هـ [٨] بعد ان بلغه تعاظم نفوذ السلاجقة ، ورأى ان من مصلحته الدخول في طاعتهم ، ولما علم الخليفة بذلك ارسل الى امير حلب الخلع مع

(٦) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ ص٥٠ــ٥٤ .

(٧) ابن القلانسي ص٩٨ ابن الاثير الكامل ج١٠ ص٦٠ ، فازلييف ، علاقة بيزنطة والاسلام فصل في كتاب الامبراطورية البيزنطية ، مصر ١٩٥٧ ص٣٩٠ــ٣٩١ .

(٨) نفس المصدر ص٩٨، ذكر ابن الجزري في (ملخص تاريخ الاسلام ص٤٤٨) ان اعادة الخطبة للعباسينن بحلب كان في سنة ٤٦٣هـ .

طراد بن محمد الزينبي نقيب النقباء ، فلما وصل الب ارسلان الى حلب كان رسول الخليفة لايزال موجودا بها فطلب اليه محمود ان يخرج الى السلطان ويقنعه باعفائه من الخروج اليه الا ان السلطان اصر على حضوره[٩] .

وشدد السلاجقة حصارهم حول حلب وضيقوا على اهلها فارتفعت الاسعار عندهم ، وعظم القتال بين الطرفين ، وايقن محمود بعجزه عن الوقوف في وجه السلطان فخرج ليلا يصحبه والدته ، ودخل على السلطان ، فعفا عنه وخلع عليه وامر باعادته الى حلب ، فارسل محمود مالا جزيلا الى الب ارسلان الذي رحل عن المدينة في رجب من عام ٤٦٣هـ [١٠] .

وشدد السلاجقة حصارهم حول حلب وضيقوا على اهلها فأرتفعت الاسعار عندهم ، وعظم القتال بين الطرفين ، وايقن محمود بعجزه عن الوقوف في وجه السلطان فخرج ليلا بصحبة والدته ، ودخل على السلطان ، فعفا عنه وخلع عليه وأمر بأعادته الى حلب ، فأرسل محمود مالا جزيلا الى الب ارسلان الذي رحل عن المدينة في رجب من عام ٤٦٣هـ[١٠] .

وفي السنة نفسها ٤٦٣هـ تمكن الامير اتسز بن اوق الخوارني أحد امراء ملكشاة في الشام من فتح مدينة الرملة ، ثم سار الى بيت المقدس وانتزعها من ايدي الفاطميين ، واستولى على ما يجاورها من بلاد عدا عسقلان ثم قصد بعد ذلك دمشق وحاصرها الا انه لم ينجح في الاستيلاء عليها[١١] .

ثم حقق الب ارسلان انتصارا رائعا على الروم في موقعة ملاذ كرد في عام ٤٦٣هـ ١٠٧١م ، وتم للسلاجقة سحق معظم الجيش البيزنطي ووقع

---

(٩) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٦٤ ابن خلدون ، جـ٥ ص٥ ، ٦

(١٠) ابن القلانسي ، ص٩٩ ، ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٢٦٤ الذهبي ، العبر جـ٣ ص٢٠٥ .

(١١) ابن القلانسي ، ص٩٩ ، ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٦٨ ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة جـ٥ ص٨٧.

الامبراطور رومانوس نفسه في الاسر ثم اطلق سراحه بعد ذلك لقاء فدية كبيرة من المال مقدارها الف دينار وعلى ان يطلق سراح من لديه من اسرى المسلمين في بلاده ، كما تعهد الامبراطور بعدم التعرض لبلاد الاسلام وتم عقد هدنة بين الجانبين امدها خمسون عاما[١٢] وقد ترتب على هذه الهزيمة ضياع الاجزاء الشرقية من بيزنطة التي لم تعد تستطيع الصمود في وجه التوسع السلجوقي في اسيا الصغرى ، كما كانت مقدمة لسقوط دولة الروم نفسها في ايدي الاتراك العثمانيين فيما بعد .

وقد استقبل الخليفة القائم بأمر الله انتصار الب ارسلان على الروم بسعادة غامرة وارسل يهنيء السلطان السلجوقي ويخلع عليه الالقاب ، وذكر الحسيني ان الخليفة ارسل الى الب ارسلان كتاب تهنئة بالفتح والظفر وخاطبه فيه بقوله : « الولد السيد الاجل المؤيد المنصور المظفر السلطان الاعظم مالك العرب والعجم وسيد ملوك الامم ضياءالدين غياث المسلمين ظهير الامام كهف الانام عضد الدولة القاهرة تاج الملة الباهرة سلطان ديار المسلمين برهان امير المؤمنين حرس الله تمهيده وجعل من الخيرات مزيدة »[١٣] .

جـ ـ نهاية الب ارسلان :

ولم يطل العهدبالسلطان الب ارسلان اذ ما لبث ان لقى مصرعه بيد أحد الثائرين في العاشر من ربيع الاول سنة ٤٦٥هـ ، وكان قد تأهب بعد ان فرغ من امر الروم للعودة الى المشرق لاخماد حركة الخانيين ، فعبر نهر

(١٢) نفس المصدر ، ص٩٩ ؛ الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص٥٠ ـ٥٢ ، ابن العبري تاريخ مختصر الدول ص١٨٥ ؛ أبن الجزرى : ملخص تاريخ الاسلام ص٤٩ ٤ .
(١٣) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص٣ ٥ .

جيحون في اوائل عام ٤٦٥هـ في عسكر كثيف ، واستغرق عبوره نيفوعشرين يوما ، فأتاه اصحابه بأمير احدى القلاع يدعى يوسف الخوارزمي ، وكان قد ابدى مقاومة شديدة ، فلما مثل بين يديه اراد السلطان قتله بنفسه فرماه بسهم فأخطأه ، فأغتنم يوسف هذه الفرصة وهجم على السلطان وضربه بسكين كانت معه في خاصرته ، فتوفى متأثرا بجراحه بعد اربعة ايام ، وحمل الى (مرو) ودفن عند ابيه وكان له من العمر اربعون سنة وبضعة اشهر وقد امتد حكمه الى تسع سنين وستة اشهر(١٤) .

وانتهى بموت الب ارسلان عصر يعد من اهم عصور سلاطين السلاجقة فقد استطاع ان يوطد اركان دولة السلاجقة وان يرتفع بالبناء الذي ارسى قواعده عمه طغرلبك ، واصبح السلاجقة قوة مرهوبة الجانب يحسب حسابها بما حققه من انتصارات باهرة على دولة الروم(١٥) .

(٢)

أ ـ المشاكل التي اعترضت ملكشاه في بداية عهده :

عصر ملكشاه بن الب ارسلان

تولى عرش السلاجقة بعد مصرع الب ارسلان ولده وولي عهده ملكشاه ، الذي كان يرافق اباه في حملته ضد الخانيين ، فلما قتل عاد الى نيسابور في ربيع الاخر سنة ٤٦٥هـ واعتلى دست السلطنة السلجوقية ، وتولى وزيره نظام الملك وابى سعد المستوفى اخذ البيعة للسلطان الجديد من الامراء والمقدمين ، وارسل ملكشاه الى الخليفة يطلب التفويض له

(١٤) ابن الجوزي ، المنتظم ج٨ص٢٧٦ـ٢٧٧ـ الراوندي ، راحة الصدور ص١٢٠ ـ١٢١ الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص٥٣ـ٥٤ .
(١٥) عبد النعيم حسنين سلاجقة ايران والعراق ٦١
(١٦) ابن الجوزي ، المنتظم ج٨ص٢٧٧ ، ابن الاثير الكامل ج١٠ص٧٦ .

بالسلطنة واقامة الخطبة بأسمه فأجيب الى ذلك وخطب نه على منابر بغداد في رجب من سنة ٤٦٥هـ[١٦] .

وفي بداية حكمه واجه ملكشاه مشكلة التنافس على العرش التي اثارها عمه قارود وكان قارود يرى انه احق بالسلطنة من ابن اخيه ، فبادر بالمسير الى الري ، وأرسل الى ملكشاه يقول : « انا الاخ الكبير وانت الولد الصغير وانا اولى بميراث اخي السلطان الب ارسلان » وحاول نظام الملك اقناع قارود بترك العصيان حقنا للدماء ، الا ان قارود اصر على موقفه ظنا منه ان عساكر ملكشاه سوف تنحاز الى جانبه عند اللقاء باعتباره الاخ الاكبر للسلطان الب ارسلان ، ونجح ملكشاه ونظام الملك في دخول الري قبل وصول قارود وأستعد للقائه ، ودارت الحرب بينهما بظاهر همذان في شعبان من سنة ٤٦٥هـ[١٧] وانضم الى عساكر ملكشاه شرف الدولة مسلم بن قريش — أمير الموصل — ومنصور بن دبيس بن صدقه ، وبعض امراء الاكراد ، فأنهزم قارود وحمل اسيرا الى السلطان فأمر بقتله[١٨] وأقر كرمان بيد اولاد عمه قارود « وأهدى اليهم خلعا اقر بها عيونهم واستمال قلوبهم وعاد الى الري »[١٩] .

---

(١٧) ذكر الحسيني في (اخبار الدولة السلجوقية ص٥٨) ان اللقاء بين قارود وملكشاه كان في شهر جمادى الاولى سنة ٤٦٦هـ .

(١٨) الراوندي ، راحة الصدور ص١٢٦ـ١٢٧ البنداري ، تاريخ دولة ال سلجوق ص٤٨ محمد بن ابراهيم ، ترايخ سلاجقة كرمان ص٣ ١ . ذكر الحسيني في (اخبار الدولة السلجوقية ص٥٨ـ٥٩) ان ملكشاه لم يامر بقتل عمه قارود عندما خاطبه نظام في ذلك بل اجابه بقوله : (هل على وجه الارض اخر صفقة ممن قطع يمينه بشماله وقتل عمه الذى هو بمنزلة ابيه) واكد الحسيني ان قارود خنق بدون علم ملكشاه . اما ابن خلدون فذكر ان سعد الدولة كوهرائين امر بقتل قارود خنقا ، انظر جـ٥ ص٧ بينما يؤكد ابن الجزري في (ملخص تاريخ الاسلام ص٤٥٢) ان ملكشاه هو الذى امر بخنق عمه قارود . ويسميه قاروت بك

(١٩) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص٥٨

وارتفعت منزلة نظام الملك بعد هذه الموقعة وعلت مكانته عند السلطان ملكشاه فأطلق يده وفوض اليه الامور كبيرها وصغيرها ، واقطعه طوس مسقط رأسه وافاض بالخلع ، ولقبه بالاتابك أي الامير الوالد[٢٠] .

ب ـ سياسة ملكشاه التوسعية في بلاد الشام والقضاء على النفوذ الفاطمي:

كانت سياسة ملكشاه تهدف الى توسيع دولة السلاجقة وبسط نفوذها على جميع انحاء العالم الاسلامي والقضاء على الخلافة الفاطمية واجتثاث جذورها ، وبدأ ببلاد الشام تمهيدا للاستيلاء على مصر واسترجاع ما فقدته الخلافة العباسية من البلاد[٢١] .

ومن الجدير بالذكر انه سبق لملكشاه إن توجه لفتح الشام اثناء حكم والده الب ارسلان في سنة ٤٦٣هـ واسند الى احد امرائه وهو اتسز الخوارزمي (التركماني) هذه المهمة ، ففتح الرملة وبيت المقدس ، كما حاصر دمشق الا انه لم ينجح في الاستيلاء عليها[٢٢] .

فلما تولى ملكشاه الحكم عاد اتسز الى دمشق وحاصرها في رمضان من سنة ٤٦٧هـ ، الا انه لم ينل منها شيئا ، فأنصرف عنها في شوال من السنة المذكورة ثم حدث ان فر أميرها المعلى بن حيدرة الى بانياس ومنها الى صور ثم حمل الى مصر حيث حبس ومات في سجنه ، وقيل ان سبب هربه من دمشق يرجع الى سوء سيرته مع الجند والرعية فثار به العسكر واعانهم العامة ، فلما هرب المعلى اجتمعت المصامدة وولوا عليهم الامير انتصار بن يحيى المصمودي المعروف برزين الدولة ، فدب الخلاف بين المصامدة

(٢٠) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٨ص٢٧٨ .
(٢١) جمال الدين سرور ، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ص٦٠ ، عبدالنعيم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ص٦٤ .
(٢٢) ابن الاثير الكامل جـ١٠ص٦٨ ، ابن الجزري ، ملخص تاريخ الاسلام ص٤٤٨ .

واحداث البلد ، واضطربت الاحوال بدمشق ، فأغتنم اتسز هذه الفرصة واسرع بمحاصرة دمشق في شعبان من سنة ٤٦٨هـ وضيق على اهلها فعدمت عندهم الاقوات ، واضطروا الى تسليم المدينة بالامان ، فدخلها في ذي القعدة عام ٤٦٨هـ وعوض انتصار بن يحيى عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا على الساحل وخطب للخليفة المقتدى بأمر الله(٢٣) ، وتغلب على كثير من مدن الشام(٢٤) .

وبعد ان اطمئن اتسز الى استقرار الامر له في الشام جهز في العام التالي (أي ٤٦٩هـ) جيشا زحف به الى مصر بعد ان اغراه ابن بلد كوز بفتحها وكان هذا الاخير قد احتمى به بعد وصول بدر الجمالي الى مصر(٢٥) ، فتوغل اتسز في الاراضي المصرية دون ان يلقى مقاومة تذكر ثم عسكر خمسين يوما في الدلتا بدلا من ان يواصل زحفه الى القاهرة وكان بدر الجمالي وقتئذ منشغلا بأخماد بعض الثورات في بلاد الصعيد ، فلما علم بنزول اتسز مصر استعد لمواجهته واشتبك معه في معركة انتهت بهزيمة اتسز وفراره الى غزة ، واقام اتسز بالرملة حيث التحقت به عساكره ثم قفل عائدا الى دمشق(٢٦) .

واغتنمت بعض المدن الشامية هزيمة اتسز على ايدي المصريين فشقت عليه عصا الطاعة وعادت الى اعلان ولائها للفاطميين ، وحدث نفس الشيء

---

(٢٣) بويع للخليفة المقتدى بامر الله عبدالله بن محمد بن القائم بامر الله بعد وفاة والده القائم في شعبان من سنة ٤٦٧هـ .

(٢٤) ابن القلانسي ، ص١٠٨ ، ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٩٩ـ١٠٠ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة جـ٥ص١٠١ـ الذهبي ، العبر جـ٣ص٢٦٦

(٢٥) ابن ميسر : تاريخ مصر ص٢٤ .

(٢٦) ابن القلانسي ، ص١٠٩ـ١١٢ ، ابن الاثير الكامل جـ١٠ص١٠٣ـ١٠٤ ابن خلدون جـ٥ص١٩٤ .

بالنسبة لبيت المقدس فأضطر اتسز الى محاربة اهلها وفتح البلد عنوة بعد ان قتل من سكانها عددا كبيرا[٢٧] .

وكان ملكشاه قد اقطع اخاه تتش بلاد الشام في سنة ٤٧٠هـ ، وأذن له بفتح الاقاليم المجاورة ، فسار تتش في طليعة سنة ٤٧١هـ (١٠٧٨م) نحو حلب وحاصرها فأنتهز الفاطميون هذه الفرصة وارسل بدر الجمالي الى الشام جيشا بقيادة نصر الدولة في محاولة لاستعادة دمشق من السلاجقة . فأستولى على اعمالها واعمال فلسطين وأحدق الجيش الفاطمي بدمشق واضطر اتسز الى طلب النجدة من تاج الدولة تتش ، فنهض لنجدته ، فلما علم الفاطميون بأقترابه انسحبوا دون قتال وخرج اتسز لاستقباله ، فأمر تتش بقتله بحجة تأخره في الخروج للقائه ويبدو انه اراد التخلص منه ، ودخل دمشق واحسن الى اهلها واتخذها مقرا له واسس بذلك دولة سلاجقة الشام[٢٨] .

وخرج تتش الى حلب فأقام على حصارها عدة ايام دون ان يتمكن من افتتاحها فتركها في ربيع الاول من سنة ٤٧١هـ ، وعبر الفرات الى ديار بكر فأستولى على حصن بزاغة وألبيرة واحرق ريض عزاز ثم عاد بعدها الى دمشق[٢٩] .

وكان شرف الدولة مسلم بن قريش ــ امير الموصل ــ يطمع في امتلاك حلب ، فكان يمد اهلها بالغلات والاقوات اثناء قيام تتش بحصار المدينة ، فحفظ اهلها ذلك لشرف الدولة ، وارسلوا يستدعونه اليهم ، فسار الى حلب سنة ٤٧٣هـ وتمكن من دخولها وارسل ولده الى السلطان ملكشاه يسأله الموافقة على ضم حلب الى املاكه على ان يؤدي للسلطان ثلاثمائة الف دينار

---

(٢٧) ابن الاثير الكامل ج١٠ص١٠٣ .

(٢٨) ابن القلانسي ، ص١١٢ ، بابن الاثير ، الكامل ج١٠ص١١١ ، ابو الفدا ، المختصر ج٢ص١٩٤ ، ورد في تاريخ دمشق لابن عساكر ان تتش دخل دمشق سنة ٤٧٢هـ .

(٢٩) نفس المصدر ص١١٣ ، ابن العميد تاريخ المسلمين ص٢٨٢-٢٨٣ .

سنويا ، فأجابه السلطان الى ذلك[٣٠] . واقطع ابن مسلم مدينة بالس[٣١] .

ج ـ سياسة ملكشاه ازاء اقليم الجزيرة وديار بكر :

عهد السلطان ملكشاه الى فخر الدولة بن جهير في سنة ٤٧٦هـ بأنتزاع منطقة ديار بكر من بني مروان واذن له بأن يخطب فيها لنفسه وينقش اسمه على السكة ، فنهض ابن جهير بعساكر السلطان في اواخر العام المذكور ، وامده ملكشاه فيما بعد بفرقة بقيادة ارتق بن اكسب في طليعة سنة ٤٧٣هـ مساعدة له على حرب بني مروان[٣٢] .

ولكن ابا المظفر منصور بن مروان استنجد بشرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل وتعهد له بان يتنازل عن مدينة امد ثمنا لنجدته[٣٣] ، فوافق شرف الدولة على هذه الشروط على الرغم من العلاقات العدائية التي كانت قائمة بينهما ورحل نحو آمد وكان فخر الدولة ابن جهير ينزل انذاك بنواحيها ، فكتب الى ابن مروان وحليفه يدعوهما الى الجنوح للسلم حقنا للدماء ، وتفاديا لما تسببه الحرب من اضرار تلحق بالعرب وارسل يقول : « لا اثر ان يحل بالعرب بلاء على يدي »[٣٤] ، ويبدو ان التركمان اتباع ارتق بن اكسب اطلعوا على ما كان يجري من اتصالات بين ابن جهير وابن مروان وحليفه صاحب الموصل وتبين لهم ان ابن جهير غير راغب في

---

(٣٠) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٨ص٣٢٣ ابن الاثير الكامل جـ١٠ص١٤ـ١١٩ ابن خلدون جـ٥ ص١١٥ .

(٣١) ابن الاثير الكامل جـ١٠ص١١٥ .

(٣٢) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ ص١٢٩ـ١٣٤ تأسست امارة بني مروان سنة ٣٨٠هـ وهى امارة كردية اسسها باذ الكردى ومن اشهر مدنها ميافارقين وآمد (الفارقي ص٥٩ـ٦٠) .

(٣٣) البندارى ، تاريخ دولة ال سلجوق ص٦٩ـ٧٠ .

(٣٤) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص١٣٤ .

قتالهما فعز عليهم العودة دون ان يملئوا ايديهم بالغنائم التي كانوا يرجونها من وراء هذه الحرب ، فنهضوا الى القتال ليلا واحاطوا بالعرب في ربيع الاول من عام ٤٧٧هـ ، واشتدت الحرب بين الطرفين ، ولم يشهدها فخر الدولة بن جهير ، وانتهت المعركة بهزيمة شرف الدولة ، فتراجع الى آمد واحتمى بفصيلها . فأحاط به فخر الدولة واصحابه ، فخاف على نفسه من الهلاك وارسل الى الامير ارتق بن اكسب يعرض عليه الاموال ويلتمس منه المساعدة للخروج من آمد والنجاة بنفسه ، فأذن له بالخروج في الحادي والعشرين من ربيع الاول ، فقصد الرقة وارسل الى ارتق بما كان قد وعد به اما فخر الدولة بن جهير فقد سار الى ميافارقين وكان معه من الامراء بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة ، فعاد الى العراق في حين سار فخر الدولة الى خلاط[٣٥] .

ولما علم ملكشاه ، بخبر الهزيمة التي منى بها صاحب الموصل وقيام فخر الدولة بمحاصرته في آمد انفذ عميد الدولة ابن جهير في جيش كثيف الى الموصل وكاتب الامراء التركمان يأمرهم بطاعته فسير معه قسيم الدولة اقسنقر[٣٦] ، وانضم اليه ارتق بن اكسب وكان في طريقه الى السلطان ، ولما وصل عميد الدولة الى الموصل ارسل الى أهلها ينصحهم بطاعة السلطان ، ففتحوا له المدينة وسلموها اليه ، ثم سار ملكشاه بنفسه الى بلاد مسلم العقيلي ليستولى عليها ، فأتاه الخبر بخروج اخيه تكش واعلانه العصيان ،

---

(٣٥) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ ص١٣٤–١٣٥ ، ابن الوردى تتمة المختصر جـ١ص٥٣٠–٥٣١ ، ابن خلدون جـ٥ص١٣–١٤ .

(٣٦) هو قسيم الدولة اقسنقر بن عبدالله والدعماد الدين زنكى مؤسس دولة الاتابكة في الموصل وكان اقسنقر هذا تركيا من اخص اصحاب ملكشاه بن الب ارسلان انظر : ابن الاثير ، الباهر ص٤ ابن واصل مفرج الكروب جـ ١ ص١١ .

فعدل عن خطته في قتال صاحب الموصل . وعقد معه الصلح واقره على بلاده في اواخر رجب عام ٤٧٧هـ ، فعاد مسلم العقيلي الى الموصل[٣٧] .

وفي رمضان من سنة ٤٨٤هـ ، سار ملكشاه الى بغداد ، وهـذه هـي المرة الثانية التي يدخل فيها ملكشاه بغداد ، فنزل بدار المملكة ووصل اليـه اخوه تاج الدولة تتش وقسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب والامـير بوزان صاحب الرها ، وعدد من امراء الاطراف ، وفي اثناء مقام السلطان ببغداد امر بتشييد جامع السلطان فأبتدىء في عمارته في المحرم سنة ٤٨٥هـ[٣٨] .

ثم اذن ملكشاه للامراء بالعودة الى بلادهم واشار على الامير قسـيم الدولة اقسنقر والامير بوزان ان يسيرا مع عساكرهما في خدمة تاج الدولـة تتش لاستكمال فتح ما بقى للمستنصر بالله الفاطمي بساحل الشام ، ثـم التوجه بعد ذلك الى مصر . وكان بدر الجمالي قد تمكن من الاستيلاء على معظم مدن الشام الساحلية في سنة ٤٨٢هـ ،فسار تتش بمن معه من الامراء الى الشام في بداية سنة ٤٨٥هـ ، فنزل على حمص وبها ابن ملاعب فحصرهـا وضيق على اهلها وامتلك المدينة واعتقل ابن ملاعب وولديه وتقدم الى قلعة عرقة فأستولى عليها عنوة . ثم استولى على قلعة افامية واتجه الى طرابلس، وكانت بيد جلال الملك بن عمار ، الا ان تتش اضطر للرحيل عنهـا بسـبب اختلافه مع قسيم الدولة اقسنقر ، وعاد امراء العسكر كل الى بلده[٣٩] .

جـ ـ نهاية الوزير نظام الملك ثم وفاة ملكشاه واثره في الدولة السلجوقية:

وفي رمضان من سنة ٤٨٥هـ ـ ١٠٩٢م قتل الوزير نظام الملك ابو علي

---

(٣٧) ابن القلانسي ، ص١١٧ ، ابن الاثير الكامل جـ١٠ص١١ ، ابن الوردي ، تتمة المختصر جـ ١ ص٥٣١ .

(٣٨) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص١٩٩ـ٢٠٠ ، ابن الوردي ، تتمة المختصر جـ ٢ ص ٧ .

(٣٩) نفس المصدر جـ ١٠ ص٢٠٢ـ٢٠٣ ، نفس المصدر ، تتمة جـ٢ص٨

الحسن بن علي بن اسحق الطوسي بالقرب من نهاوند بيد احد الباطنية اتاه في صورة متظلم مرتديا ملابس الزهاد يطلب مساعدة الوزير ، فلما اقترب منه ضربه بسكين فقضى عليه وهرب ، فعثر بطنب خيمة ، فادركوه فقتلوه ، وقيل ان وراء مصرع نظام الملك السلطان ملكشاه نفسه[٤٠] ، اذ كانت العلاقات قد ساءت بينه وبين الوزير بسعاية منافسيه الذين اوغروا صدر السلطان ضده ، وظهر من السلطان ملل واراد عزله فلم يقدر على ذلك لميل العساكر والاجناد اليه،وكان الوزير نظام الملك قد زادت مماليكه على عشرين الف فلما عجزوا عنه اوثبوا عليه رجلا ديلميا في صورة مستمنح ضربه بسكين كما ذكر وحسب السلطان وتاج الملك[٤١] ان الدنيا قد صفت لهما[٤٢] .

والواقع ان مكانة نظام الملك كانت قد تزعزعت في ايامه الاخيرة لاسباب عديدة منها سيطرة ابنائه واتباعه على مرافق الدولة المختلفة واستغلالهم لنفوذ نظام الملك ومكانته عند السلطان ، وكان نظام الملك قد تقدمت به السن فبلغ السابعة والسبعين تقريبا ، فلم يكن في وسعه السيطرة على اقاليم الدولة الواسعة والقيام باعبائها فعهد لابنائه واقاربه ادارة اقاليم الدولة السلجوقية ، فأساء هؤلاء السيرة وتجاوزوا صلاحياتهم ويظهر ذلك واضحا في الرسالة الموجهة من ملكشاه الى نظام الملك فجاء فيها : « ان كنت شريكي في الملك ، ويدك مع يدي في السلطنة فلذلك حكم ، وان كنت نائبي وبحكمي، فيجب ان تلزم حد التبعية والنيابة وهؤلاء اولادك قد استولى كل واحدمنهم

---

(٤٠) ابن الجوزي ، المنتظم ج٩ص٦١ ـ البنداري ، تاريخ دولة ال سلجوق ص٦٢ـ الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص٦٧

(٤١) هو ابو الغنائم المرزبان بن خسرو وقد قتل في ذي الحجة من السنة نفسها (٤٨٠هـ) بيد غلمان نظام الملك لما كانو ينسبون اليه من قتل نظام الملك (ابن الجوزي ، المنتظم ج٩ص٧٤) .

(٤٢) الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص٦٧ .

على كورة عظيمة • وولى ولاية كبيرة ، ولم يقنعهم ذلك ، حتى تجاوزوا امر السياسة وطمعوا الى ان فعلوا كذا وكذا »(٤٣) •

وكان السبب الذي دفع ملكشاه الى توجيه هذا الخطاب الى نظام الملك وصول شحنة مرو ويدعى (قودن) وكان من اكبر مماليك ملكشاه مستغيثا بالسلطان من عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك وكان عثمان هذا يتولى رئاسة مرو من قبل جده فقبض على شحنة مرو وسجنه ثم اطلقه فتوجه الى السلطان شاكيا ، فانفذ هذا الخطاب الى وزيره نظام الملك (٤٤)

ونضيف الى هذا السبب سببا اخرا كان له اثره في اضعاف مكانة نظام الملك • ذلك هو خلافه مع تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه حول ولاية العهد • فقد كان الوزير يسعى الى جعلها لبركياروق الابن الاكبر للسلطان فى حين تعمل تركان خاتون على جعل الولاية لولدها محمود ،الذي كان انذاك طفلا لايتجاوز الرابعة من العمر ، فادى ذلك الى كراهية تركان خاتون لنظام الملك وانضمامها الى اعدائه ، واوغرت صدر ملكشاه ضده ، وكانت تركان هذه تتمتع بنفوذ واسع لدى السلطان وتتدخل في السياسة وفى مختلف امور الدولة فنجحت فى التأثير عليه حتى تغير على وزيره وفكر فى اقصائه •

والواقع ان مكانة الوزير نظام الملك في الدولة السلجوقية قد ظهرت بوضوح بعد مصرعه ، وبدأت صفحة جديدة من تاريخها اتسمت بالتفكك والضعف ، فقد كان نظام الملك طيلة عهد الب ارسلان وملكشاه يشرف بنفسه على رسم سياسة الدولة فى الداخل والخارج ، واستطاع بحسن سياسته وسلامة تفكيره ودقة تدبيره ان يجعل من السلاجقة اكبر قوة في العالم الاسلامي ، ولم تقتصر مكانة نظام الملك على الناحية السياسية فحسب بل ترك اثارا بعيدة فى النواحى الاجتماعية والثقافية (٤٥)

---

(٤٣) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٢٠٥
(٤٤) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ ص٢٠٥
(٤٥) الراوندى ، راحة الصدور ص١٣٤

سار ملكشاه الى بغداد بعد مقتل وزيره نظام الملك في الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٨٥هـ ، واستقبله عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة . فخرج الى الصيد وعاد ثالث شوال مريضا ، ثم مالبث ان توفى في النصف من شوال . وقيل في سبب وفاته انه اكل لحم صيد فحم وافتصد،ولم يستوف اخراج الدم فثقل مرضه ، وكانت حمى محرقة ، فتوفى ليلة الجمعة النصف من شوال [٤٦] وذكر بعض المؤرخين ان ملكشاه مات مسموما بتدبير من (خردك) احد اتباع نظام الملك [٤٧] وبوفاة ملكشاه فقد السلاجقة ركنا هاما من اركان الدولة السلجوقية وانتهى بوفاته عهد القوة والاتحاد ليبدأ عهد جديد من الضعف والانقسام والتنازع بين افراد البيت السلجوقي ، فاشتغل خلفاؤه من بعده فى اخماد الفتن والثورات ، ولم تعد الدولة السلجوقية تخضع لسلطان واحد بل يتنازعها اكثر من سلطان فى وقت واحد [٤٨]

وكان ملكشاه بحق من اعظم سلاطين السلاجقة اذ بلغت الدولة فى عهده اقصى درجات القوة والاتساع ، فصارت تمتد من بحيرة خوارزم شمالا الى حدود اليمن جنوبا ومن حدود الصين شرقا الي سواحل البحر الابيض المتوسط غربا ، وحمل له ملوك الروم الجزية [٤٩] ، وملك من الاقاليم ما لم يملكه احد من السلاطين [٥٠]

---

(٤٦) عبدالنعيم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ص٨٠ـ٨١

(٤٧) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٢١٠ .

(٤٠) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٩ص٧٤ الذهبى ، العبر جـ٣ص٢٠٩ـ ابن تعزي بردى ، النجوم الزاهرة جـ٥ص١٣٥ .

(٤٩) عبدالنعيم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ص٨٤ .

(٥٠) ابن خلدون ، جـ٥ص٧ ٢

(٣)

برزت مشكلة التنافس على العرش بعد وفاة ملكشاه ، وكان التنافس منحصرا بين بركياروق الابن الأكبر لملكشاه يؤيده اتباع نظام الملك وبين اخيه الاصغر محمود ابن تركان خاتون يناصرها الوزير تا جالدين الشيرازي الذي خلف نظام الملك في منصبه [٥١]

وساعدت الظروف انذاك تركان خاتون فنجحت في اخذ البيعة لولدها محمود فقد توفي ملكشاه ببغداد مركز الخلافة في حين كان بركياروق في اصفهان ، فكتمت تركان خاتون خبر وفاة زوجها ورحلت عن بغداد ومعها السلطان محمود دون ان يعلم به احد ، وبذلت الاموال للامراء واستحلفتهم لابنها محمود يعاونها في ذلك الوزير تا جالدين الشيرازي ، ثم بادرت بانفاذ قوام الدولة كربوقا الى اصبهان ومعه خاتم السلطان ملكشاه . فاستنزل مستحفظ القلعة وتسلمها منه ، موهما اياه بانه مكلف من قبل السلطان ملكشاه نفسه [٥٢] وارسلت الى الخليفة المقتدى تسأله الخطبة لولدها محمود . ولم تزل بـه حتى اجابها الى طلبها ، الا انه اشترط ان تكون السلطنة لولدها والخطبة له ويكون للامير انر تدبير الجيوش ورعاية البلد ، وتكون جباية الاموال وترتيب العمال الى تاج الملك ، ويبدو ان تركان خاتون امتنعت في بادىء الامر عن قبول هذه الشروط فقد كانت تريد ان تكون الامور بيد ولدها محمود ، الا ان الخليفة اصر على موقفه وقال :

« هذا لايجيزه الشرع » ، وكان يتولى الوساطة بينها وبين الخليفة

---

(٥١) ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة جـ٥ص١٣٥ .

(٥٢) عبدالنعيم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ص٨٤ .

ما كاد يدخل القلعة حتى امتنع بها خوفا من العسكر فساروا عنه ، ونهبوا خزائنه فلما بلغوا اصفهان لحق بهم تاج الملك وابدى اعتذاره للخاتون معللا تاخره بان مستحفظ القلعة اعتقله ولكنه تمكن من الافلات فقبلت عذره لحاجتها اليه في مثل هذه الظروف التي تواجهها (٥٥)

ولما علم بركياروق باقتراب تركان خاتون وابنها محمود من اصفهان خرج مع اصحابها النظامية الى الري فانضم اليه في الطريق بعض الامراء النظامية وبفضل مساعدتهم تمكن من الاستيلاء على قلعة طبرك عنوة ثم التقى بعساكر اخيه محمود بالقرب من بروجرد في السادس عشر من ذي الحجة سنة ٤٨٥هـ ، وانحاز الى بركياروق جماعة من امراء محمود فرجحت كفته وانتهى الامر بانهزام عسكر محمود وقع ووزيره تاج الملك اسيرا في ايدي الغلمان النظامية فقتلوه في المحرم من سنة ٤٨٦هـ وقيل ان بركياروق لم يكن راغبا في قتله لما كان يعلمه من كفايته واراد ان يستوزره الا ان النظامية اصروا على الانتقام لصاحبهم نظام الملك (٥٦)

ب تدخل تتش في الصراع حول العرش السلجوقي :

كان تتش قد رحل عن دمشق الى بغداد للقاء اخيه ملكشاه ، فلماوصل الى بلدة هيت بلغه خبر وفاة اخيه ، فاستولى على هذه المدينة ، ثم قفل راجعا الى دمشق ليستعد للظفر بالسلطنة ، ثم خرج على رأس عساكره الى حلب ، ورأى صاحبها قسيم الدولة اقسنقر بانه لاقبل له بمقاومة تتش ولاجدوى من مخالفته خاصة بعد ان وصلته الانباء باختلاف اولاد ملكشاه ، فصالحه ،وارسل الى ياغي سيان صاحب انطاكية والامير بوزان صاحب الرها وحران يشير

---

(٥٥) نفس المصدر ، المنتظم ج٩ص٦٣ ، الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ٧٥ .

(٥٦) ابن الاثير الكامل ج١٠ص٢١٥ ، ابن خلدون ج٥ص٢٨-٢٩ .

ابو حامد الغزالي الذي اقنعها بالموافقة على شروط الخليفة وافهمها بعدم جواز ولاية ابنها لانه طفل صغير دون الخامسة من عمره ، فقبلت ، وخطب لمحمود بالسلطنة فى اليوم الثانى والعشرين من شوال سنة ٤٨٥هـ ، ولقب بناصر الدنيا والدين ، وترتب على وزارته تاج الملك ابو الغنائم المرزبان بن خسرو ، وارسل الخليفة اليه الخلع مع عميد الدولة فافاضها على محمود وابلغ والدته بتهنئة الخليفة (٥٣)

الا ان تركان خاتون لم تطمئن الى بقاء بركياروق طليقا ، وخشيت ان ينازع ولدها محمود في السلطنة فاوعزت الى اتباعها فى اصفهان بالقبض على بركياروق وايداعه السجن ، واطمئنت الى هذا التدبير وظنت ان ابنها قد انفرد بالسلطنة وانه اصبح فى مأمن من أي منافسة ، ونسيت مايكنه المماليك النظامية (اتباع نظام الملك) من كراهية لتاج الملك وزير ابنها لما كانوا يعرفونه من عدائه الشديد لنظام الملك فما لوا الى بركياروق واستولوا على ما كان لدى نظام الملك من الاسلحة في اصفهان وثاروا فى المدينة ثم اخرجوا بركياروق من سجنه وخطبوا له باصفهان وبذلك اصبح للسلاجقة سلطان في وقت واحد احدهما في بغداد والاخر في اصفهان ، واصبحت المواجهة بينهما محتومة (٥٤) وكانت تركان خاتون انذاك في طريقها الى اصفهان مع ولدها السلطان محمود ووزيره تاج الملك فطالب العسكر تاج الملك بعطائهم فوعدهم بدفعه فلما وصلو قلعة برجين صعد تاج الملك بحجة احضار الاموال ولكنه

---

(٥٣) ابن الجوزي ، المنتظم ج٩ص٦٢ ابن الاثير الكامل ج١٠ص٢١١ ، السيوطى تاريخ الخلفاء ص٤٢٥ كان لملكشاه اربعة اولا هم : بركياروق ومحمد وسنجر ومحمود (الحسينى اخبار الدولة السلجوقية ص٧٤) وذكر ابن الجوزي ان عمر محمد كان خمس سنين وعشرة اشهر فى حين ذكر ابن الاثير ان عمره كان اربعة سنين وبضعة اشهر .

(٥٤) ابن الجوزي ، المنتظم ج٩ص٦٢-٦٣ ،ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص ٢١ ، السيوطى تاريخ الخلفاء ص٤٢٥ .

عليهما بطاعة تتش والانظمام اليه انتظارا لما ينتهى اليه الصـراع بيـن اولاد صاحبهم ملكشاه ، فوافقاه على ذلك وخطبوا لتاج الدولة في بلادهما ، ثـم اسرعا بموافاته ، فتقوى بهما ، ولم يلبث ان قصد الرحبة واحكم الحصار حولها ونجح فى الاستيلاء عليها فى المحرم سنة ٤٨٦هـ وخطب له فيها بالسلطنة ثـم تقدم الى نصيبين فملكها عنوة وسلمها للامير محمد بن شرف الدولة العقيلي في صفر سنة ٤٨٦هـ وتفرغ بعد ذلك للموصل ، وبدا بالكتابة الى صاحبهـا ابراهيم بن قريش بن بدران العقلي (٥٧) يامره بان يخطب له في بلاده ويسمح له بالمرور الى بغداد الا ان صاحب الموصل رفض طلب تتش واستعد للقائه (٥٨) ودارت بين الفريقين معركة شديدة في موضع على نهر الهرماس في ربيع الاول سنة ٤٨٦هـ وكان الامير بوزان على ميسرة تتش وقسيم الدولة في الميمنـة ، فانهزم بوزان مع الميسرة ، فحمل قسيم الدولة على عسكر الموصل واوقع بهم واسر ابراهيم بن بدران مع عدد من الامراء والمقدمين مـن بنـي عقيـل ، فقتلـوا صـبرا (٥٩) .

ويشير ابن القلانسي الى ذلك بقوله ، واستولى النهب والسلب والسبي على من وجد في المخيم وامتلات الايدي من الغنائم والسواد والمواشي والكراع بحيث بيع الجمل بدينارا واحدا والمائة شاه بدينار واحد ولم يشاهد ابشع من

---

(٥٧) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٩ص٦٢ ، الراوندى راحة الصدور ص١٠٧ ، ابن العبـرى تاريخ مختصر الدول ص١٩٤

(٥٨) ابن القلانسي ص١٢٢ ،ابن الجوزي ، المنتظم جـ٩ص٧٦ــ٧٧ ، ابن الاثير الكامل جـ١٠ص٢١٩ــ٢٢٠

(٥٩) ذكر ابن الاثير (الكامل جـ١٠ص٢٢١) انه كان مع صاحب الموصـل ثلاثين الفا ، اما عساكر تتش فكانت لاتتجاوز العشرة الاف .

هذه الوقعة ولا اشنع منها في هذا الزمان [٦٠] ، ثم رحل تتش الى ديار بكر بعد ان استناب بالموصل عليا بن شرف الدولة العقيلي[٦١] واستولى على امد واقام فيها اياما رحل بعدها الى ميافارقين فنزل قريبا منها وارسل الى اهلها يدعوهم الى التسليم ويذكرهم بما جرى على اهل نصيبين من القتل ، ثم زحف نحو المدينة وقصد برج علي بن وهب ، « فحين رآه الناس صاحوا باسرهم وسلموا اليه البلد » في شهر ربيع الاول من سنة ٤٨٦هـ[٦٢]

ولم يبق امام تتش سوى التوجه الى اذربيجان لمواجهة ابن اخيه بركياروق الذي تمكن من الاستيلاء على الري وهمدان وما بينها ، فلما علم بمسير تتش اليه خرج للقائه غير ان تتش ما كاد يصل الى تبريز حتى فارقه قسم الدولة وبوزان وانحازا الى بركياروق وذكر ابن الاثير ان قسيم الدولة قال لبوزان : انما اطعنا هذا الرجل (تتش) لنظر مايكون من اولاد صاحبنا (يعني بذلك ملكشاه) ، والان فقد ظهر ابنه ، ونريد ان نكون معه ، فاتفقا على ذلك وفارقا تتش وصارا مع بركياروق [٦٣] ، ولكن ابن العديم يذكر ان سبب مفارقتهما لتتش يرجع الى انه كان يميل الى ياغي سيان ويقربه اليه ،

---

(٦٠) ابن الاثير الكامل جـ١٠ ص٢٢٠–٢٢١ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب جـ٢ ص١٠٨ ، وذكر ابن العديم ان اللقاء حدث في دارا بين نصيبين وماردين ، كما ذكر الفارقي (تاريخ آمد وميافارقين ص٢٣٣) ان الامير حسين بن نصر الدولة بن مروان قتل مع ابراهيم بن بدران هو وجماعة من اكابر الامراء والعرب وكانوا عشرون اميرا .

(٦١) ابن القلانسي ص١٢٣ ،ويذكر ابن القلانسي ان بنى عقيل وفدوا على بركياروق شاكين مانزل بهم على يد عمه تتش .

(٦٢) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٢٢١ ابن الجزري ملخص تاريخ الاسلام ص٤٧٥ ، ويذكر ابن القلانسي ان عليا هذا مع امه عند بركياروق انذاك (ص١٢٣) .

(٦٣) الفارقي ، تاريخ آمد وميافارقين ص٢٣٦ .

وأنه اهمل امرهما ولم يوليهما ايا من البلاد التي افتتحها [٦٤] ويؤيد ابن القلانسي ذلك القول ويذكر ان قسيم الدولة وبوزان فارقا تتش مغاضبين وقصدا ناحية السلطان بركياروق [٦٦] ونعتقد ان رواية ابن العديم هي اقرب الروايات الى الواقع اذ لايخفى ان ولاء الامير مرهون بما يحصل عليه من زيادة الاقطاع من هذا السلطان او ذاك ، ولم يجد قسيم الدولة وبوزان ما كان يطمعان به من زيادة الاقطاع وارتفاع منزلتهما عند تتش . بل اهمل امرهما، ولم يحصلا على شيء من البلاد التي افتتحت بمساعدتهما ، ونضيف الى ماسبق من اسباب سببا اخر هو ما كان يحفظه كل من قسيم الدولة وبوزان من مشاعر الولاء والاخلاص للسلطان ملكشاه ، فانحازا الى ولد بركياروق اعترافا بفضل والده « فقد كانت سيرة ملكشاه عندهم كالشريعة المتبعة فاعظم الناس عندهم اكرثهم اتباعا لسيرته»[٦٧] .

وشعر تتش بضعفه وعجزه عن مواجهة بركياروق بعد ان انضم اليه قسم لايستهان به من عساكره ، فقرر العودة الى الشام مؤقتا ريثما يعيد تنظيم قوته ، فوصل دمشق وعكف على الاستعداد لمعركة فاصلة مع بركياروق [٦٨]

أما بركياروق فقد واجه حركة اخرى تزعمها خاله اسماعيل ياقوتي بن داود امير اذربيجان بتحريض من تركان خاتون التي وعدته بالزواج منه ، الا ان بركياروق استطاع ان يلحق به الهزيمة واضطر اسماعيل للتراجع الى اصفهان حيث اكرمته تركان خاتون وخطب له ، وضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه ، الا ان اسماعيل مالبث ان رحل عن اصفهان

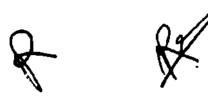
---

(٦٤) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٢٢٢ ،ابن الجزري ملخص الاسلام ص٤٧٥ـ (مخطوط) .
(٦٥) ابن العديم ، زبدة الحلب جـ٢ص١٠٨ـ١٠٩ .
(٦٦) ابن القلانسي ، ص١٢٤ .
(٦٧) ابن الاثير ، الباهر ص٢٤ .

خوفا على نفسه من الامير انر واصحابه وارسل اخته زبيدة والدة بركياروق، وطلب الاذن له في اللحاق بهم ، فاذنت له فوصل اليهم ، ثم كشف عن اطماعه في السلطنة امام قسيم الدولة وبوزان وعبر عن رغبته في قتل بركياروق، فوثبوا عليه وقتلوه فى شعبان من سنة ٤٨٦هـ (٦٨).

ورحل بركياروق بعد ذلك الى بغداد فدخلها فى القعدة من سنة ٤٨٦هـ وخرج الوزير عميد الدولة بن جهير لاستقباله ، وارسل الخليفة المقتدي بامر الله يطلب الخطبة فاجابه الى ذلك وخطب له فى الرابع عشر من المحرم سنة ٤٨٧هـ ولقبه « ركن الدين »و حمل اليه الوزير عميد الدولة الخلع ، فلبسها ثم لم يلبث ان توفى الخليفة المقتدي بامر الله فى اليوم التالي فجاة (١٥ محرم ٤٨٧هـ) ، وبويع لابنه المستظهر بالله فاعترف ببركياروق سلطانا على السلاجقة (٦٩)

وكان تاج الدولة تتش منهمكا فى جمع العساكر وحشد ما لديه من طاقات وامكانيات تهيىء له سبيل الظفر بالسلطنة وتحقق له النصر الحاسم على منافسة بركياروق ، فرحل نن دمشق فيربيع الاول من عام ٤٨٧هـ متوجها الى حلب ، فانضم اليه ياغى سيان صاحب انطاكية بالقرب من حماه حيث اقاما اياما ، تزوج خلالها الملك رضوان بن تتش من ابنة ياغى سيان ثم سار تتش ونزل في (تلمنس)(٧٠) فأقام عدة ايام قبل ان يشرع في مهاجمة قسيم الدولة اقسقر فى حلب (٧١) ، وكان قسيم الدولة قد احس بتحرك تتش نحوه فاستعد لقتاله والدفاع عن المدينة وفى نفس الوقت ادركه الامير بوزان



---

(٦٨) ابن الجزري ملخص الاسلام ٤٧٥ .

(٦٩) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٢٢٤ ، ابن خلدون جـ٥ص٣١ .

(٧٠) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٩ص٨٠ـ٨١ الحسينى ، اخبار الدولة السلجوقية ص٧٥

(٧١) تلمنس او تل منسى : حصن قرب معرة النعمان بالشام ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢ص٢١٤ .

في عساكر الرها ، والامير يوسف بن ابق صاحب الرحبة ثم امدهم بركياروق بالامير كربوقا .

فلما بلغ ذلك تتش رحل عن موضعه الى الحانوته ومنها الى الناعورة ثم تقدم الى ناحية الوداي ، فخرج قسيم الدولة فيمن معه والتقى بتتش عند نهر سبعين بالقرب من تل السلطان ، واشتد القتال بينهما ، فحمل اصحاب تتش على عسكر قسيم الدولة فانهزموا وتبعهم باقي العسكر وهرب كربوقا وبوزان الى حلب وتحصنا بها ، واستأمن يوسف بن ابق الى تتش ، أما قسيم الدولة فقد وقع في الاسر مع جماعة من خواصه ووزيره ابي القاسم بن بديع فاحضر قسيم الدولة بين يدي تتش فقال : « لو ظفرت بي ما كنت صنعت ؟ قال :كنت اقتلك فقال له : فانا احكم عليك بما كنت تحكم علي ،فقتله صبرا»(٧٢)

ثم زحف تتش نحو حلب ، وكان كربوقا وبوازن قد تحصنا بها ، وارسلا الى السلطان بركياروق يستنجدان به ، واحاطت قوات تاج الدولة بالمدينة وضيقت على اهلها فاضطربت احوالهم وتحيروا فيما يفعلونه (٧٣) ، فوثب جماعة منهم استهين بهم وكسروا باب المدينة ونادوا بشعار تاج الدولة فدخل الامير وثاب بن محمود بن صالح المدينة واقنع المقيم بقلعة الشريف بهتح حلب واخذ له الامان من تا جالدولة ، فدخل حلب في الحادي عشر من جمادي

---

(٧٢) كان قسيم وبوزان عرضا على بركياروق ان يسير معهما الى حلب والرها وحران ، فسار معهما الى الرحبة ، وعقد بينهما وبين علي بن شرف الدولة العقيلي حلفا ، فسار علي فيمن معه من بنى عقيل وفرقة من عسكر السلطان بركياروق مع قسيم الدولة فاوصلوه الى حلب في شوال سنة ٤٨٦هـ ، ومضى بوزان الى بلاده وعاد من كان معهما الى السلطان (ابن العديم ، زبدة الحلب جـ٢ص١٠٩ـ١١٠) .

(٧٣) ابن العديم زبدة الحلب جـ٢ص١١١ـ١١٢ ، ابن الجزري ، ملخص السلام ص٤٧٧ .

الاولى سنة ٤٨٧هـ (٧٤) ، ووقع كربوقا وبوزان اسيرين وارسل الى اهل الرها وحران يطلب اليهم التسليم ، فامتنعوا عن ذلك فامر تتش بقتل بوزان وانفذ رأسه اليهم وتسلم البلدين ، اما كربوقا فقد اكتفى بحبسه في حمص (٧٥) ، ويبدو ان ابقاء تتش على حياة كربوقا كان يستهدف استمالة حمية الامير انر من جهة او لانه لم يكن لكربوقا بلد يملكه اذا قتله من جهة اخرى كالشان بالنسبة لبوازن الذي كانت له حران والرها وقسيم الدولة صاحب حلب (٧٦)

وقد شجعت هذه الانتصارات تتش على السير الى ديار بكر ونجح في ضمها الى املاكه ثم رحل الى ميافارقين فقتل من بها من بني جهير ، لكنه عدل عن الموصل لان بركياروق كان مقيم بها انذاك ، ولم يشأ الاصطدام به ، بل توجه الى الري ،فانضم اليه عدد كبير من التركمان الذين كانوا يرافقون تركان خاتون وعددهم يزيد على عشرة الاف فارس تركي باصفهان ولما توفيت في رمضان ٤٨٧هـ انحازوا الى تتش (٧٧) وانضم اليه كذلك قسم من عسكر بركيانروق ،فتضاعفت قوته وثبت مركزه وخطب له بالسلطنة على منابر الشام وبغداد ، فاستولى على اذربيجان ثم سار الى همدان فملكها وارسل الى ولده رضوان بدمشق يامره بالسير اليه فيمن بقى معه من العساكر في الشام (٧٨)

اما بركياروق فقد رحل الى اصفهان فحاول اهلها منعه من الدخول ثم اذنوا له اخيرا وخرج اليه اخوه محمود ودخل معه البلد ، ولم يلبث محمود

---

(٧٤) نفس المصدر ج٢ص١١٧ .

(٧٥) ابن القلانسي ، ص١٢٦–١٢٧ ، ابن الاثير ، الكامل ج.١ص٢٣٢ .

(٧٦) ابن العديم ، زبدة الحلب ج٢ص١١٨ ، ابن الاثير ، الكامل ج.١ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ و ٢٥٨ .

(٧٧) ابن واصل ، مفرج الكروب ج١ص٢٧ ابو شامة ، الروضتين ج١ص٦٦

(٧٨) ابن الاثير ، الكامل ج.١ص.٢٤ .

ان توفى في شوال سنة٤٨٧هـ، وانضم انصاره الى اخيه بركياروق كما قصده الملك بن نظام الملك فاستوزره في ذي الحجة من السنة المذكورة ، وكان هذا الوزير قد ورث مقدرة ابيه وكفايته فبدأ نشاطه بالكتابة الى الامراء العراقيين والخراسانيين ، واستمالهم فانضموا الى بركياروق وخرج لقتال عمه تتش ، واشتبك معه على مسافة تبعد اربعة فراسخ من الري ،في السابع عشر من صفر سنة ٤٨٨هـ . ودارت الدائرة على اصحاب تتش واسر عدد كبير منهم ولقي تتش مصرعه على يد بعض اصحاب قسيم الدولة وحمل راسه الى بغداد (٧٩)

وبمقتل تتش تخلص بركياروق من اخطر منافس له واستقامت له السلطة بعد صراع عنيف استمر سنتين وبضعة اشهر ،الا ان آثار هذا الصراع لم تنته فقد تمزقت وحدة السلاجقة واصبحوا شيعا واحزابا ، يتناحرون فيما بينهم لاهم لهم سوى الظفر بالعرش بينما تخلوا عن اهدافهم التوسعية ، وقلدهم في ذلك وزراؤهم وقوادهم ، فتنافسوا وتناحروا للظفر بالوازرة او القيادة وبذلك تفككت الدولة السلجوقية واخذت تسير سيرا حثيثا نحو الضعف والاضمحلال (٨٠)

كان تتش قد ارسل الى ولده رضوان يطلب اليه موافاته بالعساكر ، فلما وصل رضوان الى (عانه) (٨١) بلغه مصرع ابيه تتش ، فاسرع بالعودة

---

(٧٩) ابن القلانسي ص١٢٧ ،ابن العديم ، زبدة الحلب جـ٢ص١١٨ .

(٨٠) نفس المصدر ، ص١٢٩–١٣٠ ، ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٢٤٤–٢٤٥ بن العديم زبدة الحلب جـ٢ص١١٨–١١٩ . ذكر الحسيني في اخبار الدولة السلجوقية ص٧٦ ان اللقاء بين تتش وبركياروق حدث عند قرية يقال لها (داشيلو) على مسافة تبعد نحو اثني عشر فرسخا من الرى .

(٨١) عبدالنعيم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ص٩٠ .

الى حلب خوفا من عساكر بركياروق وتسلمها من ابي القاسم بن بديع وزير ابيه ، واستعد للدفاع عن المدينـة [٨٢]

اما شمس الملوك دقاق الابن الثاني لتاج الدولة تتش فقد كان يرافق اباه في المعركة التي قتل فيها ، لكنه افلح في النجاة بنفسه واتجه الى حلب حيث اقام مدة مع اخيه رضوان فراسله ساوتكين الخادم[٨٣] سـرا ودعاه لتسلم دمشق ، فغادر دقاق حلب دون ان يعلم به احد ، فلما علم رضـوان برحيله ارسل وراءه فرقة من العسكر الا انها فشلت في اللحاق به وتمكـن دقاق من دخول دمشق واسرع ساوتكين الى تقديم فروض الطاعة له [٨٤]

وتم الاتفاق بين السلطان بركياروق والملك رضوان على ان يقـوم الاول باطلاق سراح الامير ظهير الدين طغتكين اتابك وعدد من الامراء من بينهم عضد الدولة ابق بن عبد الرازق[٨٥] ، مقابل ان يطلق رضوان سراح الامير قوام الدولة كربوقا فاطلق الاخـير مـن سـجنه في شـعبان مـن سنة ٤٨٨هـ [٨٦] كما وصل الامير طغتكين الى دمشق وخرج لاستقباله الملك دقاق مع عسكره ورجال دولته ، وبالغ في اكرامه والترحيب به « ورد اليـه النظر في الاتابكيه واعتمد عليه في تدبير المملكة » [٨٧] ثم لم يلبث الملك دقاق

---

(٨٢) عانه : بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد في اعمال الجزيرة وهي مشرفة على الفـرات وبها قلعة مشهورة حصينة ياقوت : جـ٣ص٥٩٤ .

(٨٣) ابن القلانسي ، ص١٢٧ ، ١٣٠ ، ابن الاثير الكامل جـ١٠ص٢٤٦ ، ابن العديم زبدة الحلب جـ٢ص١١٨ــ١١٩ ، ١٢٠ .

(٨٤) ساوتكين الخادم من مقدمي عسكر دمشق كان يتولى النيابة عـن تتش اثناء غيابه عـن دمشق (ابن القلانسي ص١٣٠) .

(٨٥) ابن القلانسي ص١٣٠ ، ابن الاثير الكامل جـ١٠ص٢٤٨ ، ابن العديم زبدة الحلب جـ٢ص١٢١ .

(٨٦) عضد الدولة ابق بن عبد الرازق احد مقدمي عساكر دمشق توفى في سنة ٥٠٢هـ (ابن القلانسي ص١٦٤) .

(٨٧) ابن العديم زبـدة الحلب جـ٢ص١٢١ــ١٢٢ .

ان اتفق مع طغتكين على التخلص من ساوتكين فامرا بقتله ، وتزوج طغتكين من صفوة الملك والدة دقاق وتولى دمشق والاتابكية للملك دقاق وحصل الامر جميعه اليه (٨٨) وبادر قوام الدولة بعد ان تخلص من سجنه مع اخيه التتتاش الى جمع العساكر فالتف حولهما عدد كبير من الجند المرتزقة وقصد حران فاستوليا عليها ثم ارسل اليهما محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي بنصيبين يستنصر بهما على الامير علي بن شرف الدولة صاحب الموصل فاسرع كربوقا الى اغتنام هذه الفرصة وقصد نصيبين فخرج للقائه محمد بن شرف الدولة واستحلف كربوقا واخيه لنفسه الا ان كربوقا غدر بالامير العقيلي بعد حلف اليمن ، وحمله معه الى نصيبين فدخلها بعد اربعين يوما من الحصار وسار بعد ذلك الى الموصل الا انه لم ينل منها شيئا فرحل عنها الى (بلد) (٨٩) ،حيث امر بقتل محمد بن شرف الدولة ثم عاد الى حصار الموصل ، فادرك علي بن شرف الدولة خطورة موقفه ، وشعر بضعفه أمام قوة كربوقا فارسل يستنجد بالامير جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فهب لنجدته . ولكنه انهزم امام قوات التونتاش قبل ان يصل الى الموصل فعاد الى الجزيرة منهزما ، ثم لم يلبث كربوقا ان استماله وانضم اليه في حصار الموصل فساءت الاحوال في المدينة « وعدمت الاقوات بها وكل شيء ، حتى مايوقدونه فاوقدوا القير وحب القطن (٩٠) ،وادرك علي بن شرف الدولة عبث المقاومة فرحل عن الموصل ملتجأ الى الامير صدقه بن مزيد صاحب الحلة ،فتمكن كربوقا من دخول الموصل في ذي القعدة من سنة

---

(٨٨) ابن القلانسي ، ص١٣١ ، الذهبي ـ العبر ج٣ص٣١٩ .

(٨٩) الفارقي ، تاريخ آمد وميافارقين ص٢٤٥ .

(٩٠) بلد : مدينة قديمة على نهر دجلة فوق الموصل بينهما سبعة فراسخ، ج٤ص٢٦٧ــ٢٦٨ .

٤٨٩هـ ، بعد تسعة اشهر من الحصار ، وكان اهل الموصل يخشون من انتقام التوتتاش اذ بلغهم انه يريد نهب المدينة ، وان كربوقا يمنعه من ذلك فاشتغل التوتتاش بالقبض على اعيان البلد ، وطالبهم بالودائع والاموال ، ويبدو ان قوام الدولة كربوقا ضاق بتصرفات اخيه وتطاولة عليه ، فتخلص منه لينفرد بحكم الموصل وامن الناس شره ، واحسن كربوقا السيرة فيهم [٩١]

وانهى كربوقا بذلك حكم بني عقيل في الموصل وازال نفوذهم من العراق والشام واصبحت الموصل منذ سنة ٤٨٩هـ جزءا من الدولة السلجوقية توالى على حكمها عدد من الولاة السلاجقة حتى سنة ٥٢١هـ ، حيث انتقل الحكم الى عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة اقسنقر مؤسس دولة الاتابكة في الموصل التي استمرت قائمة حتى سنة ٦٣١هـ .

---

(٩١) ابن الاثير الكامل جـ١٠ص٢٥٨ـ٢٥٩ ابن الوردى تتمة المختصر جـ٢ص١٣ ، ابن خلدون جـ٥ص٣٤ـ٣٥ .

٩٢ نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٢٥٩ ، ابن واصل مفرج الكروب جـ١ ص٢٨ـ ابو شامة ، الروضتين جـ١ص٦٧ ، الذهبى ، العبر جـ٣ص٣٢٤

البـــاب الثاني

الفصــــل الاول



الباب الثانـــي

العلاقات الخارجية لامارة الموصل

٤٨٩هـ ـ ٥٢١هـ

الفصـــل الاول :/العلاقات مع السلاطين السلاجقة

الفصـــل الثاني : العلاقات مع الخلافة العباسية

الفصـــل الثالث : العلاقات مع الامارات والمدن المجاورة

الفصـــل الاول

العلاقات مـع الســـلاطين الســلاجقة

تعاقب على حكم الموصل بعد سقوط دولة بني عقيل في سنة ٤٨٩هـ ـ ١٠٩٥م عدد من الامراء السلاجقة دام حكمهم حتى سنة ٥٢١هـ ـ ١١٢٧م ، عندما اقطع السلطان محمود بلاد الموصل واعمالها الامير عماد الدين زنكى بن قسيم الدولة آقسنقر [١]

وتعتبر سنة ٤٨٩هـ نهاية حكم الامراء العرب من بني عقيل في الموصل واقليم الجزيرة ، واصبحت هذه البلاد تحكم مباشرة من قبل السلاجقـــة الذين كانوا يقطعونها لاحد الامراء المقدمين عندهم على ان يرتبط هؤلاء ارتباطا مباشرا بالسلطان السلجوقي فيخطبون باسمه ويخضعون لاوامـره ويوفون بكافة الالتزامات المترتبة على هذا الاقطاع ، اما اذا فكر احدهـم بقطع صلته بالسلطنة والاستقلال بولايته فان ذلك كنيل بعزله عن الولاية، حتى ولوادى تنفيذ ذلك الى نشوب الحرب بينه وبين السلطان السلجوقي، كما يتضح ذلك من خلال تتبع العلاقات بين امراء الموصل والسلاطـــين السلاجقة في هذه المرحلة .

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم جـ١٠ص٥ ؛ ابن الاثير الباهر ص٣٤ ؛ ابو شامة الروضتين جـ١ص٧٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب جـ١ص٣٣

(١)

موقف قوام الدولة كربوقا من النزاع القائم بين السلطان بركيا روق واخيه السلطان محمد :

كان الامير قوام الدولة ابو سعيد كربوقا اول امراء السلاجقة الذين تولوا حكم الموصل وذلك بعد استيلائه عليها في ذي القعدة من سنة ٤٨٩هـ ، واعلن الخطبة على منابرها واعمالها باسم السلطان بركيا روق بن ملكشاه[٢] بدأت ولاية كربوقا على الموصل في وقت كانت الحروب والفتن تمزق الدولة السلجوقية بسبب النزاع حول العرش بين بركياروق واخوته من جهة وبينه وبين عمه تاج الدولة تتش من جهة اخرى ، ولم يقتصر الامر على النزاع حول العرش السلجوقي ، بل كان هناك صراع اخر حول منصب الوازرة كذلك وقد ترك ذلك الصراع بصمات واضحة تتمثل في حالة التفكك والتصدع التي اصابت بناء الدولة السلجوقية وعرضها للانهيار السريع ، ولم يكن امراء الموصل بمنأى عن هذه الاحداث التي تجتاح دولة السلاجقة فتدخلوا في الصراع حول السلطنة لصالح هذا السلطان او ذاك تحقيقا لمصالحهم الشخصية واهدافهم التوسعية ، ولم يكد السلطان بركياروق يستقر في السلطنة بعد مصرع عمه تتش حتى ظهر خطر اخر هدد دولة السلاجقة بمزيد من الانقسام والتنازع ، وأعنى به التنافس على منصب الوازرة • وقد بدأ هذا التنافس بين مؤيد الملك واخيه فخر الملك الابن الاكبر لنظام الملك ،وكان فخر الملك هذا يطمح في احتلال ما كان لابيه من مكانة ونفوذ في الدولة

---

(٢) ابن الاثير ، الباهرة ص١٦ العيني ، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان جـ١٥ ص٤٨٨ (مخطوط ـ دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ)

السلجوقية ، فسعى الى التقرب من السلطان بركياروق لتحقيق هذه الغاية ، وشجعه على ذلك ما بلغه من تنكر زبيدة خاتون ام السلطان بركياروق على اخيه مؤيد الملك ، بالاضافة الى خلاف الاخير مع مجد الملك ابو الفضل البلاساني وزير الاستيفاء ، فاخذ فخر الملك يبذل الاموال الجزيله سعيا لبلوغ هدفه ونجح في سنة ٤٨٨هـ في حمل السلطان على عزل اخيه عن الوازرة واسنادها اليه (٣) ، ولكن مؤيد الملك لم يلبث بعد اقصائه عن الوازرة ان عكف على تدبير المؤامرات واشعال نار الفتن ضد السلطان بركيا روق ووزيره مجد الملك (٤) . فانضم الى الامير انر باصفهان واخذ يخوفه من السلطان بركيا روق ويحرضه على مكاتبة اخيه محمد بن ملكشاه . ونجح اخيرا في تحقيق هدفه بان اغراه على الخروج ومخالفة السلطان ، وسار على رأس عشرة الاف فارس نحو الري حيث ارسل الى بركياروق يقول : « انه مملوك ، ومطيع ، أن سلم اليه مجد الملك البلاساني ، وان لم يسلمه اليه فهو عاص خارج عن الطاعة » (٥) ، فنهض بركيا روق لقتاله ولكن انر لم يلبث ان لقى مصرعه على يد احد الاتراك بخوارزم ،وكان من فرسانه ، فحمل الى اصفهان ودفن بها (٦)

---

(٣) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ ص٢٥٢-٢٥٣ ،ابن خلدون العبر ج٥ ص٣٦، عبد النعيم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ص٩١-٩٢

(٤) لم يطل عهد فخر الملك بالوزارة اذ ما لبث ان امر بركيا روق بعزله من وولي مكانه مجد الملك ابو الفضل البلاسانى ، فتوجه فخر الملك الى الملك سنجر بن ملكشاه وكان ينوب عن اخيه بركيا روق في خراسان ، فعينه وزيرا له واستمر فخر الملك في هذا المنصب حتى مصرعه على يد الباطنية في سنة ٥٠٠هـ وقد بلغ من العمر ستة وستين سنة (ابن الاثير ، الكامل ج١٠ ص٤١٨-٤١٩) .

(٥) ابن الاثير الكامل ج١٠ ص٢٨١-٢٨٢

(٦) نفس المصدر ، الكامل ج١٠ ص٢٨٢

اما مؤيد الملك فلم يكف عن مواصلة سياسته العدائية للسلطان بركيا روق ، فمضى الى محمد بن ملكشاه ، وكان حينئذ واليا على اران وكنجه من قبل اخيه بركيا روق واخذ يحرضه على طلب السلطنة لنفسه ، فتحركت اطماع محمد في العرش ، وقطع الخطبة لاخيه وخطب لنفسه بالسطنة ، وعين مؤيد الملك وزيرا له ، واستعد لقتال اخيه بركيا روق ولم يلبث ان خرج لمحاربته (٧) .

ولما بلغ بركيا روق نبأ عصيان اخيه محمد عزم على قصده لقمع حركته وزحف بالعساكر نحوه ، فلما كان بزنجان الح عليه امراء بني برسق . وغيرهم بان يسلمهم وزيره مجد الملك وهددوا بأخذه قهرا اذا لم يستجب لطلبهم ، ولم يكن في وسع بركيا روق الرفض لحرصه على مواجهة اخيه انذاك وخوفه من تفرق العساكر ، فوافق على تسليمه بعد ان استحلفهم على حفظ نفسه ، وحبسه في بعض القلاع ، فلما اقسموا اليمين سلمه اليهم ، فأقدم بعض الغلمان على قتله قبل ان يصل اليهم ، فارسل الامراء الى بركياروق يشيرون عليه بالعودة الى الرى ، على ان يتعهدوا بمواصلة السير لقتال اخيه محمد ، فاضطر بركياروق الى الموافقة على مطلبهم وادرك انه لايمكنه التقدم لحرب اخيه بعد ان تغيرت نيات امرائه ، وفقد سيطرته عليهم ، فقفل عائدا الى الرى « وتبعه مائتا فارس لا غير ، ونهب العسكر سرادق السلطان ووالدته وجميع اصحابه » وانحازت عساكره الى اخيه محمد (٨)

واسقط في يد بركيا روق بعد فشله في قمع حركة اخيه محمد ، فقصد اصفهان الا ان اهلها سدوا ابواب المدينة في وجهه ، فسار نحو خوزستان ،

---

(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ج٩ص١٠٩ ، الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص٧٦ ، ٧٧

(٨) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٢٨٩-٢٩٠

اما اخوه محمد فقد دخل مدينة الري في ذي القعدة من سنة ٤٩٢هـ وكانت زبيدة خاتون والدة اخيه بركيا روق لاتزال مقيمة في الري ، فقبض عليها مؤيد الملك ، ثم امر بقتلها وتوجه محمد بعد ذلك الى همدان فدخلها واعلن نفسه سلطان على السلاجقة (٩)

ويبدو ان العلاقة بين بركيا روق وسعد الدولة كوهرائين (١٠) شحنة بغداد كانت سيئة فكان كوهرائين يخاف على نفسه من السلطان ، فلما ظهر السلطان محمد وقوى امره بادر كوهرائين الى الالتحاق بخدمته ، فسار اليه عن طريق الموصل ، فاجتمع هناك بالامير كربوقا . وعرض عليه الانضمام الى السلطان محمد ، فوافق أمير الموصل على ذلك ومضى مع سعد الدولة كوهرائين ويبدوا الاخير وعد كربوقا بزيادة الاقطاع واغراه على شق عصا الطاعة على بركيا روق وانضم اليهما كذلك الامير شمس الدولة جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر والامير سرخاب بن بدر صاحب كنكور (١١) وغيرها ومضوا جميعا الى السلطان محمد فاجتمعوا به بقم ،

---

(٩) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٢٨٨ ، ابو الفدا المختصر ج٤ص١٢٧ طبعة بيروت ١٩٦٠ .
ذكر بعض المؤرخين ان السلطان محمد هو الذي امر بالقبض على زبيدة خاتون وقتلها ، انظر الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص٧٧ ،ابن الوردى ، تتمة المختصر ج٣ص١٦ .

(١٠) كان ابتداء امره خادما للملك ابي كاليجار بن سلطان الدولة بن بويه ، ثم ارسله مع ابنه ابي نصر الى بغداد ، فلما قبض عليه السلطان طغرلبك ولما مات ابو نصر انتقل الى خدمة السلطان الب ارسلان واقطعه واسط وبعد مصرع الاخير سار كوهرائين الى بغداد رسولا من قبل ملكشاه ليحضر الخلع والتقليد من دار الخلافة (ورأى مالم يره خادم قبله من الامر ، وتمام القدر ، وطاعة اعيان الامراء وخدمتهم اياه) ، ابن الاثير، الكامل ج١٠ص٢٩٥–٢٩٦ .

(١١) كنكور : قلعة حصينة قرب جزيرة ابى عمر (البغدادي مراصد الاطلاع ج٣ص١١٨٢)

فيما بينهم للخروج من هذا المأزق الذي وضعهم فيه السلطان محمد بتقاعسه عن المواجهة ، فأشار كربوقا على اصحابه بمصالحة السلطان بركيا روق وترك العصيان ، وبين ان تأييدهم لمحمد بن ملكشاه لم يعد عليهم بأي نفع وان المصلحة الرجوع الى طاعة بركيا روق وقال : « [illegible] محمد ومؤيد الملك بطائل » ، فوافقوا على ذلك وارسلوا الى بركيا روق يعلنون ولائهم له ، ويدعونه الى الحضور اليهم ، وقالوا : « اخرج الينا، فما فينا من يقاتلك» ، فسار السلطان اليهم فترجلوا ، وقبلوا الارض بين يديه ثم عادوا معه الى بغداد ، واعاد بركيا روق الى كوهرائين جميع ما كان اخذ له من سلاح وداب وغير ذلك ، واستوزر ببغداد الاعز ابا المحاسن عبدالجليل بن علي بن محمد الادهستاني الملقب بنظام الدين ، وامر بالقبض على عميد الدولة ابن جهير ، وزير الخليفة وطالبه بالاموال المحصلة من الموصل وديار بكر منذ أن تولاها هو وابوه ايام السلطان ملكشاه ، فلما بلغ الخليفة ذلك كتب الى السلطان كتابا ضمنه عبارات فيها مزج من العتاب والتهديد والغلظة ، فقرىء الكتاب على السلطان ، فاحضر عميد الدولة بين يديه واستقر الامر على ان يحمل الى السلطان مائة وستين الف دينار (١٤) .

ثم رحل السلطان بركيا روق عن بغداد ونزل على شهروزر ، فمكث بها ثلاثة ايام تلاحقت عليه خلالها العساكر من التركمان وغيرهم ، واستعد لمواجهة اخيه محمد ، وكان امير همدان قد فرض على بركيا روق ان يتسلم البلاد التى بيد امراء اخيه ،الا أن بركيا روق أثر حسم الموقف اولا ، ومن ثم التفرغ لاستعادة المدن والقلاع ، واشتبك الاخوان بموضع اسبيذ رود (١٥) على مقربة من همدان في اليوم الرابع من شهر رجب سنة ٤٩٣هـ ،

---

(١٤) نفس المصدر ، المنتظم جـ٩ص١١٢ ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٢٩٤، العينى ، عقد الجمان جـ١٥ص٥١٨

(١٥) معناه النهر الابيض وهو على بعد عدة فراسخ من همدان ، ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٢٩٤

فرحب بقدومهم ، وخلع على كوهرائين واشار عليه بالعودة الى بغداد ، اما كربوقا وجكرمش فقد سارا في خدمته الى اصفهان ، ولما وصل كوهرائين الى بغداد تحدث مع الخليفة في الخطبة للسلطان محمد بن ملكشاه ،فاجابه الى ذلك وخطب له يوم الجمعة سابع ذي‌الحجة من سنة ٤٩٢هـ ولقب غياث الدنيا والدين (١٢)

الا ان الخطبة لبركيا روق لم تلبث ان اعيدت ببغداد بعد انقطاعها ببضعة اشهر وكان بركيا روق قد وصل عسكره الى خوزستان في حالة سيئة في اواخر سنة ٤٩٢هـ ، وانضم اليه عدد من الامراء ، فتقدم الى واسط ، ثم انضم اليه الامير صدقة بن مزيد صاحب الحلة ، وواصل تقدمه نحو بغداد ، فخرج عميد الدولة ابن جهير وزير الخليفة لاستقباله عند جسر صرصر في موكب حافل ، ودخل بركيا روق بغداد في السابع عشر من شهر صفر سنة ٤٩٣هـ ،وكان قد خطب له فيها قبل وصوله بيومين ، وانفذ اليه الخليفة هدية تشتمل على خيل وسلاح (١٣) وكان سعد الدولة كوهرائين ،تيما انذاك (بالشفيعي) فرحل عن هذا الموضع بعد وصول بركياروق ، وانضم اليه ايلغازى بن ارتق وغيره من الامراء ، وارسل الى السلطان محمد ووزيره مؤيد الملك يستحثهما على الوصول لمواجهة بركيا روق . الا انهما اكتفيا بامداده بامير كربوقا والامير جكرمش ، ولم يلبث الاخير ان انسحب معتذرا باضطراب الاحوال في بلاده . فاضعف ذلك موقف سعد الدولة وحلفائه ، وادركوا انه لا قبل لهم بمواجهة السلطان بركيا روق ، فتشاوروا

---

(١٢) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ص١٠٩ ،ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٢٨٩ ابو الفدا المختصر ج٤ص١٢٧ ، الذهبى ، العبر ج٣ص٣٣٣ ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص٤٢٨ العينى ، عقد الجمان ج١٥ص٥١٢

(١٣) نفس المصدر ، المنتظم ج٩ص١١١ـ١١٢ ، الذهبى ، العبر ج٣ص٣٣٥ ابن الجزري ، ماخص تاريخ الاسلام ص٤٨٧ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ج٥ص١٦٥ .

وكان السلطان محمد في قوة يبلغ عددها ما يقرب من عشرين الف مقاتل ، فاخذ موضعه في القلب في حين وضع على ميسيرته وزيره مؤيد الملك مع الغلمان النظامية ، وجعل على الميمنة امير اخر ، أما بركيا روق فقد عبأ عساكره بحيث جعل وزيره الاعز ابو المحاسن معه في القلب . ووضع على الميمنة سعد الدولة كوهرائين والامير صدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر وعلى الميسرة الامير كربوقا صاحب الموصل ، ودارت بين الفريقين معركة عنيفة انتهت بانهزام عساكر بركيا روق وقتل سعد الدولة كوهرائين بينما اسر الوزير الاعز ابو المحاسن ، فحمل الى مؤيد الملك الذي لم يتردد في أن يغمره بكرمه وامر بان تنصب له الخيم ، وحمل اليه الفرش والكسوة وعهد اليه بعمادة بغداد وسيره اليها ، وفي مقابل ذلك كلفه بمخاطبة الخليفة المستظهر بالله لكي يعيد الخطبة في بغداد باسم السلطان محمد ، فلم يتردد الخليفة في اعادة الخطبة فقد كان ضعيفا مسلوب السلطة يؤيد كل من تصل يده الى بغداد ويدعو له على المنابر . وخطب للسلطان محمد في اليوم الرابع عشر من رجب سنة ٤٩٣هـ وبذلك قطعت الخطبة للسلطان بركيا روق للمرة الثانية [١٦]

وكان بركيا روق قد فر من المعركة في خمسين فارسا الى خراسان [١٧] فانضم اليه حبشي بن التونتاق ، وكانت بيده بلاد خراسان وطبرستان وجرجان ، واتفق معه على مهاجمة سنجر بن ملكشاه ، فاسفر اللقاء بينهما عن هزيمة بركيا روق ومصرع حبشي بن التونتاق ، وانسحب بركيا روق الى جرجان ومنها الى دامغان ، وقيل انه كان في سبعة عشر فارسا ثم كثر

---

(١٦) ابن الجوزي ، المنتظم ج٩ص١١٢ ، ١١٣ ، ابن الاثير الكامل ج١٠ ص٢٩٤–٢٩٥ ، ابو الفدا ، المختصر ج٤ص١٢٧

(١٧) العيني ، عقد الجمان ج١٥ص٥١٨ مخطوط

جمعه بعد ذلك وانضم اليه عدد من الامراء فيهم جاولى سقاوه فاصبحت عدته ثلاثة الاف فارس قصد بهم اصفهان بناء على دعوة اهلها له ؛الا ان السلطان محمد سبقه في الدخول الى المدينة ، فاضطر بركيا روق الى الانحراف نحو سميرم (١٨)

ثم لم تلبث الحرب ان اندلعت بين بركيا روق واخيه محمد للمرة الرابعةفي جمادي الاخرة من سنة ٤٩٤هـ وكان النصر في هذه المرة حليف بركيا روق وانهزمت عساكر اخيه محمد ووقع وزيره مؤيد الملك في الاسر ، فقتله بركيا روق ، ثم زحف الى الري ، حيث انضم اليه كربوقا ودبيس بن صدقه بن مزيد ،واجتمع لدى بركيا روق من العسكر نحو مائة الف فارس ، ولكن الميرة ضاقت عليهم فتفرقوا الى بلادهم ، بينما عاد دبيس بن صدقة الى ابيه في الحلة (١٩) .

وظل الامير كربوقا ملازما للسلطان بركيا روق بعد قفول عساكره عائدين الى بلادهم فلما بلغ السلطان عصيان الملك مودود بن اسماعيل بن ياقوتي باذربيجان ،عهد الى كربوقا باخماد هذه الحركة ، فسار في عشرة الاف فارس قاصدا بلاد الملك مودود وتمكن من الاستيلاء على معظمهما ، فلما وصل (خوى)(٢٠) مرض بها ثلاثة عشر يوما ، وكان يرافق كربوقا في هذه الحملة الامير اصبهذ صباوه بن خمارتكين ، والامير سنقرجه ، فاوصى

---

(١٨) ابن الاثير الكامل جـ١٠ص٢٩٦–٢٩٧ و ٢٩٨ ، ابو الفدا المختصر جـ٤ص١٢٧ ابن الجزري ملخص تاريخ الاسلام ص٤٨٨ .

(١٩) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٩ص٢٣ ، الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص٧٧ ابن الجزري ، ملخص تاريخ الاسلام ص٤٨٨ مخطوط . العينى ، عقد الجمان جـ١٥ص٥٣٠ مخوط .

(٢٠) خوى ، من اشهر مدن اذربيجان البغدادى ، مراصد الاطلاع جـ١ ص ٤٩٣

بان تؤول بلاده الى سنقرجه ، وامر الاتراك بطاعته ، واخذ له على عسكره العهد ثم لم يلبث كربوقا ان توفى في ذي القعدة من سنة ٤٩٥هـ ، على اربعة فراسخ من مدينة خوى ودفن بها (٢١)

(٢)

ولايــة شمس الدولة جكرمشــ

١ ــ تدخل جكرمش في الصراع حول ولاية الموصل بعد وفاة كربوقا :

رحل سنقرجة الى الموصل بعد وفاة كربوقا ، فدخلها واقام بها ثلاثــة ايام ، وكان اعيان الموصل قد ارسلوا الى الامير موسى التركماني عامــل كربوقا على حصن كيفا يستدعونه لتسلم البلد بعد ان بلغهم وفاة كربوقا ، فاسرع موسى الى الموصل الا ان سنقرجه سبقه اليها فلما علــم سنقرجــه باقتراب موسى التركماني ظن انه حضر الى خدمته ، فنهض لاستقباله مــع جماعة من اهل البلد فلما تقاربا ترجل كل منهما وتعانقا وبكيا على قــوام الدولة كربوقا ، وقد اوضح سنقرجه لموسى التركماني انه اقر الامراء على ما كان بأيديهم من الاقطاع وانه اكتفى بالموصل وحدها ، ويبدو انسنقرجه اراد ان يطمئن موسى على انه اقره على ولايته في حصن كيفا ، فقال : «انا مقصود يجميع ما كان لصاحبنا (يقصد كربــوقا) المخــده والمنصــب ، والاموال ، والولايات لكم وبحكمكم» (٢١)

فأبدي موسى استياءه واستنكاره لانفراد سنقرجه بالامر ، لاسـيما وان الاخير لم يحصل بعد على تفويض من السلطان بحكم البلاد ، فقال له، « من نحن حتى يكون لنا مناصب ودسوت ؟ الامر في هذا الى الســلطان

(٢١) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٣٤١ــ٣٤٢ ، ابو الفدا ، المختصر جـ٤ص ١٣٢ابن خلدون ، العبر جـ٥ص٦١ــ٦٢ ، العينى ، عقد الجمان جـ١٥ ٥٥٣ ٥٥٤ (ورد اسم سنقرجه في عقد الجمان : سنقر شاه) .

يرتب فيه من يريد ، ويولي من يختار [٢٢] ، وتطور الجدال بينهما فامتشق سنقرجه سيفه وضربه صفحا على رأسه فجرحه واسفر النزاع عن مقتـــل سنقرجه ، فدخل موسى الموصل وخلع على اصحاب سنقرجه وطيب نفوسهم واستقرت له الامور بالولايـــة [٢٣] .

وكان شمس الدولة جكرمش والي جزيرة ابن عمر يراقب الموقف عن كثب فلما بلغه انفراد موسى التركماني بالامر تحركت اطماعه في ولايـــة الموصل ووجد نفسه احق من غيره في حكم البلاد ، فسار الى نصيـــبين واستولى عليها ، فاضطر موسى الى التصدي له وخرج على رأس عساكــر الموصل ، فلما قارب جكرمش غدر بموسى عسكره وانحازوا الى جكرمش فاسقط في يد موسى واضطر للعودة الى الموصل والتحصن داخل المدينة ، فحصره جكرمش مــدة طويلة ، ووجد موسى نفسه بحاجة الى مساعــدة خارجية لارغام جكرمش على فك الحصار والانسحاب عن البلد ، فارســل يستنجد بالامير سقمان بن ارتق بديار بكر وعرض عليه حصن كيفا وعشرة الاف دينار ، فوافق سقمان على ذلك ونهض لمساعدته ، وارغم جكرمشــ على الرحيل عن الموصل وخرج موسى التركماني لاستقباله فلما كان بقرية كراثا بالقرب من الموصل وثب عليه عدد من الغلمان القوامية ــ اصــحاب الدولة كربوقا ــ وقتلوه ، وعاد اصحابه منهزمين الى الموصل ودفن موسى على تل هناك ، عرف فيما بعد بتل موسى .اما سقمان بن ارتق فقصد حصن كيفا واستولى عليه ، ولم يبق امام جكرمش سوى الزحف نحو الموصل بعد ان خلا له الجو بمصرع موسى وعودة حليفه سقمان الى بــلاده ، فدخــل المدينة بعد حصار دام اياما قلائل ، فاحسن السيرة في اهلها ، وامر باعدام

---

(٢٢) نفس المصدر ، الكامل ج١ص٣٤٢ ايقصد بالمخدة دست الحكم اي امارة الموصل وحدهـا)

(٢٣) نفس المصدر ، الكامل ج١٠ص٣٤٢

الغلمان القوامية الذين اشتركوا في قتل موسى التركماني ارضاء لاهل الموصل من جهة وحفاظا على نفسه منهم من جهة اخرى ، ثم استولى على الخابور ودخل في طاعته العرب والاكراد [٢٤] .

ب ـ العلاقات في عهد جكرمش :

وكان من نتائج الصلح الذي عقد بين بركيا روق ومحمد ابني ملكشاه في ربيع الاخر من سنة ٤٩٧هـ ان تكون للاخير البلاد الواقعة بين النهر المعروف باسبيذ روذ الى باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام وبلاد سيف الدولة صدقة بن مزيد [٢٥] ، فاقام السلطان محمد بعد ان عقد الصلح مع اخيه بمدينة تبريز حتى صفر من سنة ٤٩٧هـ ، حيث توافدت عليه العساكر ، فزحف بهم الى مراغة ثم اربيل مستهدفا انتزاع الموصل من جكرمش ، فلما علم الاخير بذلك استعد لمواجهة عساكر السلطان محمد ، واهتم بتقوية وسائل الدفاع عن المدينة فجدد سورها وامر اهل السواد المنتشرين خارج الموصل بدخولها واذن لاصحابه في نهب كل من يمتنع عن الدخول ، فلما وصل السلطان محمد الى الموصل حاصرها وارسل الى جكرمش يذكره بان بلاد الموصل والجزيرة هي من نصيبه وعرض عليه كتب بركيا روق الذي يؤيد هذا الادعاء ويأمره بتسليم البلد الى اخيه ، ووعد السلطان محمد جكرمش بان يقره على مابيده من البلاد اذا ترك العصيان ودخل في طاعته الا ان صاحب الموصل امتنع عن تسليم البلد وقال : « ان كتب

---

(٢٤) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٣٤٢ ، ابن خلدون ، العبر جـ٥ص٦٢ ، العينى ، عقد الجمان جـ١٥ص٥٥٤ .

(٢٥) ابن الاثير الكامل جـ١٠ص٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ابو الفدا : المختصر جـ٤ص١٣٢ ابن خلدون : جـ٥ص٦٢١

السلطان يقصد بركيا روق وردت الي بعد الصلح تأمرني ان لا اسلم البلد الى غيره » [٢٦] .

ولما تأكد السلطان محمد من اصرار جكرمش على العصيان شرع في قتاله ، فاستبسل اهل الموصل في الدفاع عن المدينة ، « لمحبتهم لجكرمش لحسن سيرته فيهم» [٢٧] وامر جكرمش بفتح ابواب في سور الموصل ليتسنى لرجاله الخروج ومقاتلة عسكر السلطان محمد ، فتمكن بذلك ان يثخن فيهم ، كما ان هؤلاء تمكنوا من فتح ثغرة في سور الموصل ثم انسحبوا بعد ان ادركهم الليل ، وفوجئوا في صباح اليوم التالي بالسور وقد سدت ثغراته وشحن بالمقاتلة وكانت بعض عساكر جكرمش قد اجتمعت بتل بعفر (تلعفر) فهاجموا مؤخرة الجيش السلجوقي وقطعوا الميرة عنهم ، ودام حصار الموصل حتى العاشر من جماد الاولى حيث وصل الخبر الى جكرمش وتحرج موقفه بعد وفاة سيده بركيا روق ، وادرك انه لاجدى من مقاومة السلطان محمد بعد انفراده بالسلطنة ، وان المصلحة تقضي مصالحته ، فاحضر اعيان البلد واستشارهم فيما يفعله ، فأكدوا ولاءهم له وقالوا : « اموالنا وارواحنا بين يديك وانت اعرف بشأنك فاستشر الجند فهم اعرف بذلك» [٢٩] ، فاجتمع جكرمش بامراء جيشه وتباحث معهم في الموقف ، فحسنوا له طاعة السلطان محمد وعقد الصلح معه وقالوا : « لما كان السلطان

---

(٢٦) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ص١٣٨ ، الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص٧٨ ــ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ص٨ ، ابن الجوزي : ملخص تاريخ الاسلام .

(٢٧) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٣٨٣ ، العينى ، عقد الجمان ج١٥ص٥٧٧

(٢٨) العينى : عقد الجمان ج١٥ص٥٧٧ مخطوط

(٢٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١٤٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل ج١٠ ص٣٨٣ ابن الجزري ، ملخص تاريخ الاسلام ص٤٩٤

حيا قد كنا على الامتناع ، لم يتمكن احد من طروق بلدنا ، وحيث توفى فليس للناس اليوم سلطان غير هذا والدخول تحت طاعته اولى »[30] فاخذ بسورتهم وجنح الى الصلح وارسل الى السلطان يعرض عليه الدخول في طاعته [31] ، ويطلب حضور وزيره سعد الملك فوافق السلطان على ذلك وانفذ وزيره الى الموصل فاجتمع بجكرمش واشار عليه بضرورة مقابلة السلطان محمد وقال له : « المصلحة ان تحضر الساعة عند السلطان فانه لايخالفك في جميع ما تلتمسه » واخذ بيده فسار معه جكرمش ،وقد اظهر اهل الموصل قلقهم البالغ على مصير جكرمش وظنوا ان السلطان سيغدر به فجعلوا يبكون ويصيحون ويحثون التراب على رؤوسهم ، فلما دخل على السلطان محمد اقبل عليه واكرمه وعانقه ، ولم يمكنه من الجلوس ، وقال: « ارجع الى رعيتك فان قلوبهم اليك ، وهم متطلعون الى عودتك فقبل الارض وعاد ومعه جماعة من خواص السلطان » [32] ، وما كاد جكرمش يعود الى الموصل حتى عمل على توثيق صلته بالسلطان محمد ، فارسل اليه يدعوه الى دخول الموصل ولكن السلطان آثر المقام خارجها ، فعمل له جكرمش سماطا بظاهر الموصل وحمل اليه ولوزيره سعد الدولة كثيرا من الهدايا والتحف ، وبعد ان فرغ السلطان من تقرير امور الصلح مع صاحب الموصل ، سار نحو بغداد يصحبه كل من جكرمش وسمقان القطبي واسماعيل ابن عم ملكشاه وغيرهم من الامراء فوصلها في الثاني والعشرين من جمادي الاولى سنة ٤٩٨هـ وخطب له في الجانب الغربي منها ، ولملكشاه بن بركيا روق في الجانب الشرقي ، واستقرت الامور ببغداد للسلطان محمد فاقام بها الى

---

(٣٠) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٣٨٤

(٣١) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ ص٣٨٤

(٣٢) ابن القلانسي : ص١٤٧

شعبان ثم قفل عائدا الى اصفهان اما جكرمش فقد عاد الى الموصل [٣٣] .

ج ـ تولية جاولي سقاوه على الموصل ونهاية جكرمش :

لم يلبث السلطان محمد ان امر بعزل شمس الدولة جكرمش عن الموصل واعمالها واقطعها الى الامير جاولى سقاوه في المحرم من سنة ٥٠٠هـ، وعهد اليه بقتال الفرنج [٣٤] (الصليبين) وقد ارجع المؤرخ ابن الاثير سبب عزل جكرمش عن الموصل الى ان الاخير لم يف بالتزاماته تجاه السلطان محمد وتاثقل في الخدمة وحمل المال[٣٥] ويؤيد العينى ماذكره ابن الاثير فيذكر ان جكرمش « لما عاد من عند السلطان محمد قرر معه حمل المال فلما وصل الى بلاده لم يف بما قال » [٣٦] اما ابن القلانسى فيذكر ان السلطان محمد كان قد ندب جاولى الى قتال الفرنج في الشام ودفعهم عن طرابلس وكتب الى بغداد والى سيف الدولة صدقة بن مزيد والى جكرمش يأمرهم بتقديم المساعدة لجاولي وامداده بالرجال والاموال والخروج معه للجهاد الا ان صاحب الموصل رفض تقديم يد المساعدة لجاولى وخرج لقتاله [٣٧]، ويعلل الفارقي امتناع جكرمش عن امداد جاولى بالعساكر والسير معه

---

(٣٣) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ ص٣٨٤ ، ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ص١٩٨ ، العينى : عقد الجمان ج١٥ ص٥٧٧

(٣٤) نفس المصدر : الكامل ج١٠ ص٣٨٤

(٣٥) نفس المصدر ، الكامل ج١٠ ص٤٢٢ ، ابن خلدون ج٥ ص٧٨ـ٧٩ العينى عقد الجمان ج١٥ ص٦٠٥ـ٦٠٦

(٣٦) نفس المصدر : الكامل ج١٠ ص٤٢٢ـ٤٢٣

(٣٧) العينى : عقد الجمان ج١٥ ص٦٠٦

للجهاد بانه انف « ان يتامر عليه جاولى فحاربه »[٣٨] ، واوضح ان رواية ابن الاثير اقرب الى الحقيقة والواقع ان قرار السلطان بعزل جكرمش صدر المحرم من سنة ٥٠٠هـ وكان جاولى حينئذ لايزال ببغداد ولم يتوجه الى الموصل الا في شهر ربيع الاول من السنة نفسها حيث شرع في مهاجمة الاعمال التابعة لامارة الموصل واستعد لقتال جكرمش .

وكانت البوازيج [٣٩] اول مدينة سقطت بيد جاولى فنهبها اربعة ايام، وغدر بأهلها بعد ان امنهم ، ثم تقدم الى اربل ، وكان جكرمش قد استعد لدفع جاولى عن الموصل فوصله في هذه الاثناء كتاب ابي الهيجاء بن موسك الكردي الهمذاني صاحب اربل يتضمن خبر استيلاء جاولى على البوازيج ، ويطلب اليه فيه المبادرة بالخروج لقتاله وهدد بانه سوف يضطر الى الانضمام الى جاولي اذا تقاعس جكرمش عن مواجهته ، فتخرج بذلك موقف جكرمش وبادر بالعبور الى شرقي دجلة قبل استكمال عدته ، وانضمت اليه قوات اربل فاجتمع لديه الفي فارس ، أما جاولى فقد وصل بالف فارس فقط ، ونشب القتال بين الفريقين ،فانهزم اصحاب جكرمش ولم يتمكن الاخير الفرار من المعركة (لفالج كان به) وكان يحمل على محفة لعدم قدرته على ركوب الخيل ، فاخذ اسيرا وحمل الى جاولي فامر بحبسه وتشديد الحراسة عليه ، ووقع اولاد ابي الهيجاء الكردي فيالاسر ايضا [٤٠] .

---

(٣٨) ابن القلانسي : ص١٦٥

(٣٩) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان نقلا عن الفارقى ص٥٣٢ (مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية ج٣) .

(٤٠) البوازيج : بلدة فوق ما يقابل تكريت تقع بالقرب من منصب الزاب الاسفل الى دجلة (البغدادي : مراصد الاطلاع ص٢٢٧) .

وما ان علم اهل الموصل باسر جكرمش حتى بادروا الى تولية ولده زنكي وكان صبيا في الحادية عشرة من عمره وخطبوا له على منابر الموصل ، وكان مستحفظ قلعة الموصل مملوكا لجكرمش يدعى غزغلي فتولى امر الدفاع عن المدينة ، واخرج الاموال وفرقها على الجند واحكم امر الدفاع عن الاسوار ، ثم انه احس بحاجة الموصل الى مساعدة خارجية عاجلة لدفع جاولي عنها ، فارسل الى صدقة بن مزيد يطلب اليه الحضور لمساعدته ، ولكن صدقة لم يشأ التورط في هذا النزاع والخروج على طاعة السلطان والخليفة [٤١] ، كما استنجد بالامير قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب بلاد الروم ، واقسنقر البرسقي شحنة بغداد ووعد كلا منهما بتسليم المدينة مستهدفا بذلك حثهما على الخروج لمساعدته [٤٢] ، اما جاولي فزحف على الموصل وحصرها فتحصن اصحاب جكرمش داخل المدينة ومنعوا جاولي من الوصول اليها ، فأمر الاخير بحمل جكرمش على بغل والطواف به حول السور لارغام اصحابه على التسليم ، الا انهم اصروا على المقاومة والامتناع بالرغم من نداء جكرمش لهم بالتسليم حقنا للدماء ، ثم لم يلبث ان توفي جكرمش اثناء الحصار وكان جاولي قد امر بسجنه في جب وبالغ في اخفائه حتى لايتعرض للاختطاف فأخرج في بعض الايام ميتا وقد بلغ من العمر نحو ستين سنة [٤٣].

---

(٤١) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٤٢٣ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص١٩٨

(٤٢) العيني : عقد الجمان جـ١٥ ص٦٠٧

١٣٩ ، ١٤٠ .

(٤٣) ابن الاثير : الكامل جـ١ ص٤٢٤ ابو الفدا : المختصر جـ٤ ص١٣٩ ، ١٤٠ .

وسارع قلج ارسلان الى الموصل بعد مكاتبة اصحاب جكرمش ودعوتهم له فلما علم جاولي بوصوله الى نصيبين ، رحل عن الموصل وتراجع الى سنجار « فاودع ثقله بها » [٤٤] في نفس الوقت الذي وصل فيه اقسنقر البرسقي الى الموصل ، ونزل على الباب الشرقي ، ويبدو ان اصحاب جكرمش اهملوا البرسقي بعد ان اطمأنوا ان قلج ارسلان في طريقه اليهم فقد ذكر ابن الاثير ان اهل الموصل لم يرسلوا اليه كلمة واحدة « فعاد في باقي يومه »[٤٥] اما قلج ارسلان فانه مكث بنصيبين لتلتحق به باقي عساكره من بلاد الروم ، وكان قد انضم الى جاولي في هذه الفترة ايلغازي بن ارتق وجماعة من عسكر جكرمش فأصبح في اربعة الاف فارس ، فوصله كتاب الملك رضوان صاحب حلب يستدعيه الى الشام لمساعدته في قتال الصليبيين ، فرحل الى الرحبة ، ثم بادر اهل الموصل باستدعاء قلج ارسلان اليهم بعد ان استحلفوه لهم ، فدخل الموصل في الخامس والعشرين من رجب سنة ٥٠٠هـ فخلع على زنكي بن جكرمش واصحابه ، وخطب لنفسه بعد الخليفة العباسي ، واسقط اسم السلطان محمد من الخطبة ، ثم تسلم القلعة من غزغلي مملوك جكرمش وعين فيها دز داراً كما امر برفع الرسوم المحدثة في الظلم واقر القاضي ابا محمد عبدالله بن القاسم بن الشهرزوري على قضاء الموصل [٤٦] .

---

(٤٤) نفس المصدر ، الكامل جـ١ ص٤٢٤ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص١٩٨ (ورد في مرآة الزمان نقلا عن تاريخ ميافارقين ان جكرمش دخل الموصل جريحا ثم لم يلبث ان مات بعد يومين من دخوله) — انظر مرآة الزمان ص٥٣٢ ، مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية .

(٤٥) العيني : عقد الجمان جـ١٥ ص٦٠٧

(٤٦) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٤٢٦

وصل جاولي الى الرحبة فبدء حصارها في رجب من سنة ٥٠٠هـ فامتنع بها اميرها محمد بن السباق فاضطر جاولي الى استدعاء الملك رضـــوان لمساعدته في الاستيلاء على الرحبة ، ووعده بالمسير معه بعد ذلك لقتـــال الصليبيين ، فرحب رضوان بهذا العرض وبادر بالانضمام الى جاولي وتضامنا في احكام الحصار على المدينة فضاقت على اهلها الامور ، وعمد جماعة منهم الى مراسلة جاولي وتواطؤا اهلها معه على دخول الرحبة في البرج الذى كانوا يقومون على حراسته ، واستحلفوه لانفسهم ، وتمكن جاولي بذلك مـــن اقتحام المدينة في الرابع والعشرين من رمضان سنة ٥٠٠هـ (٤٧) ، فاضطر محمد بن السباق الى النزول الى جاولي واعلن طاعته له ، فأقره علـــى الرحبـــة ، وتسلم جاولي القلعة في الثامن والعشرين من الشهر المذكور ثم لم يلبث ان امـــر بالقبض على ابن السباق هذا بعد بضعة ايام «لامر بلغه عنه فانـــكره منه واعتقلـــــه في القلعـــة » (٤٨) .

كان قلج ارسلان قد نهض لنجدة امير الرحبة الذي كان قد استحثـــه على دفع جاولي ، وترك قلج ارسلان في الموصل ولده ملكشاه بدار الامارة وكان صبيا في الحادية عشرة من عمره ، فأقام معه اميرا يدبره مع جماعة من العسكر (٤٩) وتقدم قلج لحرب جاولي فاظهر بعض الامراء الرغبة في العودة قلج ارسلان فشرعا في مهاجمته قبل ان تصل اليه الامدادات ، فانهزم اصحاب ارسلان (٥٠) ورمى الاخير نفسه في نهر الخابور . فانحدر به الفرس الى ماء

---

(٤٧) نفس المصدر : ىدلكامل جـ١٠ص٤٢٧ ، ابو الفدا : المختصر جـ٤ص١٤٠
(٤٨) نفس المصدر : الكامل جـ١٠ص٤٢٩ ، ابن خلدون ٥ص٨١
(٤٩) ابن القلانسي ص١٥٦ (ذكر العينى ان ابن السباق اطاع جاولي وسار معه لحرب قلج ارسلان عقد الجمان جـ١٥ص٦٠٩)
(٥٠) ابو الفدا : المختصر جـ٤ص١٤٠

الى بلادهم بعد ان بلغهم قوة جاولي ، وفشل قلج ارسلان في اقناعهم بعدم الرحيل ، فأدى ذلك الى ضعف موقفه ، وعجز عن مواجهة جاولي . وكان يأمل وصول باقي عساكره من بلاد الروم ، فعمدا الى المطاولة كسبا للوقت ثم وصل الى الخابور في خمسة الاف فاغتنم جاولي وحليفه رضوان قلة عسكر عميق فغرق ، وظهر بعد ايام فدفن بالشمسانية من قرى الخابور [٥١] .

وقيل ايضا انه اخرج من الخابور وحمل الى ميافارقين ودفن هناك [٥٢]

واصبح الطريق الى الموصل ممهدا أمام جاولي بعد تخلصه من قلج ارسلان ، فانفصل عنه الملك رضوان وعاد الى حلب وزحف جاولي نحو الموصل ، ففتح أهلها ابواب مدينتهم له . ولم يتمكن اصحاب قلج ارسلان من منعهم . فنزل جاولي بظاهر الموصل وامر باعادة الخطبة للسلطان محمد، ثم امر بمصادرة جماعة من اصحاب جكرمش وابعد عن الموصل من حضر منهم الحرب مع قلج ارسلان وسار الى جزيرة ابن عمر ، وكان بها حبشي بن جكرمش ومعه غزغلي احد امراء ابيه ، فحصره جاولي مدة ثم استقر الصلح بينهما وحمل اليه ستة الاف دينار سوى الدواب والثياب ، فرحل الى الموصل ، وكان بها ملكشاه بن قلج ارسلان ، فارسله الى السلطان محمد فلم يزل مقيما عنده الى ان هرب من المعسكر في اوائل سنة ٥٠٣هـ وعاد الى مملكة ابيه في بلاد الروم [٥٣]

---

(٥١) ابن القلانسي ص١٥٧ ، ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٤٢٩ (ذكر ابن الاثير ان المعركة كانت في العشرين من ذي القعدة من سنة ٥٠٠هـ) .

(٥٢) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ص٤٣٠ ، اليافعي ، مرآة الجنان جـ٣ص١٧٠ ، ابو الفدا ، المختصر جـ٤ص١٤٠

(٥٣) الفارقي : تاريخ ميافارقين ص٢٧٣ ، ابن تغري بردي النجوم الزاهرة جـ٥ص١٩١ (وذكر الفارقي ان هزيمة قلج ارسلان حدثت في سنة

(٣)
العلاقات في عهد جاولي سقاوه

كان السلطان قد عهد الى جاولي باستئناف الجهاد ضد الصليبيين ، الا انه اصطدم بعدد من الصعوبات التي حالت دون قيامه بهذه المهمة ، وافرغ كل جهوده في حرب جكرمش ثم قلج ارسلان وغيرهم من امراء الاطراف ، وكانت اول مهمة كلف بها جاولي بعد استقراره في الموصل قتال الباطنية ، وكان السلطان محمد قد عهد في سنة ٥٠١هـ الى وزيره ضياء الملك احمد بن نظام الملك بقتال الباطنية في قلعة الموت والقلاع المجاورة بعد ان عم اذاهم وازداد فسادهم ، وارسل الى جاولي سقاوه في الموصل يأمره بمساعدة الوزير للقيام بهذه المهمة ، فنهض جاولي في عسكر كثيف وهاجم مواقع الباطنية فخرب منازلهم ودمر قلاعهم وقتل عددا كبيرا وعاد الى الموصل (٥٤)

ثم تغيرت سياسة جاولي نحو السلطان محمد فجأة بعد عودته الى الموصل فعمل على الاستقلال بالبلاد ولم يف بالتزاماته ، وكان السلطان قد اسند اليه ولاية كل بلد يفتتحه ، ويبدو ان جاولي تأخر في حمل الاموال الى خزينة السلطان ، ثم بلغ من تدهور العلاقات بينهما الى الحد الذي امتنع فيه جاولي عن مساعدة السلطان ضد اعدائه واظهر مخالفته ، وكان السلطان محمد قد قدم الى بغداد في اواخر ٥٠١هـ وعزم على قصد صدقه بن مزيد امير الحلة ، فارسل يستدعي امراء الاطراف لموافاته بالعساكر ، فلم يستجيب جاولي لنداء السلطان الذي اضطر الى توجيه نداء اخر اليه الا ان جاولي امتنع وكشف عن حقيقة نواياه من السلطان ، فراوغ في الاجابة واظهر انه يخاف الاجتماع به (٥٥) ويبدو ان جاولي كان على اتصال بصدقة

٤٩٩هـ ويجعلها ابن تغري بردى في النجوم الزاهرة في سنة ٤٩٨هـ وقد اخذنا برواية ابن القلانسي وابن الاثير لانها اقرب الى الحقيقة) .

(٥٤) ابن القلانسي ص١٥٨ ، ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٤٣٠

(٥٥) نفس المصدر : ص١٦٢ ، الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص٨١

بن مزيد بدليل انه اعلن تأييده له في نزاعه مع السلطان وتعهد بمساعدته والوقوف بجانبه ، وقد ظهر موقف جاولي هذا واضحا من خلال الرد الذي بعث به صدقة بن مزيد الى الخليفة العباسي المستظهر بالله الذى دعاه الى الصلح وحقن الدماء ،فقد تضمن الرد مايلي .. « اذا رحل السلطان عن بغداد امددته بالمال والرجال وما يحتاج اليه في الجهاد ، واما الان : وهو في بغداد ، وعسكره بنهر الملك فما عندي مال ولاغيره ، وان جاولي سقاوه وايلغازى بن ارتق [٥٦] قد ارسلا الى بالطاعة والموافقة معي على محاربة السلطان وغيره ، ومتى اردتهما وصلا الى في العساكر [٥٧]

---

(٥٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، المجلد الاول ص٢٠ ميكروفيلم (معهد المخطوطات جامعة الدول العربية) .

(٥٧) ينتمى الاراتقة الى ارتق بن اكسك من مماليك السلطان ملكشاه ، وقد تقدم ارتق هذا في الدولة السلجوقية فأقطع مدينة القدس عام ٤٧٩هـ ثم آلت بعد وفاته في سنة ٤٨٣هـ الى ولديه سقمان وايلغازي ، وكان لهما الرها وسروج ، ثم اضطرا للجلاء عن القدس بعد سقوطها في ايدى الفاطميين سنة ٤٨٩هـ ، ورحل ايلغازي الى بغداد ليعمل في خدمة السلاجقة اما سقمان فسار الى الرها واقام بها وتمكن خلال سنوات معدودة من الاستيلاء على عدد من اهم مدن ديار بكر مثل ماردين وحصن كيفا ونصيبين ، وبعد وفاة سقمان سارع اخوه ايلغازي الى ديار بكر ووضع يده على املاك اخيه ، ثم تبلور كيان الاراتقة في امارتين غدت ماردين قاعدة لاحداهما ، وحصن كيفا قاعدة اخرى . وبعد وفاة ايلغازي بن ارتق خلفه ولده حسام الدين تمرتاش الذى اتسعت املاك الاراتقة في عهده واستمرت هذه الاسرة تحكم المنطقة حتى طليعة القرن التاسع الهجرى .
(ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٢٨٢ فما بعدها ، ابن خلدون ج٥ص ٤٦١-٤٦٩) .

ولم ينس السلطان الجاولي هذا الموقف فعزم على قتاله وانتـزاع البلاد منه بعد ان ينتهي من امر صدقة بن مزيـد ، الـذى لـم يلبـث ان قتل وانهزم عسكره امام السلطان في رجب من سنة ٥٠١هـ [٥٨] ، وكان قد اجتمع لدى السلطان من امراء الاطراف مودود بن التونتكين واقسـنقر البرسقى ونصر بن مهلهل بن ابي الشوك الكردى وسكمان القطبي وامـراء بني برسق ، والامير ابو الهيجاء صاحب اربل ، فطلب اليهم المسير الـى الموصل وانتزاعها من جاولي سقاوه [٥٩] ، وكان الاخير يعلم ان السـلطان ينوي ان يتخذه هدفه التالي بعد القضاء على صدقه بن مزيد ، فاسـتعد للدفاع عن الموصل ، واعد العدة لمقاومة اي حصار من قبل عساكـر السلطان ، فاهتم بتشييد سور المدينة واحكم ما بناه جكرمش من التحصينات واعد الميرة والاقوات والعدد والالات ، على ان اهل الموصـل كانـوا لا يحملون اى مشاعر ودية نحو جاولي بل على الضد من ذلك كانوا يضمرون له الكراهية وكان جاولي نفسه يعلم ذلك علم اليقين ، فامر بحبس جماعـة من اعيانهم خوفا من تواطئهم مع اعدائه ، واخذ يصطنع الشدة مع اهـل البلد « حتى انه نادى : متى اجتمع عاميان على الحديث في هذا الامـر قتلهما »[٦٠] ، واخرج من احداث الموصل ما يزيـد على عشرين الفا ، ولم

---

(٥٨) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٤٤٢–٤٤٣ ، ابن الفرات الدول والملـوك ص١١ ، يرجع ابن الجوزي سبب الخلاف بين السلطان محمد وصدقة الى امتناع صدقة عن تسليم سرخاب الديلمي الذى كان قد استجار به من السلطان انظر المنتظم ج٩ص١٥٦ .

(٥٩) الفارقي : تاريخ امد وميافارقين ص٢٧٤ ، اليافعى ، مرآة الجنـان ج٣ص١٦٩

(٦٠) ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك المجلد الاول ص٢

يترك في الموصل سوى الفي نفر من الصناع الحدادين والنجارين والجصاصين لحاجته اليهم في اصلاح الاسوار والات الحرب [٦١] ، ثم رحل عن الموصل تاركا فيها زوجته ـ ابنة برسق ـ بعد ان اسكنها القلعة في حماية فرقة تتألف من الف وخمسمائة فارس من الاتراك ، بالاضافة الى عدد اخر من الرجالة ، وقد اساءت زوجة جاولي الى أهل الموصل ، وصادرت اموال من بقي بها « وعسفت نساء الخارجين عنه ، وبالغت في الاحتراز عليهم ، فاوحشهم ذلك ، ودعاهم الى الانحراف [٦٢] ، ثم وصلت جيوش السلطان محمد واحاطت بالموصل في رمضان من سنة ٥٠١هـ ،فضاق الامر على اهلها واشتد البلاء عليهم لما كانوا يقاسونه من بطش امرأة جاولي بهم في الداخل . وما كانوا يلقونه من اضرار الحصار عليهم من الخارج ،وقد استمرت الاوضاع على هذا النحو في السوء حتى المحرم من سنة ٥٠٢هـ ، فاتفق ستة نفر من الجصاصين يتقدمهم رجل اسمه سعد بن فائق وقرروا تسليم البلد الى عسكر السلطان [٦٣] ، فنفذوا خطتهم هذه ظهر يوم الجمعة حيث يؤدى معظم الناس الصلاة في المسجد الجامع ، فصعدوا الى احد الابراج واغلقوا ابوابه ، ووثبوا على من به من الجند وكانوا نياما ، فقتلوهم عن اخرهم ، واستولوا على سلاحهم ، ونادوا بشعار السلطان ، فزحف الامير مودود واقتحم المدينة من ناحيتهم وامر قواته بالحفاظ على الامن في المدينة ، وان يعود الناس الى دورهم واملاكهم ، واقامت زوجة جاولي بالقلعة ثمانية ايام ، ثم استأذنت مودود في الخروج ، فأذن لها فحملت اموالها وسارت الى اخيها برسق بن برسق ، واستقر مودود بولاية الموصل واعمالها في صفر من سنة ٥٠٢هـ[٦٤]

---

(٦١) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٤٥٧ـ٤٥٨
(٦٢) ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك المجلد الاول ص٢٠
(٦٣) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٤٥٨
(٦٤) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك المجلد الاول ص٢١

واتجه جاولي بعد رحيله عن المرصل الى نصيبين ، وكان بصحبته بلدوين الثانى ـ امير الرها ـ الذى كان قد وقع اسيرا بعد هزيمة الفرنج في حران سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م وحمله جكرمش الى الموصل ، وبادر جاولي بالاتصال بايلغازي بن ارتق امير نصيبين ودعاه للاجتماع به ، والعمل سوية لمواجهة السلطان محمد وبين له « ان خوفهما من السلطان ينبغي ان يجمعهما على الاحتماء منه »[٦٥] ، ويبدو ان ايلغازي لم يشأ التورط في معاداة السلطان والخروج على طاعته ، فتجاهل نداء جاولي ورحل عن نصيبين تاركا ولده ليتولى الدفاع عن المدينة اذا ما هاجمها جاولي وتوجه الى ماردين [٦٦] ، واضطر جاولى الى ترك نصيبين والتوجه نحو دارا ، وارسل ثانية الى ايلغازي يدعوه الى التعاون معه والاجتماع به ، في نفس الوقت الذي توجه فيه الى ماردين ، فدخلها فجأة وكان رسوله لايزال عند ايلغازي، فاسقط في يد ايلغازي وتحرج موقفه ، الا انه لم يظهر ما يدل على انزعاجه، وابدى استعداده لمؤازرته وخرج معه وعسكرا بظاهر نصيبين ، ثم تقدما الى سنجار ، فحصراها مدة ، ولم يظفرا بشيء فرحلا عنها الى الرحبة ، وكان ايلغازي ينتظر الفرصة المواتية لمفارقة جاولي والانفصال عنه فلما وصلا (عرابان) من قرى الخابور ، هرب ايلغازي ليلا وعاد الى نصيبين[٦٧]

---

(٦٥) الفارقى : ص٢٧٥ ، ابن الاثير الكامل جـ١٠ص٤٥٨ـ٤٥٩ ، ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص١٩٩

(٦٦) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ص٤٥٩ ، ابن خلدون جـ٥ص٨٤

(٦٧) نفس المصدر : الكامل جـ١٠ص٤٥٩ ، ابن خلدون ، جـ٥ص٨٤

وواصل جاولي تقدمه نحو الرحبة ، فلما وصل ماكسين ، اطلق سراح بلدوين الثاني من الاسر في مقابل فدية كبيرة يدفعها ، وان يطلق من سجونه من المسلمين كما تعهد بمساعدة جاولي بالمال والرجال ضد السلطان السلجوقي[٦٨] ، وكان الصليبيون في هذه الاثناء يضيقون الخناق حول طرابلس ، فارسل صاحبها فخر الملك بن عمار عدة نداءات الى السلطان محمد بن ملكشاه يحثه فيها على النهوض لقتال الصليبين وانقاذ طرابلس من السقوط في ايديهم ، ولما طال انتظار فخر الملك لوصول الامدادات قرر التوجه بنفسه الى بغداد ليعرض على السلطان ما ارتكبه الصليبيون من الفساد في اعمال طرابلس ويعجل بتلقي العون السلجوقي ولكن لم يكن في وسع السلطان انذاك تلبية رغبة فخر الملك اذ كان قد ارسل معظم عساكره الى الموصل لانتزاعها من جاولي[٦٩] فلما طال مقام فخر الملك ببغداد اشتد به القلق على احوال طرابلس ، فاضطر السلطان امام هذا الموقف الى اعادة الحوار مع الامير جاولي للصلح والمسير بالعساكر لنجدة طرابلس ، فارسل اليه حسين بن اتابك قتلغ تكين [٧٠] ، مع فخر الملك بن عمار ، ليعرضا عليه رغبة السلطان ، فلما اجتمع حسين بن اتابك بجاولي وعرض عليه تسليم مابيده من البلاد وضمن له عفو السلطان ، ابدى جاولي استعداده لتنفيذ امر السلطان وقال : « انا مملوك السلطان و فيطاعته » ، واشترط على الوفد رحيل العسكر عن الموصل على ان يرسل السلطان من يتولى امرها،

---

(٦٨) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٤٥٩ـ٤٦٠ ، ابن الفرات : تاريخ الدول مجلد ١ ص١ ٢

(٦٩) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ص٤٦٠

(٧٠) عبدالعزيز سالم : طرابلس الشام في العصر الاسلامى طبعة مصر ١٩٦٢ ص١٠٥ فيما بعدها .

وتعهد جاولي بان يسلم ولده رهينة الى السلطان ، فوافق حسين بن اتابك على ذلك وسار الى الموصل بصحبة احد رجال جاولي ، فوصلا الى العسكر والموصل لاتزال بيد اصحاب جاولي ، فأمرهم حسين بالرحيل ، فأبدى جميع الامراء موافقتهم على الرحيل عن الموصل ما عدا الامير مودود الذي ابى الرحيل الا بموافقة لسلطان ، وقبض على صاحب جاولي ، واقام على الموصل حتى تم له فتحها ، وعاد رسول السلطان محمد الى بغداد ، وعرض نتائج اتصاله بالامير جاولي واستعداد الاخير للدخول في طاعته[71]

وعلم جاولي وهو في طريقه الى منبج باستيلاء مودود على الموصل فعظم عليه ذلك وفارقه كثير من اصحابه ولم يبق معه من العساكر سوى الف فارس ، ثم انضم اليه خلق من المطوعة ، فنزل بتل باشر ، ثم لم يلبث ان انهزم امام تنكري أمير انطاكية في صفر من سنة ٥٠٢هـ ،وعاد الى السلطان طالبا العفو منه فأمنه وعفا عنه واقطعه بلاد فارس وسير معه ولده الملك جغري فاقام بتلك البلاد حتى وفاته في سنة ٥١٠هـ[72]

(٤)
العلاقات في عهد مودود
٥٠٢هـ - ٥٠٧هـ

كان الامير مودود بن التونتكين من ابرز قادة السلطان محمد بن ملكشاه ، وقد اظهر كفاءة ومقدرة فائقة في تنفيذ المهام التي عهدها اليه السلطان السلجوقي في الفترة السابقة على توليه امارة الموصل ، واستطاع مودود ان يكسب السلطان محمد بما قدم من خدمات للدولة السلجوقية وما بذله من جهود في اخماد الفتن والاضطرابات في اقاليم الدولة المختلفة .

---

(٧١) كان قتلغ تكين اتابكا للسلطان محمد ، فقتله ، وتقدم ولده حسين عند السلطان واختص به ، انظر ابن الاثير ، الكامل ج١٠ ص٤٦٣ .

(٧٢) الفارقي ، تاريخ ميافارقين ص٢٧٥ ، ابن الاثير الكامل ج١٠ ص٤٦٣ - ٤٦٤ ، ابن خلدون ، ج٥ ص٨٦ .

واول مهمة اسندت الى مودود كانت ضد الامير جاولي سقاوه في سنة ٤٩٩هـ وكان جاولي حينئذ يتولى حكم البلاد الواقعة بين خوزستان وفارس ، فتولى مودود قيادة عساكر السلطان وهاجم جاولي وحصره مدة ثمانية اشهر ، ثم انتهى الامر باستسلام جاولي لعساكر السلطان ورحيله الى بغداد حيث اقطعه السلطان ولاية الموصل واعمالها في سنة ٥٠٠هـ(٧٣)

ثم اتيح لمودود ان يلعب دورا بارزا في الحرب التي قامت بين صدقه بن مزيد والسلطان محمد سنة ٥٠١هـ ويذكر المؤرخ ابن القلانسي ان السلطان « اعتمد في تدبير الجيش وترتيب الحرب على الامير مودود » (٧٤) ، ولما اعلن جاولي عصيانه في الموصل ، اسند السلطان الى الامير مودود مهمة اخضاعه وانتزاع البلاد منه ، ونجح مودود في القيام بهذه المهمة وتمكن من دخول الموصل في صفر من سنة ٥٠٢هـ(٧٥)

وما ان استقر مودود في الموصل حتى تلقى امر السلطان باستئناف حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين ، فشرع مودود باعداد العدة للقيام بهذه المهمة، وشاركت عساكر الموصل والجزيرة جنبا الى جنب مع عساكر الشام لتؤدي دورها في الدفاع عن الوطن ، ولم يتأخر مودود في تلبية اى نداء او استغاثة ضد الصليبيين ، لما عرف عنه من حماسه وتمسكه بفكرة الجهاد الديني ، فقضى مدة حكمه القصيره في كفاح متواصل ضد الفرنج ، وقد صدق ابو المحاسن في وصفه مودود بانه « من خيار الملوك دينا وشجاعة وخيرا »(٧٦)

---

(٧٣) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٥١٦

(٧٤) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٤٢٢ العينى : عقد الجمان جـ١٥ ص ٦٠٥-٦٠٦

(٧٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١٥٩

(٧٦) الفارقي : تاريخ ميافارقين ص٢٧٥

وقاد مودود عدة حملات عسكرية ضد الفرنج ،في امارة الرها وبلاد الشام ، فخرج للجهاد في سنة ٥٠٣هـ بناء على امر السلطان محمد وهاجم الصليبيين في الرها ، ثم لم يلبث عاد مرة اخرى في سنة ٥٠٥هـ وكانت معركة الصنبرة في سنة ٥٠٦هـ/١١١٣م ، اخر معركة شهدها مودود ، اذ توجه بعدها الى دمشق لقضاء فصل الشتاء والاستعداد لاستئناف الجهاد في فصل الربيع ،الا انه لم يلبث ان لقى مصرعه بجامع دمشق في يوم الجمعة الاخيرة من شهر ربيع الاخر سنة ٥٠٧هـ [٧٧] ، فبعد ان قضيت الصلاة خرج الى صحن الجامع ويده في يد طغتكين فوثب عليه احد الباطنية وطعنه بخنجر ، فقتل الباطني واخذ راسه فلم يتعرف عليه احد وكان مودود صائما فحمل الى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال : « لا لقيت الله الا صائما ، فمات من يومه»[٧٨] ، وترك مصرع مودود اثرا عميقا في نفوس المسلمين في فاتهموا طغتكين بتدبير الحادث ، وقد اشار ابن الاثير الى ذلك « وقيل ان الباطنية بالشام خافوه وقتلوه ، وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله »[٧٩] ، واعتبر بعض المؤرخين اسراع طغتكين بقتل الجاني واحراق جثته دليلا على رغبة امير دمشق في طمس معالم الجريمة وتبرئة نفسه امام الرأي العام الاسلامي [٨٠]، اما المؤرخ ابن القلانسي فيدفع هذه

---

(٧٧) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥ص٢٠٧

(٧٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١٨٧ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ٨ص٧٦

(٧٩) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ص٤٩٧

(٨٠) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٤٩٧

التهمة عن طغتكين بما رواه عن القلق والحزن اللذين الما بصاحب دمشق بعد مصرع مودود فيقول فقلق اتابك (طغتكين) لوفاته على هذه القضية وتزايد حزنه واسفه وانزعاجه وكذلك سائر الاجناد والرعية وتألموا لمصابه وزاد التأسف والتلهف عليه [٨١] كما انكر المؤرخ سبط ابن الجوزي الصاق التهمة بطغكتين وقال ان ذلك « ليس بصحيح فان طغتكين كان احب الناس اليه ، وحزن عليه حزنا لم يحزنه على احد وشق ثوبه عليه وجلس في عزائه سبعة ايام وتصدق عنه بمال جزيل» [٨٢]

والواقع ان وصول مودود على راس قوات الموصل واقليم الجزيرة كان له اثر كبير في تدعيم فكرة الجهاد الاسلامي ضد الغزاة الصليبيين ،اذ لايخفى ان اشتراك هذه القوات في مقاومة العدوان الصليبي يعتبر بداية لتحرك عربى اسلامى واسع وتجسيدا عمليا لوحدة القوى العربية الاسلامية في المنطقة ، وقد استطاع مودود خلال حكمه في الموصل ان يحقق سلسلة من الانتصارات ضد الغزاة الفرنج كان لها اثرا بالغا ، في دفع حركة المقاومة ضد القواعد الصليبية في بلاد الشام والجزيرة كان اخرها النصر الذي احرزه في موقعه الصنبره التي مني بها الصليبيون بهزيمة منكرة ووقع الملك بلدوين نفسه في اسر المسلمين الا انه لم يعرف فأخذ سلاحه واطلق سراحه وصمم مودود على مواصلة الجهاد فاستجاب لدعوة طغتكين بدخول دمشق لقضاء فصل الشتاء على ان يستانفا الجهاد في الربيع القادم ، وطبيعي ان يثير ذلك مخاوف الصليبيين الذين ادركوا الخطر الذي سينجم عن اجتماع

---

(٨١) رنسيمان : الحروب الصليبية ج٢ص٢٠٧ ، عاشور ، الحركة الصليبية ج١ص٣٢٣

(٨٢) ابن القلانسي ص١٨٧

المسلمين على قتالهم ، ونحن لانستبعد ان يكون الفرنج وراء مصرع مودود، فهم الجهة الوحيدة التي تستفيد من اغتياله للقضاء على ركن من اهم اركان الجهاد الاسلامي في تلك المرحلة ..

اما عن اتهام الباطنية فعلى الرغم من انهم مارسو عمليات اغتيال متعددة ذهب ضحيتها عددا من الشخصيات الاسلامية ، الا اننا نستبعد ان يكون لهم يد في مصرع مودود ، فلم يكن مودود يستهدف في حملاته مهاجمة هذه الجماعة ،كما لم يكن من بين القادة الذين لعبوا دورا بارزا في مهاجمة قلاعهم سواء خلال فترة حكمه في الموصل او قبل ذلك ، واما القول بان طغتكين كان وراء تدبير الحادث خوفا من اطماع مودود في امارته فأمر بعيد الاحتمال فقد كان دخوله دمشق قد تم تلبية لرغبة طغتكين وبناء على دعوته مما ينفي وجود اية مخاوف لدى امير دمشق من دخول مودود في بلاده وبالتالي فليس هناك مايدفع طغتكين على ارتكاب هذه الجريمة لاسيما وان خروج مودود في هذه الحملة كان استجابة لنداء طغتكين الذي ارسل يستنجد به ويستحثه على سرعة الوصول لدفع غارات الصليبيين على اعمال دمشق .

ودفن مودود في مشهد داخل باب الفراديس بدمشق ، وقفلت قواته عائدة الى الموصل [٨٣]، وتسلم تميرك صاحب سنجار ما كان معه من الخزائن والسلاح وحملها الى السلطان محمد ، ثم نقل جثمانه الى بغداد في اخر رمضان من سنة ٥٠٧هـ حيث دفن في جوار الامام ابي حنيفة ، ثم حمل بعد ذلك الى اصفهان [٨٤]

---

(٨٣) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج٨ص٧٨
(٨٤) ابن القلانسي : ص١٨٨ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج٨ص٧٧

(٥)

ولاية جيوش بك

١ ـ ولاية اقسنقر البرسقي الاولى على الموصل :

لما بلغ السلطان محمد مصرع مودود بادر الى اقطاع الموصل واعمالها الى اقسقر البرسقي في اوائل عام ٥٠٨هـ ، وعهد اليه بمواصلة الجهاد ضد الصليبيين ،وكتب الى سائر امراء الجزيرة وديار بكر يدعوهم الى الانضمام الى حملة البرسقي ، ولم يستمر حكم البرسقي على الموصل سوى عام واحد وبضعة اشهر ، حيث امر السلطان بعزله عن الولاية على اثر هزيمته ايام ايلغازي بن ارتق وحليفه طغتكين بالاضافة الى اخفاقه في تحقيق النصر على الصليبيين ، واقطع السلطان الموصل وما ينضاف اليها من الاعمال الى الامير جيوش بك في سنة ٥٠٩هـ (٨٥)

وكانت هزيمة البرسقي .. امام ايلغازي وطغتكين قد دفعت السلطان محمد الى اعداد حملة قوية لاخضاع امراء الاطراف والقضاء على كل حركة تهدف الى الانفصال عن السلطنة السلجوقية ، حتى يتهيأ له مواصلة الجهاد ضد الصليبيين في الشام .

---

(٨٥) ابن الاثير : الكامل ج١٠ص٤٩٧ ، ابو الفدا المختصر ج٤ص٥٤ ا

(٨٦) ذكر ابن الاثير في الباهر ص١٩ واخذ عنه ابو شامة في الروضتين ج١ص ٦٩ انالسلطان محمد اقطع الموصل بعد مصرع مودود الى الامير جيوش بك في حين يذكر ابن الاثير نفسه في كتابه الكامل ج١٠ص٥١٤ـ ٥١٥ ان السلطان محمد اقطع الموصل وما كان بيد اقسنقر البرسقي للامير جيوش بك ، مما يؤيد ان البرسقى كان قد تولى الموصل بعد مصرع مودود لفترة قصيرة ثم عزل عن الولاية . انظر : سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج٨ص٧٨ ، ابو الفدا ، المختصر ج٤ص١٤٦ ، ابن كثير البداية والنهاية ج١٢ص١٧٨ ، ابن خلدون ج٥ص٨٩ ، ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج٥ص٢٠٧ .

واعد السلطان محمد جيشا كثيفا جعل على مقدمته الامير برسق بن برسق ، صاحب همدان ، وامر كلا من جيوش بك ، والامير كنتغدي بمصاحبته ، وقد تمكن المسلمون في هذه الحملة من الاستيلاء على كفر طاب ، ثم عادوا الى المعرة ، وكانت هي الاخرى تابعة للفرنج وهناك فارقهم جيوش بك الى وادي بزاغة فملكه ، اما طغتكين فتوجه الى بغداد في ذي القعدة من سنة ٥٠٩هـ ، طالبا عفو السلطان محمد ، فعفا عنه وخلع عليه ورده الى دمشق [٨٦]

ب ـ السلاجقة بعد وفاة محمد بن ملكشاه :

في ذي الحجة من سنة ٥١١هـ توفى السلطان محمد باصفهان ، وخطب بالسلطنة لولده محمود في المحرم من السنة نفسها [٨٧] ، وارسل الاخير وزيره محمد بن الربيب ابو منصور الى الخليفة المستظهر بالله يلتمس الخطبة له ببغداد ، فأجابه الخليفة الى ذلك وخطب له في اليوم الثالث عشر من المحرم سنة ٥١٢هـ [٨٨] ، وبدأت بولاية محمود مرحلة جديدة من مراحل الصراع حول العرش السلجوقي ، فقد نافسه على السلطنة اخوته كما وجد عمه سنجر نفسه احق بالعرش ، من ابن اخيه وأنف ان يكون تابعا له . وكان سنجر انذاك قد بسط نفوذه على خراسان وما وراء النهر ، فاعلن نفسه سلطانا على السلاجقة وبذلك وجد سلطانان في وقت واحد ، وانقسمت الدولة السلجوقية قسمين ، سلاجقة الشرق او سلاجقة خراسان ويمثلهم السلطان سنجر ، وسلاجقة الغرب او سلاجقة العراق ويمثلهم السلطان

---

٨٧) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١٤

٨٨) ابن الجوزي : المنتظم جـ٥ص١٩٦ ، الحسيني اخبار الدولة السلجوقية ص٨٢ ، ابن خلكان وفيات الاعيان جـ٢ص٦٩ ، (كان للسلطان محمد اربعة اولاد هم : محمود ومسعود وسليمان شاه وسلجوق شاه) .

محمود بن محمد بن ملكشاه ، وكان لابد لهذين المعسكرين من الاصطدام الوشيك وهكذا اخذ كل من السلطانين يكيد للاخر ويعمل على التغلب عليه [89]

وعزم السلطان سنجر على الزحف نحو العراق ، فتصدى له محمود ودارت بينهما معركة حامية في جمادي الاولى من سنة ٥١٣هـ بالقرب من (ساوه) ، انتهت بهزيمة محمود وانتصار عمه سنجر ،ووصل الخبر الى بغداد في عشرة ايام وارسل دبيس بن صدقة الى الخليفة المسترشد بالله يطلب منه ان تكون الخطبة للسلطان سنجر ،فلم يتردد الخليفة في تنفيذ ذلك واصدر امره بالخطبة لسنجر في السادس والعشرين من جمادي الاولى وقطعت خطبة السلطان محمود [90]

ولم يلبث السلطان سنجر ان عطف علي بن اخيه فراسله في الصلح ، فبادر محمود الى الحضور وبالغ سنجر في اكرامه ، وكتب الى سائر الاعمال التي بيده كخراسان وغزنة وما وراء النهر ، وغيرها من البلاد ، يأمر بان يخطب للسلطان محمود بعده ، كما ارسل الى بغداد مثل ذلك ، واعاد الى محمود جميع ما اخذ منه من البلاد ، عدا بلاد الري ، فقد رأى سنجر ان يحتفظ بها ويتخذها قاعدة له ليتمكن بذلك من مراقبة محمود لئلا تحدثه نفسه بالخروج مرة اخرى [91]

---

(٨٩) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٥٣٣ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج٢ص

(٩٠) حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص١١٢ ١١٣ ، حسين امين العراق في العصر السلجوقى ص٩٣ .

(٩١) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٥٤٨ـ٥٥٢ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج٨ص١١٩ـ١٢٠

وبموجب هذا الصلح اصبح السلطان محمود منذ سنة ٥١٣هـ نائبا لسنجر في العراق ، واكتسب اعتراف الخليفة العباسي باعتباره سلطانا لسلاجقة العراق من الناحية الرسمية ، ومنحه سنجر البلاد التي تمتد في حدود خراسان الى الداروم باقصى الشام وتشمل همدان واصفهان باقليم العراق العجمي وبلاد الجبال وكرمان وفارس وخوزستان والعراق العربي واذربيجان وارمينية وديار بكر وبلاد الموصل والجزيرة وديار مضر وديار ربيعة وبلاد الروم وكانت بيد اولاد قلج ارسلان (٩٢)

جـ ـ اشتراك جيوش بك في حملة مسعود على بغداد

كان السلطان محمود قد اقر اخاه مسعودا على الموصل مع اتابكه جيوش بك ، ويبدو ان مسعودا هذا كان يطمع في السلطنة ، فظل يترقب الفرصة المناسبة لتحقيق اهدافه ويجب ان لانغفل دور جيوش بك في تحريض مسعودا على المطالبة بالعرش وزين له الخروج على اخيه محمود ، طمعا في زيادة الاقطاع والتحكم بشؤون السلطنة السلجوقية ، ومنذ وفاة السلطان محمد وقيام محمود بالسلطنة اخذ اخوته الثلاثة يعملون بتوجيه من اتابكتهم فيخالفون رغبات السلطان ويخلقون له المشاكل ويثيرون عليه امراء الاطراف (٩٣) ، وحدث في جمادي الاولى من سنة ٥١٢هـ ان رحل اقسنقر عن بغداد لقتال دبيس بن صدقة امير الحلة واجلائه عن البلاد . وكان البرسقي انذاك يتولى شحنكية بغداد ، فلما بلغ ذلك مسعودا واتابكه جيوش بك تحركت اطماعهما في قصد بغداد ، ويذكر ابن الاثير انه «اشار عليهما جماعة ممن عندهما بقصد العراق فانه لامانع دونه (٩٤) وخرج مسعود

---

(٩٢) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ص١٣٠
(٩٣) ابن الاثير : الباهر ص٢١ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ص ١٢٠-١٢١
(٩٤) محمد صالح القزاز ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ص٤٢

وجيوش بك الى بغداد • وكان يرافق مسعود وزيره فخر الملك ابو علي بن عمار امير طرابلس السابق وعماد الدين زنكي ، وامير سنجار ، وابو الهيجاء امير اربل ، وكرباوى بن خراسان التركماني صاحب البوازيج ، وكان البرسقي قد نزل بعساكره ادنى الرقة ، فلما بلغه اقتراب مسعود وحلفائه ادرك خطورة الوضع • فسارع الانسحاب نحو بغداد للدفاع عنها واستعد لمواجهة مسعود وحلفائه ، وكانت عودته الى بغداد مفاجأة للملك وجيوش بك اللذين كانا يعتقدان بانهما سيدخلان بغداد دون مقاومة لخلوها من الجند ، فلما علما باستعداد البرسقي تغير الموقف ، واصبح من المحتم عليهما الاصطدام بالبرسقي اذا حاولا اقتحام المدينة ، فآثرا الصلح معه ، وارسلا اليه يبلغانه انهما انما قدما نجدة له على دبيس ، وكان كرباوي بن خراسان التركماني رسولهما الى البرسقي في هذا الامر ، فاطمئن البرسقي اليهما وسمح لمسعود بدخول بغداد وانزله بدار المملكة (٩٥)

ويبدو من خلال رواية ابن الاثير ان البرسقي انما كان يخاف من جانب جيوش بك فقط فقد سبق للسلطان محمد ان عين البرسقي اتابكا لولده مسعود (٩٦) ، ومما اثار مخاوف البرسقي انه لم يطلب اية مساعدة من الملك مسعود وجيوش بك في صراعه مع دبيس بن صدقة ، يضاف الى ذلك انهما اتجها بقواتهما نحو بغداد ولم يتجها الى حيث يعسكر البرسقي في مواجهة دبيس ، مما يؤيد انهما كانا ينويان الاستيلاء على بغداد منتهزين فرصة رحيل البرسقي •

---

(٩٥) ابن الاثير ، المصدر الكامل ج١٠ ص٥٣٩ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ج٢ ص٥ (ميكروفيلم)

(٩٦) نفس المصدر ، الكامل ج١٠ ص٥٤٩ــ٥٤٠ نفس المصدر ، تاريخ الدول والملوك ج٢ ص٥

اما عن موقف دبيس بن صدقة فقد اضطر الى اسرضاء البرسقي بعد ان انحاز اليه مسعود واتابكه جيوش بك ، اذ ادرك انه لايمكنه مواجهتهم منفردا فاهدى لمسعود هدية حسنة ، والبرسقي وجيوش بك »(97) ، وتواردت الاخبار في هذه الاثناء عن قرب وصول الامير عماد الدين منكبرس في جيش كبير ، فنهض البرسقي لدفعه عن بغداد ، ونجح في ارغامه على تغيير سيره فتوجه الى النعمانية ، وعبر دجلة هناك وانضم الى دبيس بن صدقة الذي كان قد كاتبه ودعاه الى الاجتماع به والاتفاق على البرسقي وحلفائه ،وهكذا عاد الموقف للتأزم من جديد ، وخرج البرسقي والملك مسعود وجيوش بك لمواجهة دبيس وحليفه منكبرس ، فلما وصلوا الى المدائن بلغهم كثرة عساكرهما ، فقرر البرسقى ومسعود التراجع وعبرا نهر صرصر ، وحفظا المخاضات عليه لاحباط اى محاولة قد يقوم بها دبيس لعبور النهرالمذكور(98)

وادى النزاع بين البرسقي وبين دبيس ومنكبرس الى قيام حالة من الفوضى والاضطراب واختلال الامن في منطقة السواد « فنهبت الطائفتان السواد نهبا فاحشا، نهر الملك، نهر صرصر ، ونهر عيسى ، وبعض دجيل»(99) فدفع هذا الوضع الخليفة المسترشد بالله الى التدخل داعيا الاطراف المتنازعة الى الصلح وحقن الدماء ، فانفذ وفدا الى البرسقي ومسعود « يأمرهما بحقن الدماء ، وترك الفساد ، ويأمر بالموادعة والمصالحة» وكان وفد الخليفة يضم سديد الدولة بن الانباري ، والامام الاسعد الميهني ، مدرس النظامية فانكر البرسقي ان يكون قد جرى منهما شيء من ذلك ، واكد للوفد استعداده للعودة الى بغداد (100)

---

(97) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ ص٥٣٩

(98) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٥٤٠ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك جـ٢ ص٦

(99) نفس المصدر الكامل جـ١٠ ص٥٤٠ ، ابن خلدون جـ٥ ص٩٧

(100) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ ص٥٤٠ ، نفس المصدر جـ٥ ص٩٧

اما دبيس ومنكبرس فانهما حاولا انتهاز فرصة خلو بغداد من الجند : فانفذوا منصورا اخا دبيس والامير حسين بن ازبك على رأس ثلاثة الاف فارس وامروهما بعبور نهر ديالى الى بغداد ، فعلم البرسقي بذلك عاد الى بغداد تاركا ولده عز الدين مسعود على عسكره في صرصر ، واستصحب البرسقي معه عماد الدين زنكى ، فوصل ديالى ونجح في منع قوات دبيس من العبور ، واقام يومين في ذلك الموضع ، فوصله كتاب ولده عزالدين مسعود يخبره بعقد الصلح بين دبيس ومنكبرس ، وبين الملك مسعود وجيوش بك ، فاستاء البرسقي من ذلك لوقوعه دون علمه ، وقرر العودة الى بغداد ، وعبر الى جانب الغربي ، وعبرت في اثره عساكر منصور بن صدقه وحسين بن ازبك ودخلا بغداد ونزلا عند جامع السلطان ، اما الملك مسعود وجيوش بك فنزلا عند البيمارستان ، فيحين نزل دبيس ومنكبرس اسفل الرقة [101]

ويرجع سبب وقوع هذا الصلح المفاجيء الى ان جيوش بك كان قد ارسل الى السلطان محمود يطلب زيادة الاقطاع له وللملك مسعود ، فبينما هما معسكرين على نهر صرصر في مواجهة دبيس ، وصل كتاب الرسول قادما من المعسكر السلطاني يخبرهما فيه بانه السلطان اقطعهما ولاية اذربيجان بالاضافة الى الموصل واعمالها ، فلما بلغ السلطان محمود رحيلهما عن الموصل الى بغداد ظن انهما خرجا عن طاعته فعاد عما كان استقر عليه ، وتجهز لقصد الموصل ، فوقع هذا الكتاب بيد منكبرس ، فاتخذ منه اداة للضغط على جيوش بك ومسعود وحملهما على التخلي عن البرسقي والعودة الى بلادهما ، فارسله الى جيوش بك مؤكدا له انه سيضمن عفو السلطان عنه وعن الملك مسعود فيما اذا انسحبا الى الموصل [102] ، وهكذا لم يجد

---

(١٠١) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٥٤١ ، نفس المصدر جـ٥ص٩٧
(١٠٢) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٥٤١ نفس المصدر جـ٥ص٩٧

جيوش بك ومسعود بدا من الموافقة اذ خشيا ان ينفذ السلطان محمـــود تهديده « فيكونا حينئذ بين كماشتين » السلطان من جهة ودبيس ومنكبرس من جهة اخرى ، فمالا الى الصلح ، ويبدو ان أمير الموصل كان يخشى تدخل البرسقي ليحول دون عقد الصلح ، فاتفق مع منكبرس على ان يرسل فرقـة من العسكر لتهديد بغداد وارغام البرسقي على الانسحاب عن مســرح الاحداث . فتم لها ذلك وعقد الصلح بينهما ، وعاد عساكر الموصل والجزيرة ومن معهما الى بلادها ، ولم يحصل جيوش بك على ما كان يأمله مـن وراء هذه الحركة ، أما البرسقي فقد تفرق عنه اصحابه ، وسار بصحبة الملك مسعود فاقطعه مدينة مراغة ، في حين استقر عماد الدين منكبرس في شـــحنكة بغـــداد (١٠٣)

د ـ دور جيوش بك في الحرب بين مسعود والسلطان محمود :

واصل دبيس بن صدقة سياسته الهادفة الى اثارة الفتنة وبث الخلاف بين سلاطين وملوك البيت السلجوقي ، وقد وجد امير الحلة في شخصـية الملك مسعود اداة طيعة في يده يسخره لهذا الغرض ، لما كان يعلمه مـــن تهافته على منصب السلطنة ومنافسته لاخيه محمود ، فعمل على مكاتبـــة جيوش بك محرضا اياه على طلب السلطنة لمسعود ، ويعده بالعون والنصرة وكان غرضه من وراء ذلك ان يختلفوفينال من الجاه وعلو المنزلة ما نالـه ابوه باختلاف السلطانين بركيا روق ومحمد ابني ملكشاه (١٠٤)

---

(١٠٣) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٥٤١ـ٥٤٢ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك جـ٢ص٦

جـ ـ اشترام جيوش بك في حملة مسعود على بغداد :

د ـ دور جيوش بك في الحرب بيـــن مسعود والسلطان محمود :

(١٠٤) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٥٤٢ نفس المصدر ، تاريـخ الـدول والملوك جـ٢ص٦ـ٧

وكان البرسقي انذاك مقيما في الرحبة ، فارسل دبيس الى جيوش بك يشير عليه بالقبض على البرسقي بحجة ميله الى السلطان محمود ، وبذل دبيس لصاحب الموصل اموالا كثيرة لهذا الغرض ، ولما علم البرسقي بانباء هذه الاتصالات وتحريض دبيس لجيوش بك على نفسه ، ورحل الى السلطان محمود ، ونقل اليه اخبار الاتفاق بين دبيس ومسعود وجيوش بك وعزمهم على محاربته[١٠٥] ، ويذكر ابن الجوزي ان السلطان محمود كتب الى اخيه مسعود بقصد استرضائه ورده عن العصيان فلم يصلح [١٠٦]

وعلى الرغم من تحذير السلطان محمود لجيوش بك ومسعود ومن ايدهما ودعوته لهم بنبذ الخلاف وترك العصيان ، وواعدا ايام بالاحسان وزيادة الاقطاع الا انهم لم يعبأوا لمبذلك واظهروا « ما كانوا عليه ، وما يسرونه وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس»[١٠٧]، وكانت عساكر السلطان محمود حينئذ متفرقة مما شجع مسعود واتابكه على استغلال الفرصة والاسراع بمهاجمته ، فتم اللقاء بينهما بالقرب من همدان منتصف ربيع الاول من سنة ٥١٤هـ[١٠٨]

وكان السلطان في خمسة عشر الف مقاتل على مقدمتهم اقسنقر البرسقي ، فأبلى يومئذ بلا حسنا ، واسفرت المعركة عن هزيمة مسعود وجيوش بك واسر جماعة من الاعيان ومقدمي العسكر بينهم الاستاذ ابو اسماعيل الطغرائي وزير مسعود فامر السلطان بقتله[١٠٩]

---

(١٠٥) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٥٦٢
(١٠٦) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٥٦٣
(١٠٧) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٩ص٢١٧ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ص١٣٧ و١٣٨
(١٠٨) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٥٦٣
(١٠٩) ابن الجوزي المنتظم جـ٩ص٢١٧ ، ابن الجزري ، ملخص تاريخ الاسلام ص٥١٦

واضطر مسعود بعد هزيمته الى التماس سبل الفرار مع عدد من غلمانه ، وقصدوا جبلا يبعد عن ارض المعركة باثني عشر فرسخا ، حيث امتنعوا ، وارسل عثمان ركابي عسكره الى اخيه محمود يطلب الامان ويعتذر عما بدر منه ، فاجابه السلطان الى ذلك ، وامر البرسقي بالمسير اليه وابلاغه عفو السلطان عنه ، واحضاره ، وكان بعض الامراء قد اتصلوا بمسعود بعد ان كتب الى اخيه يطلب الامان ، واشاروا عليه بالتوجه الى الموصل والاتصال بدبيس صدقة لاستئناف الحرب ضد محمود ، فوافقهم على ذلك ورحل من موضعه قاصدا الموصل ، فلما وصل البرسقي اخبر بمسيره ، فجد في اللحاق به ، فادركه على بعد ثلاثين فرسخا من مكانه ، واخبره بعفو اخيه ، واقنعة بالعودة اليه،وضمن له ما اراد[110] ، فقرر مسعود العودة الى اخيه الذي تلقاه مرحبا واحسن استقباله وانزله عند والدته ، « وجلس له ، واحضره ، واعتنقا ، وبكيا ، وانعطف عليه محمود ، ووفى له بما بذله ، وخلطه بنفسه في كل افعاله » ، وقد استمرت الخطبة لمسعود باذربيجان وبلاد الموصل والجزيرة مدة ثمانية وعشرون يوما [111]

---

(١١٠) الحسينى ، اخبار الدولة السلجوقية ص٩٦-٩٧ (كان الاستاذ مؤيد الدين اسماعيل الحسن بن علي الطغرائي قد اتصل بالملك مسعود فى الموصل فاستوزر وعزل ابا علي ابن عمار سنة ٥١٣هـ ، فحسن له مخالفة اخيه وحرضه على طلب السلطنة ، الحسينى ص٩٧) .

(١١١) ابن الجوزي ، المنتظم ج٩ص٢١٧ ، البندارى ، تاريخ دولة ال سلجوق ص١٢١

اما جيوش بك فقد قصد موضع قريب من ارض المعركة على امل الاجتماع بمسعود هناك الاان مسعودا لم يصل كما كان متفقا معه ، فاضطر الى الرحيل عن ذلك الموضع وانتظاره في مكان اخر دون جدوى ، فقد كان مسعود انذاك في طريقه الى اخيه محمود ، فلم يجد جيوش بك امامه سوى العودة الى الموصل ، فنزل بظاهرها واعد المدينة لمقاومة اي هجوم او حصار قد يقوم به السلطان محمود عليها ، وجمع الغلال من السواد ، واجتمعت اليه العساكر وبينما هو منهمك في الاعداد للمعركة المقبلة ، جاءته الانباء بمصالحة السلطان محمود لاخيه مسعود وعفوه عنه ، فاسقط في يده ، وادرك ضعف مركزه ، وقرر التوجه الى السلطان محمود اذ لم يبق هناك اي مبرر لاستمرار عصيانه بعد انحياز مسعود الى اخيه وذكر ابن الاثير ان جيوش بك قال لمن معه : « انني قد عزمت على قصد السلطان محمود ، واخاطر بنفسي ، فسار اليه وهو بهمدان ، ودخل اليه ، فطيب قلبه وامنه ، واحسن اليه »(١١٢)

واكتفى السلطان بعزل جيوش بك عن امارة الموصل واعمالها كالجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها ، واقطعها الى الامير اقسنقر البرسقي في صفر من سنة ٥١٥هـ ، وتقدم الى سائر الامراء بطاعته ، وعهد اليه بقتال الصليبيين(١١٣) اما جيوش بك فقد بقي ملازما للسلطان محمد بهمذان ، حتى امره باخماد حركة اخيه الملك طغرل في اذربيجان في اواخر سنة ٥١٤هـ، فلما علم طغرل واتابكه كنتغدى ذلك سارا الى كنجه هربا من عساكر السلطان ، ولم يلبث كنتغدى ان تو في في شوال من سنة ٥١٥هـ ، فانضم

---

(١١٢) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٥٦٣ـ٥٦٤ ، سبط ابن الجوزي مرآة الزمان جـ٨ص١٣٩ ابو الفدا ، المختصر جـ٤ص١٥٢

(١١٣) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٥٦٤

اقسنقر الحمديلي امير مراغة الى الملك طغرل واتفقا على قتـال السـلطان محمود ، فقصدا تبريز ، فبلغهم وصول جيوش بك الى اذربيجان ونزوله على مراغه في عساكر كثيفة ، فما لا الى الصلح ، وراسلوا السلطان بالطاعـة ، فاجلبهم الـى ذلك وتم عقد الصلح في المحرم من سنة ٥١٥هـ(١١٤) ؟

ولم تستمر ولاية جيوش بك مدة طويلة على اذربيجان اذ لم يلبث ان لقى مصرعه على يـد السلطان محمود في شهر رمضان مـن سـنة ٥١٦هـ ، بتحريض من بعض الامراء المعادين له فأمر بقتله في رمضان على باب تبريز(١١٥)

(٦)

العلاقات في عهد البرسقي وولده عزالدين مسعود

سار البرسقي الى الى الموصل في عسكر كثيف فدخلها واصلح احوالها لكثرة ما تعرضت اليه من الحروب واقام البرسقي بها مدة يسيره رحل بعدها الى بغداد لمواجهة السلطان فولاه شحنكية بغداد والعراق جميعه ، تلبيـة لرغبة الخليفة المسترشد بالله ، ثم زوجه (خاتون بهشت جهان) والـدة اخيه الملك مسعود ، فاقام البرسقي ببغداد الى شعبان من سنة ٥١٦هـ(١١٦)

ثم اضاف السلطان مدينة واسط الى اقطاع البرسقي في السنة نفسها فعهد البرسقي بها الى عماد الدين زنكى ، فتوجه اليها في شعبان من سـنة ٥١٦هـ وابعد عنها قوات دبيس ابن صدقة ، واظهر كفاية ومقدرة فائقة ، مما جعل البرسقي يضيف اليه شحنكية البصرة(١١٧)

---

(١١٤) ابن الاثير ، الباهرى ص٢٤ ، ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ص٢٠٢

(١١٥) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٥٨٧ـ٥٩٧ ابن خلدون جـ٥ص١٠٧

(١١٦) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٦٠٣ـ٦٠٤ ، ابـن الـوردى ، تتمـة المختصر جـ٢ص٤٤

(١١٧) نفس المصدر ، الباهر ص٥ ٢

واستمر البرسقي يلي شحنكية العراق حتى سنة ٥١٨هـ[118] ، عندما عزله السلطان محمود وعين مكانه سعد الدولة يرنقش الزكوى[119] ، وعاد البرسقي الى الموصل لكي يواصل منها الجهاد ضد الصليبيين وصحبة احد اولاد السلطان محمود مع والدته[120]

وشغل البرسقي طوال فترة ولايته على الموصل في الجهاد ضد الصليبيين لرغبة السلطان محمود ، فأدى دوره في المساهمة بالجهاد جنبا الى جنب مع العساكر الاسلامية في اقليم الجزيرة وشمال الشام ، وعاد الى الموصل في ذي القعدة من سنة ٥٢٠هـ و في اليوم الثامن من الشهر المذكور لقى البرسقي مصرعه على يد نفر من الباطنية وهو يصلي الجمعة مع العامة في المسجد الجامع[121]

وكان ولده عز الدين مسعود مقيما انذاك في حلب ليحفظها من الفرنج، فلما بلغه نبأ مصرع ابيه استخلف في حلب الامير قومان واسرع في الرحيل عنها الى الموصل ، فدخلها في ذي الحجة من سنة ٥٢٠هـ[122] ، واقر عز الدين مسعود الوزير المؤيد ابا غالب بن عبدالخالق بن عبدالرزاق على وزارته ، واحسن الى اصحاب ابيه في الموصل ، واستقرت له الامور بالبلد ولم يبق امامه سوى الحصول على تفويض السلطان بحكم الموصل وما كان بيد ابيه ،

---

(١١٨) نفس المصدر ، الباهر ص٢٤–٢٥ ، ابو الفدا ، المختصر ج٤ص١٥٧

(١١٩) ذكر ابن الاثير في الباهر ص١٢٧ ان عزل البرسقى عن شحنكية العراق تم في سنة ٥١٧هـ

١٢٠. ابن الجوزي المنتظم ج٩ص٢٤٩ ،ابن الفرات ،تاريخ الدول والملوك ج٢ص٨٦

(١٢١) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٦٢٢

(١٢٢) ابن القلانسي ، ص٢١٤ ، ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٦٣٣–٦٣٤ ، ابن العديم زبدة الحلب ج٢ص٢٣٤

« فانحدر الى خدمة السلطان محمود ، فأحسن اليه واعاده ولم يختلف عليه احد من اهل بلاد ابيه »[123]

وما ان استقر عز الدين مسعود في الموصل حتى شرع في البحث عن الباطنية لاشفاء غليله بالانتقام من قتلة ابيه ، فجد في استقصاء اخبارهم ، فقيل له انهم كانوا يجلسون الى اسكافي بدرب ايليا ـ من دروب الموصل ، فأحضر الاسكافي ووعد بالمكافأة اذا ادلى بمعلوماته عن الباطنية ، فامتنع اول الامر ، فهدد بالقتل ، فاخبره بان الباطنية الذين اشتركوا في قتل البرسقي كانوا قد حضروا الى الموصل قبل عدة سنوات منتظرين الفرصة المناسبة لتنفيذ خطتهم الا انهم لم يتمكنوا من تحقيق غرضهم الا في سنة ٥٢٠هـ فرجم الاسكافي حتى مات[124]

وبعد ان استتبت الامور لعز الدين مسعود بالموصل قرر الخروج الى دمشق[125] فلما علم طغتكين تأهب لدفعه عن البلاد[126] ، وذكر ابن العديم ان عز الدين مسعود كان يظن ان قاتل ابيه قوم من اهل حماه ، فاضمر للشام واهله شرا عظيما [127] ، وابتدأ عز الدين مسعود بالاستيلاء على الرحبة ، بظاهرها ، ولكن صاحبها امتنع عن تسليمها فحاصرها مسعود اياما فأخذه مرض حاد وهو على تلك الحال ، فتسلم القلعة ومات بعد ساعة ، فندم من بها على تسليمها اليه[128]



(١٢٣) ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ ص٢٣٦ ورد في الكامل لابن الاثير قومان ، وذكره ابن واصل في مفرج الكروب (نومان)

(١٢٤) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ ٦٣٤

(١٢٥) نفس المصدر الكامل ج١٠ ص ٦٣٤ـ٦٣٥

(١٢٦) نفس المصدر ، الكامل ج١٠ ص٦٤٣

(١٢٧) ابن القلانسي ، ص٢١٧ ،ابن العديم ، زبدة الحلب ج٢ ص٢٣٦

(١٢٨) ابن العديم ، زبدة الحلب ج٢ ص٢٣٦

ولما مات عز الدين مسعود بقي مطروحا على بساط لم يدفن ، اذ انشغل عنه عسكره ونهب بعضهم بعضا ، ثم دفن بعد ذلك ، وخلفه في حكم الموصل اخ له صغير ليس له سوى الاسم اما السلطة الفعلية فكانت بيد احد مماليك ابيه يعرف بالجاولى ، وقد ارسل الاخير الى السلطان محمود يطلب على التقليد البلاد لولد البرسقي ، وبذل الاموال الكثيرة في سيل الحصول على التقليد بالحكم[129]

وكان وفد جاولى الى السلطان محمود يضم القاضي بهاءالدين ابو الحسن علي ابن القاسم الشهر زوري وصلاح الدين محمد الياغيسياني — امير حاجب البرسقي — ولم يكن جاولي موفقا في اختيارهما فقد كانا غير مخلصين له لايرضيان بطاعته والتصرف بحكمه فعملا على اقصائه عن الولاية[130] ، فلما وصل وفد جاولى بغداد ، اجتمع صلاح الدين الياغسياني بصهره نصير الدين جقر — وكان من اعظم اصحاب عماد الدين زنكى منزله — فذكر له الغرض من حضورها الى بغداد ، فأبدى نصير الدين هذا عدم موافقته على تولية جاولي ، ونصح صلاح الدين بالعمل على ابعاده عن الحكم وقال له ان جاولى « انما ابقاه وامثاله لحاجته اليهم ، ومتى اجيب الى مطلوبه لايبقى على احد منهم»[131] فاقتنع الياغيسياني وعمل بنصيحة صهره ،

---

(129) ابن القلانسي ، ص٢١٧ ، ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٦٤٣

(130) ابن الاثير الكامل جـ١٠ص٦٤٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب جا ص ٣١ـ٣٢ ، العيني ، عقد الجمان القسم الاول من المجلد ٢١ ص٤

(131) ابن الاثير ، الباهر ص٣٤ ، ابو شامة ، الروضتين جاص٧٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ل١ص٣٢

واجتمع الى صاحبه القاضي بهاءالدين الشهرزوري ، ونجح في استمالته ، وضمن تأييده في العمل على جعل الولاية لعماد الدين زنكي ووعده بزيادة الاقطاع وولاية القضاء في الموصل واعمالها ، فقصدا الوزير شرف الدين انو شيروان بن خالد وقالا له : « قد علمت انت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها ، وقويت شوكتهم بها ، فاستولوا على اكثرها ، وقد اصبحت ولايتهم من حدود ماردين الى عريش مصر ، ماعدا البلاد الباقية بيد المسلمين ، وقد كان البرسقي مع شجاعته وتجربته وانقياد العساكر اليه يكفي بعض عاديتهم وشرهم ، فمنذ قتل ازداد طمعهم وهذا ولده طفل صغير ، ولابد للبلاد من رجل شهم شجاع ذي رأي وتجربة ، يذب عنها ويحفظها ويحمي حوزتها وقد انهينا الحال لئلا يجرى خلل او وهن على الاسلام والمسلمين فيختص اللوم بنا ، ويقال الا انهيتم الينا جلية الحال[١٣٢]

فاقتنع الوزير بوجهة نظرهما واستحسن قولهما ، فانهى ذلك الى السلطان محمود فأمر باحضارهما فاستشارهما فيمن يصلح للولاية ، فذكروا جماعة من الامراء بينهم عماد الدين زنكي وعظما محله اكثر من غيره ، وبذلا عنه تقربا الى خزانة السلطان مالا جزيلا ، فوافق السلطان على توليته لما يعلمه عن كفايته واخلاصه للبيت السلجوقي فأمر باحضاره ، وكتب منشوره بذلك في رمضان من سنة ٥٢١هـ[١٣٣] ، ومنذ تولية عماد الدين زنكي يبدأ فصل جديد في تاريخ الموصل ، حيث اسس زنكي دولة الاتابكة التي استمرت قائمة حتى سنة ٦٣١هـ .

---

(١٣٢) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ ص٦٤٤ ابن واصل ، مفرج الكروب جـ١ ص٣٢

(١٣٢) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ ص٦٤٥ ، ابن خلدون جـ٥ ص١١٧

(١٣٣) ابن الجوزي ، المنتظم جـ١٠ ص٥ ، ابن الاثير ، الباهر ص٣٤

الفصـــل الثانـــي

العلاقــة مـــع الخلافــة العباســية

(١)

وضع الخلافة العباسية في اواخر القرن الخامس الهجري:

بدأ حكم الولاة السلاجقة في الموصل في وقت ضعيف فيه دعائم الخلافة العباسية ببغداد ، وفقد الخليفة السطوة والقوة التي كان يتمتع بها الخلفاء العباسيون في العصور الأولى . وعلى الرغم من هذه الظروف التى كانت تمر بها الخلافة العباسية انذاك فان اصرار المسلمين على الابقاء على نظام الخلافة باعتباره قوة روحية فحسب ظل الدافع الحقيقي للحكام والامراء المسلمين للتشبث باهدابها سعيا للحصول على تأييدها انطلاقا من مبدأ ان الخليفة هو مصدر قوة المسلمين[1]

ولم تلبث الخلافة ان مرت بدور جديد من الافاقة على عهد الخليفة المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ) الذي عرف بعلو الهمة والرغبة في استرداد بعض ما كان لال بيته من هيبة ونفاذ الكلمة[2] . وقد ساعدت الظروف التي كانت تمر بها دولة السلاجقة الخليفة المسترشد بالله على تحقيق اهدافه ، اذ لايخفى ان وفاة ملكشاه في سنة ٤٨٥هـ سجلت نهاية واضحة المعالم لسلطان السلاجقة الحقيقي وبداية انفكك دولتهم وانقسام زعمائهم ، فقد نشب النزاع على السلطنه بين خلفائه ، وانتهى الامر باستقرار ولده السلطان محمد على العرش السلجوقى ثم ما لبث الصراع ان تفجر مرة اخرى بعد وفاة السلطان محمد بن ملكشاه في سنة٥١١هـ ، حين عهد الاخير لولده محمود من بعده ، فنازعه عمه سنجر الذى رأي انه احق من غيره بالسلطنة ، فظفر بالعرش السلجوقى وابقى محمودا وليا للعهد واعترف به سلطانا على سلاجقة العراق ، واصبحت الخلافة تخطب لسلطانين فيوقت واحد ، وكان

---

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور : ظل الخلافة العباسية في الحركة الصليبية ، بحث مقدم الى مؤتمر التاريخ الدولي ببغداد ١٩٧٣ ،ص١ ٢٩

(٢) نفس المرجع ، ظل الخلافة العباسية في الحركة الصليبية ص٧

اخوة السلطان محمود الثلاثة انذاك يعملون بتوجيه من اتابكتهم فيخالفون رغبات السلطان ويخلقون المشاكل ويثيرون عليه امراء الاطراف(٣)

وهكذا اتاحت هذه الظروف للخليفة المسترشد بالله العمل على استعادة نفوذ الخلافة وتدعيم مركزها ، فشرع في التدخل في شؤون السلطنة متظاهرا بالدفاع عنها عاملا على اصلاح شأنها(٤)

ولما كان امراء السلاجقة بالموصل يقرون بسلطان الخليفة العباسي ونفوذه الروحي فانهم كانوا يحرصون على الخطبة له على منابر الموصل واعمالها ، وساهم بعض هؤلاء الامراء في القتال الى جانب الخلافة تأييدا للخليفة العباسي ضد خصومه وسوف اتعرف في هذا الفصل لذكر طبيعة العلاقات بين امراء الموصل والخلفاء العباسيون وتطورها ما بين سنة ٤٨٩هـ وسنة ٥٢١هـ ، مشيرا الى اهم الاحداث التي تميزت بها هذه المرحلة والحقيقة ان هذه العلاقات لم تظهر بوضوح الا في اواخر عصر الامراء السلاجقة حيث بدأت الموصل تلعب دورا بارزا في الصراع بين الخلفاء العباسيين واعدائهم فوضع امراؤها امكاناتهم العسكرية في خدمة الخليفة العباسي •

---

(٣) محمد صالح القزاز ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي النجف ١٩٧١ص٤٠-٤١

(٤) نفس المرجع : الحياة السياسية في العراق ص٤٢

البرسقي في خدمة الخليفة المسترشد بالله :

كان دبيس بن صدقة امير الحلة قد انتهز فرصة الخلاف القائم بين السلطان محمود واخيه الملك مسعود وما تبع ذلك من هزيمة الاخير امام السلطان وقام بنهب البلاد ، وقصد بغداد لمضايقتها وتهديدها دون ان يعبأ بنداء السلطان محمود ، ويبدو ان دبيسا كان يرمي من وراء هذه الحركة الى قطع خط الرجعة على السلطان محمود والسيطرة على بعض المناطق واخضاعها لنفوذه(٥) ، الا ان هذه الحركة انتهت بالفشل ، واضطر دبيس على أثرها الى اللجوء الى ايلغازي بن برتق في سنة ٥١٤هـ فراسل الخليفة المسترشد بالله الى ايلغازي ابا منصور ابراهيم بن سالم الهيتي حاملا رسالة من الخليفة والسلطان يطلبان اليه العمل على ابعاد دبيس(٦)

الا ان دبيسا نجح في الاستيلاء على الحلة ، في سنة ٥١٥هـ وارسل السلطان في الصلح ولكنه فشل في تحقيق ذلك اذ اصر السلطان على محاربته فانفذ اليه جيشا كبيرا وعلى هذا النحو اضطر الى الرحيل عن الحلة ، ثم لم يلبث ان توصل الى عقد الصلح بينه وبين السلطان محمود نتيجة للجهود التي بذلها يرنقش الزكوي(٧) ، واستقر الامر على ان يرسل دبيس اخاه منصورا الى السلطان رهينة ، وان يتعهد ايضا بطاعة السلطان نظير بقاء الحلة بيده ، وعادت عساكر السلطان الى بغداد في سنة ٥١٦هـ(٨)



(٥) عبدالجبار ناجي ، الامارة المزيدية ص١٣٧-١٣٨
(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ج٩ص٢٧ ٢
(٧) هو سعد الدولة مقدم عساكر السلطان محمود
(٨) ابن الجوزي ، المنتظم ج٩ص٢٢٧ ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٥٦٦ ، ابو الفدا ، المختصر ج٤ص١٥٢ وذكر ابن الاثير ان برنقش الزكوي عاد الى بغداد ومعه الامير منصور بن صدقة اخو دبيس وولده رهينة . (الكامل ج١٠ص٥٩٨) .

ويظهر ان هذا الصلح لم يحظ برضى الخليفة المسترشد بالله الذي كان يرى ان وجود دبيس في الحلة يشكل خطرا على بغداد ، ويذكر المؤرخ ابن الاثير ان المسترشد بالله راسل السلطان محمود في ابعاد دبيس عن العراق الى بعض النواحي[٩] ، ويبدو ان الخليفة كان يسعى الى ايجاد قوة عسكرية يستطيع الاعتماد عليها للوقوف في وجه دبيس بن صدقة فوجه ذلك متمثلا في اقسنقر البرسقي الذي كان علي عداء مع دبيس فعمل على تقريبه ، ويذكر ابن الجوزي ان الخليفة المسترشد بالله استدعى الوزير ابا طالب على بن احمد السميرمي ، واوضح له ان وجود دبيس بالقرب من بغداد يشكل خطرا على أهلها وقال له : « انا نؤثر مقام آق سنقر البرسقي عندنا لانا لانشك في نصحه »[١٠] ، ويبدو ان السلطان محمود تجاهل رغبة الخليفة ولم يستجيب الى طلبه واراد الافادة من وجود دبيس في الحلة على مقربة من الخليفة ليكون معرقلا لحركاته التوسعية التي كان يسعى الى البدء في تنفيذها ، الا ان الخليفة الح على السلطان في احضار البرسقي سيما بعد ان علم بأنالسلطان محمود قد عزم على الرحيل عن بغداد الى همدان ويؤكد ابن الاثير بان الخليفة اعاد الشكوى من دبيس ،محذرا السلطان مغبة اهمال امره وذكر ان دبيس يطالب الناس بحقوق ومنها قتل ابيه[١١] ، فأضطر السلطان الى لاستجابة هذه المرة لرغبة الخليفة وارسل سديد الدولة ابا عبدالله بن الانباري الى الموصل لاحضار البرسقي فأقبل الاخير الى بغداد وخرج وزير السلطان لاستقباله ، ونصبت له الخيم بتولي فراشي الخليفة الخواص[١٢] ، وفوض



(٩) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٥٩٨
(١٠) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص٢٣١
(١١) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٥٩٨
(١٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص٢٣١ ٢

اليه السلطان شحنكية بغداد ، وزوجه من والدة الملك مسعود ، وامره بقتال دبيس اذا تعرض للبلاد[13] ، ثم رحل السلطان عن بغداد في شهر ربيع الاول من سنة ٥١٦هـ ، وكان مقامه بها سنة وسبعة اشهر وخمسة عشر يوما[14]

اما الخليفة فقد اخذ يتأهب لضرب دبيس مستعينا بقوة البرسقي الذي الذي كان قد كلف بقتال دبيس بن صدقة الذي لم يكن غافلا عن حقيقة نوايا الخليفة نحوه فأستعد لمواجهته وشرع المسترشد بالله في التهيوء للقتال وبادر بالاتصال بالبرسقي وامره بأجلائه عن الحلة فأسرع البرسقي بأستدعاء العساكر من بلاد الموصل والجزيرة ، ويعلل ابن الاثير سبب حركة الخليفة ضد دبيس بأن الاخير تظاهر بأمور تأثر بها المسترشد بالله[15] .

وخرج البرسقي لقتال دبيس بعد ان اجتمعت لديه حشود عسكره ، وكان دبيس قد عبر الفرات وارسل الى البرسقي يقول « قد اغنيتك عن العبور وصرت معك على ارض واحدة »[16] وتم الاشتباك بين الفريقين في ربيع الاول سنة ٥١٦هـ وكانت عدة البرسقي خمسة الاف فارس أما دبيس فكان في اربعة الاف اسلحتهم ناقصة وعددهم مقصرة وكان عدد مشاته يفوق عدد فرسانه ، وانتهى القتال بهزيمة البرسقي[17] ، ويعلل المؤرخون اسباب الهزيمة بان البرسقي رأى خللا في ميسرته فمأر بنصب خيمته عندهم تشجيعا لهم على مواصلة القتال ،فلما رأوا الخيمة سقط حتى لاذوا بالفرار

---

(١٣) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٥٩٨

(١٤) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص٢٣٢ ، ولكن ابن الاثير يذكر في جـ١٠ ص٥٩٨ ان رحيل السلطان عن بغداد تم في صفر من سنة ٥١٦هـ .

(١٥) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٥٩٨

(١٦) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ ص٢٣٣

(١٧) ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك جـ٢ ص٨ ٨

وكان الحر شديدا فهلكت دوابهم[18] ، وأورد بعض المؤرخين سببا اخـــر لهزيمة البرسقي فقيل انه اعطى رقعة انذره فيها بعضهم بأن جماعة من الامراء من بينهم اسماعيل البكجي كانوا يسعون الى الفتك به ، فأنهــزم وتبعــه العسكر ، فأدى ذلك الى الهزيمة ودخل بغداد في ثاني ربيع الاخر[19] .

واكتفى دبيس بهذا الانتصار السريع الذي حققه على قوات البرسقي ؛ ولم يحاول الزحف على بغداد او القيام باعمال تخريبية كما كان يتوقع منه . بل ارسل الى الخليفة العباسي يخبره بانه ما يزال على الطاعة له بدليل انــه لم يعمد الى الى الفتك بالبرسقي وجميع عسكره[20] ، وعرض دبيس على الخليفة ان يخرج عماله الى منطقة الفرات الاوسط لجباية الاموال مـــن القرى التابعة للخليفة دون ان يتعرض رجاله لهذه القرى بســوء ،واستجاب الخليفة لرجائه وتم عقد الصلح بين دبيس والخليفة على ان يقبض الاخيــر على وزيره جلال الدين ابي علي بن صدقة فقبض على الوزيــر ونهبت داره التي كان يسكنها بباب العامة ودور حواشيه واتباعه وقبض على عــزالدولة ابي المكارم بن المطلب ثم افرج عنه ورد اليه ديوان الزمام بعد ذلك[21] .

ولما بلغ السلطان محمود خبر الهزيمة التي منى بها البرســقي ، بــادر بالقبض على منصور بن صدقه اخي دبيس وولده وامر بوضعهما في قلعــة برجين[22] ، اما دبيس فقد أمر جماعة من اتباعــه بالمسير الى اقطاعاتهـــم

---

(18) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ص٢٣٣

(19) ابن الاثير : الكامل ج١٠ص٥٩٩

(20) ابن الاثير : الكامل ج١٠ص٥٣٣

(21) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ص٢٣ ٢

(22) تقع هذه القلعة بالقرب من كرج (ابن الاثير : الكامل ج١٠ص٥٩٩)

بواسط ، فساروا اليها ، فمنعهم من كان بها من الاتراك فانفذ اليهم دبيس عسكرا يتقدمهم مهلهل بن ابي العسكر ، وارسل الى المظفر بن ابي الجبر ليتفق مع مهلهل وينضم اليه في قتال الاتراك بواسط ،على ان يبدأوا الهجوم في اليوم التاسع من رجب وكان الواسطيون قد ارسلوا الى البرسقي يستمدونه ، فسارع بأتخاذ فرقة من جيشه الى واسط فلما علم مهلهل بن ابي العسكر بوصولهم قرر مهاجمتهم قبل ان تنضم اليه قوات المظفر طمعا في الانفراد بدخول المدينة ، فالتقى في ثامن رجب ، فانهزم ووقع في الاسر مع جماعة من اعيان عسكره ، وقتل من اصحابه مايزيد على الف رجل ، واضطر المظفر الى العودة الى البطيحة بعد سماعه بهزيمة مهلهل[٢٣] ، ولما علم دبيس بهزيمة اهل واسط ، عمد الى الانتقام ، خصوصا بعد ان بلغه ان السلطان قد كحل اخاه ، وجز شعره ولبس السواد ، ونهب كل ما كان للخليفة بنهر الملك، واجلى الناس الى بغداد ، ثم سار عسكر واسط الى النعمانية فأجلوا قوات دبيس عنها ودخلوا المدينة[٢٤]

(٣)

استئناف الحرب بين الخليفة ودبيس بن صدقة :

لم يطل أمد الصلح بين دبيس والمسترشد ، فسرعان ما استأنفت الحرب بينهما في المحرم من سنة ٥١٧هـ وكان السبب في تجدد القتال بين الخليفة ودبيس ان الاخير كان قد ارسل طائفة من اصحابه استاقوا مواشي نهر الملك في رمضان من سنة٥١٦هـ ، فأنفذ الخليفة الى دبيس عفيفا الخادم ينكر عليه ذلك ، الا ان دبيس لم يكترث لنداء الخليفة ، واصر على موقفه

---

(٢٣) ابن الاثير : الكامل جـ٣٠ ص٦٠٠ ، وذكر ابن الاثير ان الواسطيون لم يخسروا في هذه المعركة سوى رجلا واحدا .

(٢٤) نفس المصدر : الكامل جـ١٠ ص٦٠٠-٦٠١

متذرعا بعدم الخليفة للاتفاق الذي سبق ان عقده معه ، وكان دبيس قد اشترط على الخليفة اخراج البرسقي عن بغداد . والتوسط لاخيه منصور لدى السلطان محمود ، وفي مقابل ذلك يضمن له هلاك عدوه الوزير ابن صدقة ، ولكن لم ينفذ من هذه الشروط سوى تنحية الوزير ابن صدقة ، ويذكر ابن الجوزي ان عفيفا الخادم لما وصل الى دبيس « اخرج ما في نفسه وما عمل به من الامور المحضة منها ضمنوا له هلاك ابن صدقة عدوه فأخرجوه من الضيق الى السعة واجلسوا ابن النظام في الوزارة شيئا فشيئا وزيادة ، ومنها انه خاطبهم في اخراج البرسقي من بغداد فلم يفعلوا ، ومنها انهم وعدوه في حق اخيه منصور انهم يخاطبوا في اصلاح حاله وخلاصه من اعتقاله ، وانه كتب اليه من العسكر ان انحراف دار الخلافة هو الموجب لاخذه ولو ارادوا اخراجه لشفعوا فيه»[٢٥]

وحمل دبيس عفيفا الخادم رسالة هدد فيها الخليفة وأوعده بنهب بغداد وتخريبها وارسل في شهر رمضان بعض رجاله بالفعل فنهبوا نهر الملك وعاثوا فيه فسادا . فلما علم المسترشد بمضمون الرسالة غضب وأمر البرسقي بالخروج الى حرب دبيس في رمضان من سنة ٥١٦ ، كما انفذ الخليفة الى الاطراف يستدعى العساكر ، فاحتشد لديه جموع هائلة من بينهم الامير سليمان بن مهارش امير الحديثة فيمن معه من بنى عقيل ، وقرواش بن مسلم وغيرهما ونودي ببغداد بالا يتخلف احد من الاجناد وانه من رغب من العامة الاشتراك في العسكر فليحضر ، فقدمت اعداد كبيرة منهم وفرقت عليهم الاموال والسلاح[٢٦] .

---

(٢٥) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ص٢٣٥ وكان الوزير ابن صدقة قد اختار المقام في حديثة الفرات عند سليمان بن مهارش .

(٢٦) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٦٠٧

ولما بلغ ذلك دبيس بن صدقة شعر بتحرج موقفه فمال الى الصلح وارسل الى الخليفة يستعطفه ويسأله الرضا عنه ، الا ان الخليفة لم يهتم لرجائه ، وصمم على قتاله فأمر فأخرجت خيامه في العشرين من ذي الحجة من سنة ٥١٦هـ ، ودعا الناس جميعا ، للخروج معه ، وكان الخليفة على يقين من تلبية اهل بغداد واطرافها لندائه ، اذ كانوا يعيشون في فزع وخوف من اعتداءات دبيس[٢٧] . وصح ما توقعه الخليفة فقد نادى اهل بغداد : « النفير النفير الغزاة الغزاة ، وكثر الضجيج من الناس ، وخرج منهم عالم كثير لا يحصون كثرة ، وبرز الخليفة رابع عشر ذي الحجة ، وعبر دجلة وعليه قباء اسود وعمامة سوداء ، وطرحة ، وعلى كتفه البردة وفي يده القضيب ، وفي وسطه منطقة حديد صيني ، ونزل الخيام ومعه وزيره نظام الدين احمد بن نظام الملك ، ونقيب الطالبيين ونقيب النقباء علي بن طراد وشيخ الشيوخ صدر الدين اسماعيل وغيرهم من الاعيان »[٢٨].

وكان البرسقي قد نزل بعساكر الموصل واقليم الجزيرة بقرية (جهار طاق) فلما بلغه خروج الخليفة من بغداد بادر بالانضمام الى عسكره ، وفي مستهل المحرم من سنة ٥١٧هـ نزل الخليفة بالحديثة بنهر الملك ، واستدعى البرسقي ، واستحلفهم على المناصحة في الحرب وفي الرابع من المحرم تقدم جيش الخليفة الى (النيل) ونزل العسكر (بالمباركة) ، استعدادا للقتال ، وباشر البرسقي بتعبئة الجيش للمعركة فرتبهم صفوفا وكانوا نحو الفرسخ عرضا وجعل بين كل صفين مجالا للخيل ووقف موكب الخليفة من ورائهم

---

(٢٧) القزاز ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ص٤٣

(٢٨) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٦٠٨ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك المجلد ٢ ص٢٧١ا

حيث يراهم ويرونه ، أما دبيس فقد جعل اصحابه صفا واحدا ، ميمنة وميسرة وقلبا ، وجعل الرجالة بين الفرسان بالتراس الكبار ووقف في القلب من وراء الرجاله[٢٩] وكان دبيس قد وعد اصحابه بنهب بغداد وسبى النساء واصطحب معه البغايا والمخانيث بالملاهي بالزمور والدفوف يحرضون الجند في حين لم يسمع في عسكر الخليفة الا القران والتسبيح والتكبير والدعاء . في نفس الوقت الذي كان اهل بغداد يجتمعون في المسجد للدعاء وختم الختمات والابتهال في النصر[٣٠] وكانت عدة عساكر دبيس عشرة الاف فارس واثنى عشر الف راجل ، اما البرسقي فكان لديه من القوة ثمانية الاف فارس وخمسة الاف راجل ، وشرع الفريقان في القتال وكان الامير كرباوي بن خراسان يتولى قيادة اعلام الخليفة اما سليمان بن مهارش فقد كان يقود الساقة ،وكان الامير ابو بكر بن الياس البكجي في ميمنة عسكر البرسقي، فحمل عنتر بن ابي العسكر في طائفة من عسكر دبيس على ميمنة البرسقي ، فتراجعت على اعقابها ، وقتل ابن اخ للامير ابن بكر البكجي ، ثم عاود عنتر الهجوم على ميمنة البرسقي ففشل في احراز النصر ، فانتهز عماد الدين زنكى الفرصة وكان يتولى قيادة عسكر واسط وهاجم عنتر بن ابي العسكر من الخلف ونجح في تمزيق قوته ووقع عنتر في الاسس وكل من معه ولم يفلت احد منهم . وكان البرسقي يراقب المعركة وهو قائم على نشز من الارض ، فخرج الأمير آق بورى فى الكمين وكان في خمسمائة فارس فانقض على عسكر دبيس واشتد القتال بين الطرفين ، فانهزم عسكر دبيس

---

(٢٩) ابن الجوزي ، المنتظم ج٩ص٢٤٢ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك المجلد ٢ص٢ ٧

(٣٠) نفس المصدر : المنتظم ص٢٤٢ج٩ ، سبط ابن الجوزي مرآة الزمان الزمان ج٨ص١٠٩

طلحة والزبير ونهبه ، وقتل خلقا كثيرا ، ثم عزم على قطع النخل فصانعـــه والوقا بنفوسهم في الماء ، فغرق كثير منهم ، ولما رأى الخليفة اشـتداد الحرب جرد وكبر وتقدم الى القتال ، فلما انهزم دبيس وحمل اليه الاسرى ومثلـوا بين يديه امر بضرب اعناقهم صبرا ، وعاد الى بغداد فدخلها في يوم عاشوراء مـن سنة ٥١٧هـ[٣١]

وادى هذا الانتصار الحاسم على دبيس الى استرجاع الخليفة لنفوذه فاخذ يباشر سلطاته الدنيوية بنفسه ، ومن ذلك انه شرع في بناء سور بغداد، كما اقدم على اعفاء وزيره احمد بن نظـام الملك الذي فرضه عليه السلاجقة واستدعى وزيره عميد الدولة ابن صدقة من الحديثة فأسند اليه الوزارة[٣٢]

أما دبيس فقد تمكن من الهرب والافلات من عسكر البرسقي فعبـر الفرات واشيع انه قتل ، ثم وصل الخبر بانه قصد قبيلة غزية من عرب نجـد وسألهم التحالف معه لمهاجمة العراق ، الا انهم رفضوا ذلـك خـوفا مـن الخليفة والسلطان ولم يكن من مصلحة القبيلة معاداتهما ، فضلا عن انـه لا تربطهم بدبيس رابطة القرابة أو النسب ، وقد عبروا عن ذلك بقولهم : «ما يمكننا معاداة الملوك ونحن بطريق مكة وانت بعيد النسب»[٣٣] واشـاروا عليه بان يقصد بني المنتفق ، فتوجه اليهم واقنعهم بمساعدته في الاغارة على البصرة ، فساروا معه في ربيع الاول سنة ٥١٧هـ ونهبوا البلد واجلوا اهلـه عنه ، وقتلوا مقدم عسكرها[٣٤] وذكر ابن الجوزي ان دبيسا هاجم مشهـد

---

(٣١) نفس المصدر : المنتظم جـ٩ص٢٤٣ ، الذهبي ، العبر جـ٤ص٣٩ ، العيني عقد الجمان جـ١٥ص٨٠٨ـ٨١٠

(٣٢) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٦١٤ـ٦١٥

(٣٣) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٩ص٢٤٥

(٣٤) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٦١٠ ، ابو الفدا المختصر جـ٤ص١٥٧

اصحابها على كل رأس شيئا معلوما»[٣٥]

ولما وقف الخليفة المسترشد بالله على مافعله دبيس بالبصرة ، ارسل الى البرسقي وعاتبه على اهماله امر دبيس ، وحمله مسؤولية المحافظة على البلاد وحثه على معالجة الموقف والعمل على ابعاده عن البصرة ، ولم يتردد امير الموصل في تنفيذ امر الخليفة فتجهز لقتال دبيس ، فلما علم الاخير بعزم البرسقي على مواجهته اضطر للرحيل عن البصرة الى قلعة جعبر[٣٦] .

(٤)

عزل البرسقي عن شحنكية العراق وعودته الى الموصل ثم مصرعه :

يبدو ان علاقة الخليفة المسترشد بالبرسقي اخذت في التدهور بعد مهاجمة دبيس بن صدقة للبصرة ونهبها ، فقد القى الخليفة اللوم عليه وحمله مسؤولية ما وقع من اعمال التخريب والفساد في تلك المنطقة ولم يلبث الخليفة المسترشد بالله ان تقدم الى السلطان محمود يطلب اليه عزل البرسقي عن شحنكية العراق واعادته الى الموصل ولم يذكر المؤرخ ابن الاثير الاسباب التي دفعت الخليفة الى العمل على ابعاد البرسقي واكتفى بالقول ان البرسقي نفر عنه المسترشد بالله ، دون ان يوضح سبب تلك النفرة ، وقد اجاب السلطان محمود طلب الخليفة وارسل الى البرسقي يأمره بالعودة الى الموصل والاشتغال بجهاد الفرنج[٣٧] وعهد السلطان بشحنكية بغداد الى سعد الدولة يرنقش الزكوى[٣٨]

---

(٣٥) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ص٢٤٥

(٣٦) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٦١٠ ، وابن العديم (بزدة الحلب ج٢ص ٢٢١ ، ٢٢٢) ان دبيسا التجأ بعد هزيمته امام الخليفة الى سالم بن بدران في قلعة دوسر (جعبر) واستجار به فأجاره ، وغاضب المسترشد والسلطان محمودا في امره ثم كاتب دبيس قوما من اهل حلب وارسل لهم بعض المال وحرضهم على تسليم البلدية فكشف ذلك فضائل بن صاعد بن بديع ، واطلع تمرتاش بن ايلغازي فامر الاخير باعدام جماعة منهم .

وعاد البرسقي الى امارته في الموصل وارسل الى عمادالدين زنكي يستدعيه من البصرة وكان الاخير قد عهد اليه حمايتها ، فنجح في ابعاد الخطر عن البصرة وحمى البلد ، ويبدد ان زنكي لم يكن راغبا في العودة الى الموصل وآثر الالتحاق بركاب السلطان محمود وخدمته ، فتوجه الى اصبهان فاكرمه السلطان واقطعه مدينة البصرة(٣٩)

أما البرسقي فقد انشغل في جهاد الصليبيين في الشام تنفيذا لرغبة السلطان محمود فخرج الى الشام اكثر من مرة ، واقام بعيدا عن الصراع الذي تفجر بين الخليفة المسترشد بالله ودبيس بن صدقة في سنة ٥١٩هـ عندما اتفق الاخير مع الملك طغرل على مهاجمة بغداد(٤٠) .

ولم يطل العهد بالبرسقي فقد لقى مصرعه على يد الباطنية في الموصل في الثامن من ذي القعدة في حلب ، فسار الى الموصل ودخلها في اول ذي الحجة الذي كان مقيما انذاك في حلب ، فسار الى الموصل ودخلها في اول ذي الحجة من السنة المذكورة ولم يلبث عز الدين مسعود هذا ان توفي في السنة التالية بمدينة الرحبة ، وكان قد سار الى الشام بقصد التغلب عليه فابتدأ بالرحبة فأقام على حصارها مدة ثم اخذه مرض حاد فمات بعد تسلمه القلعة بساعة واحدة(٤١)

وآلت امارة الموصل الى عمادالدين زنكي في رمضان من سنة ٥٢١هـ وبولايته للموصل تبدأ صفحة جديدة من العلاقات بين امارة الموصل والخلافة العباسية في بغداد .

---

(٣٧) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٦٢٢ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، المجلد الثاني ص٨٥-٨٦

(٣٨) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٩ص٢٤٩

(٣٩) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٦٢٢ ، ٦٢٣

(٤٠) نفس المصدر الكامل جـ١٠ص٦٢٣-٦٢٦

(٤١) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٦٢٢-٦٢٣ ، العيني ، عقد الجمان جـ١٥ ص٨٤٨

الفصـــل الثالث

العلاقات مـــع الامـارات والمــدنن المجـــاورة

(١)

العلاقات بين الموصـــل وامارات ومــدن اقليم الجزيرة :

بالاضافة الى الدور الهام الذي مارسه ولاة الموصل في حركة الجهاد ضد الصليبيين ومساهمتهم في الصراع المتواصل بين سلاطين السلاجقة وملوكهم ، قام بعض هؤلاء الولاة بنشاط واسع في المنطقة وانشأوا علاقات مختلفة مع المدن والامارات الاسلامية في اقليم الجزيرة وشمال الشام .

وكان اقليم الجزيرة[1] يضم عددا كبيرا من المدن المتفرقة التي استأثر بحكم كل منها امير شبه مستقل ، وقد تميز نظام الحكم في هذه المدن عما كان سائدا في الامارات المحلية ذلك ان حكام هذه المدن لم يكونوا يملكون سوى حكم المدينة وحدها وما يحيط بها ــ في بعض الاحيان ــ من اراضي محدودة ، كما كانوا عرضة للتغيير بين حين وآخر بمجرد ظهور امير قوي تتيح له امكانياته العسكرية اكتساح اولئك الحكام ، لذلك لم تشهد معظم مدن الجزيرة حكما وراثيا طويل المدى على النحو الذي كان سائدا في كثير من الامارات المحلية في تلك المرحلة [2]

وازاء ذلك كانت سياسة الموصل في عصر الحمدانيين والعقيليين بعدهم تهدف الى ضم مدن الجزيرة الى الموصل والقضاء على مراكز القوى الصغيرة المنتشرة في اقليم الجزيرة او فرض سيطرتهم عليها . وقد نهج ولاة الموصل في العصر السلجوقي هذه السياسة وحرصوا على معارضة اي تحالف او تكتيل ينشأ بين امراء القوى المجاورة يستهدف النيل من امارة الموصل او اضعاف نفوذهم في المنطقة ، في الوقت الذي تتعرض فيه لخطر العدوان الصليبي



(١) من كور الجزيرة التى قصبتها الموصل : ديار ربيعة ، وديار بكر وديار مضر ومن مدن دجلة التابعة لاقليم الموصل ايضا : دجيل وأوانا وعبكرا، والخطيرة وداقوقا .

(٢) عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكى : ص٦٩ ، بيروت ١٩٧١

الذي كان يهدد الشام وسائر بلاد الجزيرة ، فأصبح محور سياسة امـــراء الموصل في هذه المرحلة العمل على توحيد الجبهة الاسلامية وتنسيق الجهود في المنطقة من اجل الوقوف في وجه الغزو الصليبي ، وفيما يلي دراسة تتضمن موقف كل مم مدن وأمارات الجزيرة نحو الموصل •

(١) جزيــرة ابــن عمــر (٣)

كانت جزيرة ابن عمر تخضع لحكم الامير شمس الدولة جكرمش ، وقد ظلت كذلك حتى سقوط دولة بني عقيل في سنة ٤٨٩هـ حيث اصبحت بعـد ذلك تابعة لامارة الموصل • وقد حاول جكرمش مساعدة علي بن شـــرف الدولة العقيلي الذي استنجد به على كربوقا ، الا انه انهزم قبل ان يصـل الى الموصل وعاد الى جزيرة ابن عمر ، ولم يلبث كربوقا ان استماله فأنضـم اليه على حصار الموصل ، ويبدوا أن جكرمش ادرك ان مصلحته تقتضـي التحالف مع كربوقا حفاظا على نفوذه في جزيرة ابن عمر حيث اقره كربوقا على حكمها بعد دخوله الموصل[٤] ، واستمر جكرمش بتولي جزيرة ابن عمـر نيابة عن كربوقا الى ان توفى الاخير في سنة ٤٩٥هـ وعندئذ بدأ يتدخل فـى الصراع القائم حول الحكم في الموصل ، ونجح في ايقاع الهزيمة بموســى التركماني واقتحم المدينة في طليعة سنة ٤٩٥هـ وأناب عنه ولده حبشي في حكم جزيرة ابـن عمر[٥] •

---

(٣) بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة ايام ، تحيط بها دجلة من كل الجهات الا من جهة واحدة شبه هلال ياقوت ، معجم البلدان ج٣ص١٠٢–١٠٣

(٤) ابن الاثير ،الكامل ج١٠ص٢٥٩ ، ابو شامة : الروضتين ج١ص٦٧ ، الذهبى العبر ج٢ص٣٢٤ ،ابن كثير ، البداية والنهاية ج١٢ص١٩٥

(٥) نفس المصدر ، الكامل ج١٠ص٤٣٠

وفي سنة ٤٩٨هـ تعرضت جزيرة ابن عمر لهجوم ياقوتي بن اتق امير ماردين ، فسارع شمس الدولة جكرمش بالدفاع عنها ، وكان ياقوتي هذا قد اصابه مرض اقعده عن حمل السلاح ، وركوب الخيل ، فحمل الى فرسه وركبه ، ولم يلبث ان اصيب اثناء القتال اصابة مميتة توفي على اثرها[٦] .

ولما آل حكم الموصل الى جاولي سقاوه في سنة ٥٠٠هـ عمل على اخضاع جزيرةابن عمر وكان بها حبشي بن جكرمش ومعه (غزغلي) احد مماليك ابيه، فحاصرهما فترة من الوقت عقد الصلح على ان يدفع حبشي لصاحب الموصل مبلغ ستة الاف دينار عدا الدواب والثياب[٧]، واستمر خضوع جزيرة ابن عمر للموصل في عهد الامير مودود الذي خلف جاولي في حكم الموصل وأناب عنه فيها احد اصحابه ، ولما اقطع السلطان محمد الموصل الى الامير آقسنقر البرسقي بعد مصرع مودود في سنة ٥٠٧هـ شرع الوالي الجديد في اخضاع الاعمال التابعة لامارة الموصل ، فسار الى جزيرة ابن عمر وتسلمها من نائب مودود ثم اقره في حكمها وصحبه معه الى ماردين التي كانت هدفه التالي[٨] .

واستمرت جزيرة ابن عمر تخضع لامارة الموصل طوال حكم جيوش بك الذي خلف البرسقي في سنة ٥٠٩هـ واستمر حكمه حتى ٥١٥هـ حيث اعيد البرسقي ثانية الى الموصل فأناب احد مماليكه لولاية الجزيرة ، ولما اقطعت بلاد الموصل واعمالها الى عماد الدين زنكى في سنة ٥٢١هـ رفض مملوك البرسقي الخضوع له ثقة بحصانتها وظنا منه انها تحميه ، وجرى

---

(٦) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٣٩١-٣٩٢

(٧) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٤٣٠

(٨) ابن الاثير الكامل جـ١٠ص٥٠١

بينه وبين زنكي واهل الجزيرة قتال عنيف ، اضطروا بعده الى طلب الامان وتسلم عماد الدين البلد وعاد الى الموصل(٩)

(٢) نصيبين :

وكانت نصيبين من بين المدن التي استولى عليها كربوقا وهو في طريقه الى الموصل في سنة ٤٨٩هـ وكانت في حوزة محمد بن شرف الدولة العقيلي الذي كاتب كربوقا مستنجدا به على اخيه علي بن شرف الدولة في الموصل ، فلما وصل كربوقا واخيه الى نصيبين خرج محمد العقيلي لاستقبالهما ، الا ان كربوقا سرعان مانقض عهده له وقبض عليه في محاولة لارغام اهل نصيبين على تسليم البلد ومع ذلك فانه لم يتمكن من دخولها الا بعد حصار دام اربعين يوما ، ثم اقدم على قتل محمد بن شرف الدولة العقيلي والقى جثته في نهر دجلة ، قبل استيلائه على الموصل بقليل(١٠)

واناب كربوقا عنه بنصيبين واليا من قبله ، وفي عهد جكرمش حاول الامير سقمان ابن ارتق القطبي الاستيلاء عليها في سنة ٤٩٨هـ فلما علم جكرمش بذلك اثر معالجة الامر بالحكمة ، ولم يشأ الاصطدام بالتركمان ، فراسل سقمان واقنعه بالرحيل عن نصيبين بعد ان دفع له سرا مبلغا من المال(١١)

ثم لم تلبث نصيبين ان تعرضت في العام التالي أي في سنة ٤٩٩هـ الخطر من جديد عندما حاول الملك رضوان صاحب حلب الاستيلاء عليها بتحريض من الامير ايلغازي ابن ارتق الذي اطعمه في السيطرة على بلاد جكرمش ، وانضم الامير البي بن ارسلان صاحب سنجار ـ وهو صهر

---

(٩) نفس المصدر ، الباهر ص٢٤ و ٣٦ ، ابو الفدا ، المختصر ج٤ص١٥٥

(١٠) نفس المصدر ، الكامل ج١٠ص٢٥٨-٢٥٩

(١١) نفس المصدر ، الباهر ص١٥ ، ابو شامة ، الروضتين ج١ص٦٧

جكرمش ـ الى رضوان وايلغازي ، فاجتمع على نصيبين في رمضان من العام المذكور مايقرب من عشرة الاف فارس[١٢] وادرك امير الموصل صعوبة مواجهة هذه القوات مجتمعة ، فلجأ الى بث الفرقة والخلاف بين رضوان وحلفائه ، في نفس الوقت الذي كان يستعد فيه للدفاع عن بلاده ، فراسل رضوان واغراه بالقبض على ايلغازي وتعهد بامداده بالاموال والسلاح والمشاركة في قتال الفرنج فأمر رضوان بالقبض على حليفه ايلغازي على اثر مشادة حدثت بينهما ،فلما علم اصحاب ايلغازي من التركمان بذلك اعلنوا عصيانهم على رضوان وتفرقوا عنه والتجأوا الى سور المدينة ، أما ايلغازي فقد اصعد الى قلعة نصيبين ولكن اهل نصيبين اعانوه[١٣] ، فاضطر رضوان الى الرحيل بعد ذلك الى حلب على أثر انهيار الحلف الذي كان يتزعمه ، ويكتنف الغموض هذه الرواية سيما مايتعلق منها بمصير نصيبين ، فلم توضح اذا ما كانت قد خضعت لايلغازي ام ظلت تابعة للموصل ، اذ اكتفت بالاشارة الى ان ايلغازي وضع بقلعتها ، وخرج من بها من (العسكر فاعانوه)، ومن خلال تتبعنا للاحداث التالية يتضح لنا ان ايلغازي استولى على نصيبين واقام بها بعد رحيل رضوان مستغلا انشغال جكرمش في قتال صهره صاحب سنجار[١٤] فقد ذكر ابن الاثير ان جاولي سقاوه طلب مساعدة ايلغازي بنصيبين بعد ان هاجم مودود الموصل في اوائل سنة ٥٠٢[١٥] ، ويؤكد هذا

---

(١٢) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٤٠٦

(١٣) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٤٠٦

(١٤) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٤٥٩

(١٥) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٤٥٩ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك المجلد الاول ص١ ٢

الوقل استيلاء الامير الارتقي على المدينة في تاريخ سابق لعام ٥٠٢هـ، واستمرت تخضع لحكم ايلغازي بن ارتق ولابنائه من بعده الى ان استعادها عمادالدين زنكي من الاراتقة في سنة ٥٢١هـ[١٦]

٣ ـ ماردين :

تشغل مدينة ماردين موقعا استراتيجيا في منطقة ديار بكر شمالي الجزيرة ولهذا تطلع كربوقا الى فرض سيطرته على هذا الموقع الحصين ، تدعيما لمركزه في بلاد الجزيرة فتمكن في امد قصير من الاستيلاء عليها وجعلها تابعة له تبعية مباشرة[١٧]

ويبدو ان ماردين كانت قد قطعت صلتها بامارة الموصل في اواخر حكم كربوقا ، حين استغل بعض امراء الاطراف في الجزيرة وديار بكر فرصة رحيل كربوقا الى اذربيجان لاخماد ثورة الملك مودود بن اسماعيل بن ياقوتي ضد السلطان بركيا روق وقطعوا صلتهم بالموصل وكان كربوقا على علم بهذه الاحداث بدليل ما ذكره المؤرخ ابن القلانسي من انه اراد العودة الى الموصل لمشاهدة احوال ولايته واستعادة المخالفين الى طاعته ، فادركته الوفاة في خوى وهو في طريقه الى الموصل[١٨] ، وعندئذ استقل بحكم ماردين الامير الارتقي ياقوتي بن ارتق ، وكان الا راتقة في هذه الاثناء قد استولوا على عدة مدن وقلاع باقليم الجزيرة ، ثم ساءت العلاقات بين الموصل وماردين في عهد جكرمش على اثر قيام ياقوتي بن ارتق بمهاجمة جزيرة ابن عمر التابعة

---

(١٦) ابن واصل ، مفرج لكروب جا ص٣٥ـ٦ ٣

(١٧) ابن الاثير ، الباهـي ص٦ ١

(١٨) ابن القلانسي ص٤٠ ١

لامارة الموصل ، فخرج جكرمش لقتاله واصيب ياقوتي هذا بسهم اصابة ممية فسقط عن فرسه ، فأتاه جكرمش وهو يجود بنفسه فبكى عليه وقال له « ما حملك على ما صنعت يا ياقوتي ؟ فلم يجبه فمات»[١٩]

وتولى حكم ماردين بعد مصرع ياقوتي اخوه علي الذي لم يتردد في الدخول في طاعة جكرمش نظير حصوله على مبلغ قدره عشرون الف دينار تحمل اليه في كل عام ضمانا لاستمرار ولائه لصاحب الموصل ، وحدث ان غادر علي هذا ماردين ، واستخلف بها اميرا أسمه علي كذلك ، فاتصل الاخير بالامير سقمان بن ارتق وابلغه بان عليا ابن اخيه يسعى الى تسليم ماردين لجكرمش ، فقدم سقمان بنفسه وتسلم المدينة بنفسه ، وعندما وصل علي الى ماردين وطالب عمه باعادة القلعة اليه امتنع بحجة انه انما استولى عليها « لئلا يخرب البيت » وعوضه عن ماردين بجبل جور »[٢٠] ورحل على الى مقر ولايته الجديدة وارسل من هناك الى جكرمش يطالبه بالمال الذي كان يحمله اليه ، وكان من الطبيعي ان يرفض امير الموصل ذلك ، اذ لم يعد هناك اي مبرر لاستمرار امداده بالمال بعد ان اقصى عن حكم ماردين التى كانت تحتل اهمية خاصة بالنسبة للموصل . اما وقد اصبح في جبل جور فلم يعد يشكل أي خطورة على الموصل ، وقد عبر جكرمش عن ذلك بقوله « انما كنت اعطيتك احتراما لماردين وخوفا من مجاورتك ، والان فاصنع ما انت صانع فلا قدرة لك علي[٢١] .

---

(١٩) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ ص٣٩١–٣٩٢

(٢٠) ابو الفدا ، المختصر ج٤ص١٣٧ ، ابن الوردى تتمة المختصر ج٢ص٢٣ ، وجبل جور اسم لكورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحي ارمنية فيها قلاع وقرى للارمن (البغدادى ، مراصد الاطلاع ج١ ص٢١١)

(٢١) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ ص٣٩٢

واتنقل حكم ماردين بعدوفاة سقمان بن ارتق في سنة ٤٩٨هـ الى اخيه ايلغازي ، فحرص على مشاركة امراء الموصل في جهادهم ضد الصليبيين ولهذا ساهمت قوات ماردين مع مودود في حملاته ضد امارة الرها[٢٢] ، وبعد مصرع مودود في سنة ٥٠٧هـ اقطع السلطان محمد الموصل الى الامير اقسنقر البرسقي وعهد اليه بمواصلة الجهاد ضد الصليبيين وكتب الى سائر امراء الاطراف بطاعته والمسير معه للجهاد ، فشرع البرسقي في اخضاع المدن المجاورة وفرض سيطرته عليها قبل المضي في قتال الفرنج ، فاخضع جزيرة ابن عمر ، ثم سار الى ماردين فاخضع ايلغازي بن ارتق وطلب اليه المشاركة في الجهاد فأمده ايلغازي بخمسة عشر الف رجل بقيادة ولده اياز ، ويبدوا ان البرسقي لم يكن راضيا عن غياب ايلغازي وعدم حضوره بنفسه، فاضمر له الشر ، وقرر معاقبته بعد فراغه من قتال الفرنج ،فامر بعد رحيله عن الرها بحبس اياز بن ايلغازي وهاجم ماردين ونهب سوادها ، ثم اتجه لمهاجمة داود بن سقمان[٢٣] ، في حصن كيفا ، فاجتمع الاراتقة على حرب البرسقي ورده عن بلادهم فدارت الحرب بينهما في اواخر سنة ٥٠٨هـ فانهزم البرسقي وتخلص اياز من السجن[٢٤] .

وكانت هذه الهزيمة التي منى بها البرسقي امام الاراتقة بالاضافة الى فشله أمام الرها قد دفعت السلطان محمد الى عزله عن الموصل واسنادها الى الامير جيوش بك في مطلع عام ٥٠٩هـ ، وقد استمرت ولايته حتى سنة٥١٥هـ

---

(٢٢) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ص٥٥٢ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية جـ٢)

(٢٣) داود بن سقمان بن ارتق ابن اخى ايلغازي بن ارتق .

(٢٤) سبط ابن الجوزي ، مرآة المزان ص٥٥٢ـ٥٥٢ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية جـ٣) ، ابو الفد ، المختصر جـ٤ص١٤٦ .

عندما أعيد البرسقي للمرة الثانية الى الموصل ، أما ماردين فقد انتقلت ولايتها بعد وفاة ايلغازي في سنة ٥١٦هـ الى حسام الدين تمرتاش ثم رحل الى حلب بعد مصرع بلك بن بهرام ابن ارتق في سنة ٥١٨هـ ، الا انه لم يلبث ان عاد الى ماردين بعد وفاة اخيه سليمان فاستقر بها طيلة حكم عماد الدين زنكي[٢٥]

٤ ـ سنجار :

لم يرد في المصادر العربية ما يشير الى ان سنجار كانت من بين المدن التى اخضعها كربوقا بعد استيلائه على الموصل . الا ان ذلك لم يمنع من قيام علاقات ودية بين ارسلان تاش (حاكم سنجار) وكربوقا أمير الموصل يؤيد هذا ما اورده ابن الاثير من ان ارسلان تاش كان من بين امراء الاطراف الذين انضموا الى صاحب الموصل في حملته على الصليبيين في انطاكية سنة٤٩١هـ[٢٦]

وقد انتقل حكم سنجار بعد وفاة ارسلان تاش الى ولده البى وفي عهده توثقت العلاقات بين الموصل وسنجار عن طريق مصاهرته لجكرمش الذي خلف كربوقا في الحكم ، غير ان سياسة البى سرعان ما تغيرت نحو الموصل بعد أن اشترك في عام ٤٩٩هـ مع رضوان وايلغازي في مهاجمة اعمال الموصل ، كما اشترك في الهجوم على نصيبين فأصيب البى بنشابة وجرح جرحا بليغا اضطر على اثره للعودة الى سنجار[٢٧] وتبع ذلك انهيار الحلف وعاد رضوان الى حلب ، فتهيأت الفرصة لجكرمش للانتقام من صهره حاكم

---

(٢٥) ابن العديم ، زبدة الحلب ص٥٤٢ـ٥٤٢ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج٣) .

(٢٦) ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٢٧٦ .

(٢٧) نفس المصدر الكامل ج١٠ص٤٠٥

سنجار ، فحاصره وكان قد اشتد بالبى المرض فامر اصحابه ان يحملوه الى جكرمش فحملوه اليه في محفة فأخذ يعتذر له ويقول : (جئت مذنبا ، ناقل بما تراه) فرق له واعاده الى بلده ، ولم يلبث البى ان توفى بعد عودته بقليل فاعلن اصحابه العصيان على جكرمش ولم يتردد جكرمش في مقاتلتهم بقية رمضان وشوال من سنة ٤٩٩هـ دون ان يظفر بشيء لما كانت تتمتع به سنجار من قوة وحصانة ، ثم قدم تميرك ــ عم البى ــ وعقد الصلح مع جكرمش(٢٨)

وفي سنة ٥٠٢هـ حاول جاولي سقاوه بعد ان عزل عن الموصل اخضاع تميرك حاكم سنجار فلم يجيبه الى ذلك لعلمه انه خرج على طاعة السلطان محمد ، فحاصره جاولى فترة ولكن تميرك قاوم الحصار مقاومة عنيفة حملت جاولى على الرحيل الى الرحبة(٢٩) وحرص تميرك على توثيق علاقاته بالامير مودود (٥٠٢ــ٥٠٧هـ) فشارك في جميع الحملات التى قادها صاحب الموصل ضد الفرنج خلال فترة حكمه وظل ملازما للامير مودود حتى سنة ٥٠٧هـ عندما لقى الاخير مصرعه في جامع دمشق ، فتولى تميرك حمل ما كان مع مودود من الخزائن والسلاح وعاد الى السلطان محمد (٣٠)

واستمرت سياسة الوفاق بين سنجار والموصل في عهد جيوش بك ٥٠٩ــ٥١٥هـ ايضا ، فشاركت قوات تميرك مع امراء الاطراف في الحملة التى انفذها السلطان محمد بقيادة برسق بن برسق امير همذان الذي كلف باخضاع الامارات الاسلامية في شمال الجزيرة والشام ومن ثم استئناف

---

(٢٨) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٤٠٧ .
(٢٩) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٦٥٩ .
(٣٠) ابن القلانسي ص١٨٨ ، ابن العبرى ، مختصر تاريخ الدول ص١٩٩ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ٢ص٣١ .

الجهـاد ضـد الفرنـج[31]

الا ان سنجار لم تلبث ان فقدت استقلالها السياسي في المنطقة منـذ سنة ٥١٥هـ حيث اصبحت منذ هذا التاريخ جزءا من اعمال الموصل ،فخضعت بصورة مباشرة للبرسقي الذي اعيد الى امارة الموصل في سنة ٥١٥هـ وكانت سنجار على هذا النحو من بين المدن التى تضمنها امر السلطان محمـود بتولية البرسقي على الموصل واعمالها [32]

ويبدو ان خطوة السلطان محمود هذه كان لها علاقة وثيقة بسياسـة سنجار خلال الصراع الذي نشأ حول السلطنة بعد وفاة السلطان محمد في عام ٥١١هـ وقيام ولده محمود من بعده . فانحاز حاكم سنجار الى الملـك مسعود الذي نافس اخاه محمودا على العرش السلجوقي ، وكان مسـعود انذاك مقيما بالموصل مع اتابكه جيوش بك الذي مارس دورا كبيرا فيتحريض مسعود ضد اخيه السلطان محمود ، فكان ذلك من اسباب عزله عن امـارة الموصل سنة ٥١٥هـ واقطاعها الى البرسقي مع سنجار وجزيرة ابن عمـر نظرا لما كان يتمتع به الاخير من ثقة السلطان محمود ووقوفه الى جانبه اثناء صراعه مع اعدائه ، وظلت سنجار تابعة لامارة الموصل طيلة حكـم البرسـق وولده عزالدين مسعود ، ولما تولى عماد الدين زنكي الموصل ، توجه فياواخر عام ٥٢٢هـ للاستيلاء على سنجار بعد ان ادرك ان موقعها الهام بين الموصل وحلب يجعل منها قاعدة للانطلاق الى المواقع الاخرى في اقليم الجزيرة[33]

---

(٣١) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٥٠٩ .

(٣٢) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ ص٥٨٨

(٣٣) نفس المصدر ، الباهر ص٣٧ ابن واصل : مفرج الكروب جـ١ ص٢٩ ، ولم يذكر ابن الاثير اسم والى سنجار خلال حكم البرسقي وولـده مسعود ، كما انه جعل تاريخ استيلاء زنكى عليهـا في سـنة ٥٢١هـ . (الكامل جـ١٠ ص٦٤٦-٦٤٧)

(٥) الرحبـــة[٣٤] :

تقع هذه المدينة على شاطىء الفرات الى الجنوب الغربي من الموصل ، وقد تطلع قوام الدولة كربوقا الى اخضاعها بعد أن اطمأن الى قوة مركزه في الموصل ، ويبدو انه قوبل بمقاومة عنيفة من اهلها ، فأشتد في قتالهم ، وتمكن اخيرا من الاستيلاء على المدينة ، ونصب عليها نائبا من قبله يدعى (قايماز) ثم قفل عائدا الى الموصل[٣٥] ، ولكن قايماز هذا استغل وفاة سيده كربوقا في سنة ٤٩٥هـ فاقدم على قطع صلته بالموصل واستقل بالرحبة ، فأثار بذلك أطماع القوى المجاورة للاستيلاء عليها ، اذ ان اعلان قايماز استقلاله عن الموصل افقده في الواقع حماية السلطان السلجوقي الذي يمثله اميرها في هذا الاقليم .

وحاول الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق الاستيلاء على الرحبة فاحكم عليها الحصار ، الا انه لم يتمكن من دخولها بسبب شدة مقاومة قايماز له ، فعاد الى دمشق وحدث ان توفي قايماز في صفر سنة ٤٩٦هـ فخلفه في الرحبة غلام تركي يدعى حسن[٣٦] ذكر ابن العديم انه كان متزوجا من ابنة قايماز[٣٧] وكان حسن سيء السيرة غير مرغوب فيه من اهل المدينة فأبعد عنه كثيرا منجده ، وخطب لنفسه في الرحبة ، ويبدو انه كان يخشى من تجدد أطماع الملك دقاق في الاستيلاء عليها خاصة وهو يعلم شدة كراهية اهلها له ، فألقى القبض على عدد كبير من الجند ، وقتل جماعة من اعيان الرحبة وسجن

---

(٣٤) الرحبة : مدينة بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات .
(٣٥) ابن الاثير : الكامل ج١٠ ص٢٥٩
(٣٦) ابن الاثير ج١٠ ص٣٦٣
(٣٧) ابن العديم ، زبدة الحلب ص٥٠٩ (منتجات من زبدة الحلب المجموعة ج٣)

اخرين وصادرهم خوفا من احتمال تواطئهم على تسليمها[٣٨] وكانت وفاة قايماز قد دفعت الملك دقان الى معاودة الهجوم على الرحبة فحاصرها حصارا شديدا وضايق اهلها وقطع اسباب الميرة عنها واحكم الخناق عليها[٣٩]

وعندما ايقن حسن بعزم العامة على تسليمها الى الملك دقاق اعتصم بالقلعة فأمنه دقاق ، وعلى هذا الاساس سلم حسن القلعة اليه ، فاقطه اقطاعا كثيرا بالشام[٤٠] ، ولكن ابن القلانسي لم يشر الى دور العامة في تسليم البلد واكتفى بالقول ان دقاق شدد في قتالهم فاضطر المقيم بها الى طلب الامان له ولاهل البلد ، فأجابهم الى ذلك وتسلم المدينة في جمادي الاخرة من عام ٤٩٦هـ ورتب امورها وعاد الى دمشق[٤١] ، ونميل الى ترجيح راوية ابن الاثير ذلك ان سياسة محسن التعسفية ضد اهل الرحبة دفعت هؤلاء حتما الى التطلع للخلاص من حكمه ولهذا نستبعد اقدام نفر من العامة او الجند على التواطوء مع المحاصرين وفتح ابواب المدينة لهم ، كما حدث حين حاصر مودود الموصل في سنة ٥٠٢هـ لانتزاعها من جاولي[٤٢] ، وكما حدث في الرحبة نفسها على نحو ما سنذكره .

ولم يلبث الملك دقاق ان توفى بدمشق في عام ٤٩٧هـ فاعلن محمد بن السباق عامله على الرحبة استقلاله وقطع صلته بدمشق ، وكان دقاق قد احتفظ بأحد ابناء ابن السباق هذا رهينة لديه ضمانا لاستمرار ولائه وتبعيته

---

(٣٨) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٣٦٣

(٣٩) ابن القلانسي ص١٤٢

(٤٠) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٣٦٣

(٤١) ابن القلانسي ص١٤٢ ، اليافعي ، مرآة الجنان جـ٣ص١٥٩

(٤٢) ابن الاثير الكامل جـ١٠ص٤٥٨

له . فلما توفى دقاق ارسل امير الرحبة الى دمشق من اعاد اليه ولده ، واستقل بلده ، وخطب في بعض الاوقات لقلج ارسلان تدعيما لمركزه في المدينة وضمانا للحصول على المساعدة في حالة تعرض : مدينته لاي خطر يتهددها من قبل القوى المجاورة (٤٣)

ثم تعرضت الرحبة لهجوم جاولي سقاوه عام ٥٠٠هـ حين ارسله السلطان محمد الى الموصل لانتزاعها من جكرمش ، فنجح في ايقاع الهزيمة بجكرمش وتمكن من دخول المدينة ، الا انه اضطر للرحيل عنها بعد وصول قلج ارسلان الى نصيبين نجدة لاهل الموصل . وتوجه جاولى الى الرحبة وشرع في حصارها في شهر رجب من العام المذكور .

ولكنها استعصت عليه فكتب الى الملك رضوان صاحب حلب يلتمس مساعدته ضد قلج ارسلان ، ووعده في مقابل ذلك بالمساهمة معه في الدفاع عن حلب ضد غارات الصليبيين ورحب رضوان بهذه الدعوة اذ كان في اشد الحاجة لعون الموصل التي كانت تشكل قوة يحسب حسابها في قتال الصليبيين الذين صعدوا عملياتهم ضد حلب في تلك الفترة ، فانضم الى جاولي في حصار الرحبة ، واشتد ذلك على اهل البلدة وضاقت عليهم الامور (٤٤)

فاتصل نفر من حراس الابراج بجاولي وعرضوا عليه ان يقصد البرج الذي يجتمعون فيه عند انتصاف الليل ، فتسلق اصحابه الحبال الى البرج المذكور ، واندفع بقية العسكر داخل البلد في الرابع والعشرين من رمضان سنة ٥٠٠هـ(٤٥) واضطر ابن السباق الى النزول للمثول امام جاولي وتأكيد

---

(٤٣) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ ص٤٢٨

(٤٤) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ ص٤٢٩

(٤٥) وذكر ابن القلانسي ان جاولي تسلم القلعة في ٢٨ رمضان سنة ٥٠٠هـ ذيل تاريخ دمشق ص١٥٧)

ولائه له ، فأقره في حكم الرحبة[٤٦] ولكن جاولي لم يلبث بعد ايام قليلة ان امر بالقبض على ابن السباق هذا لامر بلغه عنه فانكره من ، واعتقله في القلعة[٤٧]

واستمرت الرحبة تخضع للموصل في عهد جاولي سقاوه ومودود (٥٠٢ـ٥٠٧هـ) ثم اقطعها السلطان محمد للبرسقي في سنة ٥٠٨هـ فاقام بها بعد عزله عن الموصل في السنة التالية ، وكان البرسقى ينيب بها عنه احد مماليكه وذلك اثناء غيابه كما كان يستخلف بها ولده عز الدين مسعود[٤٨]، وفي سنة ٥١٤هـ اقطع الملك مسعود البرسقى مدينة مراغة بالاضافة الى الرحبة[٤٩] ، ولكن هذه المدينة لم تلبث ان خرجت عن طاعة عز الدين مسعود بعد مصرع ابيه في سنة ٥٢٠هـ فصمم على اخضاعها بعد ان استقرت له الامور في الموصل ، واقام على حصارها مدة ثم تسلم القلعة ومات بعد ساعة فندم اهلها على تسليم المدينة[٥٠] .

وخلف مسعود في الموصل اخ له صغير ، وكانت السلطة الفعلية بيد احد مماليك ابيه يعرف بالجاولي فارسل يطلب من السلطان محمود اقرار ولد البرسقى الصغير ، الا ان السلطان لم يجبه الى ذلك واصدر منشور بتوليه عماد الدين زنكى بلاد الموصل واعمالها ، في رمضان سنة ٥٢١ فدخل الموصل واقطع جاولي مدينة الرحبة وسيره اليها[٥١]

---

(٤٦) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٤٢٩
(٤٧) ابن القلانسي ص١٥٦/١٥٧
(٤٨) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٥٣٣
(٤٩) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص١٤ ٥
(٥٠) ابن العديم ، زبدة الحلب (منتجات ، المجموعة جـ٣ص٦٥٥) ـ ابو الندا ، المختصرجـ٤ص١٦٠
(٥١) الفارقى تاريخ آمد وميافارقين ، ورقة ١٠٨ أ ـ ب

(٦) حــــران :

دخلت هذه المدينة في دائرة نفوذ كربوقا منذ سنة ٤٨٩هـ عندما كــان في طريقه لانتزاع الموصل من امراء بني عقيل ، وقد اناب بها احد اصحابه بها ثم رحل لانجاز مهمته[٥٢] ، ومنذ هذا التاريخ اصبحت مدينة حـــــران خاضعة لامارة الموصل وعلى الرغم من ان المؤرخ ابن الاثير لم يشر الى اسم والي حران خلال حكم كربوقا الا انه عاد فذكر في حوادث سنة ٤٩٦هـ انهــا كانت بيد الامير قراجه ــ من مماليك ملكشاه ــ ويبدو ان قراجه كان من بين العناصر التى انضمت الى كربوقا بعد تخلصه من سجنه في حمص ، في طريقه للاستيلاء على الموصل . ثم حدث ان غادر قراجــه حــران في عــام ٤٩٦هـ واستخلف بها احد اصحابه ويدعى محمد الاصبهاني ، الذي كان يطمح في الاستئثار بحكمها فانتهز فرصة غياب قراجة واعلن العصيان ، ولقيت حركته هذه تأييدا كبيرا من اهل حران بسبب كراهيتهم لقراجة ، الا ان حـــــكم الاصبهاني لم يستمر طويلا فسرعان مالقي مصرعه على يد جاولي احد اصحاب قراجة ، وكان الاصبهانى قد جعله قائدا لعسكره وانس به فجلس معه يوما للشراب فاتفق جاولي مع خادم له على قتله فقتلاه ، وهو ثمل وانفرد جاولي بحــكم حــران[٥٣]

وقد اثار اضطراب الوضع في حران وتتابع الاحداث بها اطمــــــاع الصليبيين في الرها ، وبدأ بلدوين يخطط للاستيلاء على هذه المدينة ليتخذها فيما بعد مركزا لشن الهجمات ضد سائر بلاد الجزيرة منها الموصل نفسها[٥٤]

---

(٥٢) ابن الاثير ، الباهر ص١٥ ، ابو شامة ، الروضتين ج١ ص٦٧

(٥٣) نفس المصدر ، الكامل ج١٠ ص٣٧٣/٣٧٤
رنسيمان ، الحروب الصليبية ج٢ ص٧٠
عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص٤٠٤

(54) Oman, Ahistory of the Art of the War in the Midd Agas. vol. 1. P. 321 .

ولم يقف جكرمش مكتوف اليدين امام تحرك الصليبيين للاستيلاء علـــى حران ، فقد كان يدرك تمام الادراك ان سقوطها سيكون مقدمة للهجوم على بلاد الموصل ، ولهذا سعى الى طلب المساعدة من الاراتقة في ديار بكر ليتهيأ له الوقوف في وجه الصليبيين الذين توافدوا على الرها من بيت المقدس وانطاكية وتل باشر [٥٥] ، فراسل سقمان الارتقى ودعاه للعمل معه في سبيل انقاذ حران ، فاستجاب سقمان لنداء صاحب الموصل على الرغم مما كـــان يسود بينهما انذاك من علاقات سيئة واتفقا على مواجهة الفرنج ، وتم اللقاء في التاسع من شعبان من عام ٤٩٧هـ ـ٤ مارس سنة ١١٠٤م ، ونجحا فــي التغلب على قوى الصليبيين الذين انهمزوا في معركة نهر البليخ هزيمة نكراء وتقدم جكرمش الى حران فتسلمها وعين احد اصحابه نائبا عنه ، ثم عـاد الى الموصل[٥٦] . الا ان تبعية حران للموصل لم تستمر طويلا . اذ لم تلبث ان خضعت لقلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب بلاد الروم في ســنة ٤٩٩هـ ، حين خرج لقتال الفرنج في الرها هذه السنة ، فراسله اصــحاب جكرمش المقيمون بحران واستدعوه لتسلم البلد ، فرحب بهذه الدعــوة وسار الى حران فأقام بها اياما ، ومرض مرضا شديدا ، اضطره للعودة الى بلاده ، وترك اصحابه بحــران[٥٧] .

---

(55) Anonymour Syriac chronicle , P. 78 .

(٥٦) الفارقي ، تاريخ امـد وميافارقين ص٢٧٤ ،ابن الاثير الكامل ج١٠ ص٣٧٤ ابن الجزري ، ملخص تاريخ الاسلام ص٤٩٤ ويذكر الفارقي خطأ ان المعركة وقعت في سنة ٤٩٩هـ والصحيح انها كانت في سنة٤٩٧هـ كما تؤيد ذلك المصادر العربية والاجنبية .

(٥٧) ابن القلانسي ص١٥٠ ،ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٤١٥

واستمر حران بيد اصحاب قلج ارسلان حتى استعادها الامير مودود الذى خلف جاولى سقاوه في حكم الموصل سنة ٥٠٢هـ وخرج لقتال الفرنج بالرها سنة ٥٠٣هـ فسلمها مودود الى ايلغازي بن ارتق الذى كان يرافقه في تلك الحملة[٥٨] وبقيت حران بيد الاراتقة حتى سنة ٥٠٧هـ حيث استعادها اقسنقر البرسقى الا ان هؤلاء ما لبثوا أن استولوا عليها ثانية في سنة ٥١٢هـ [٥٩]، وظلت منذ هذا التاريخ جزءا من املاك بدر الدولة بن عبدالجبار بن ارتق صاحب حلب حتى سنة ٥١٧هـ عندما استولي عليها الامير بلك بن بهرام بن ارتق بعد حصار شديد ، وسار بعدها الى حلب وانتزعها من ابن عمه بدر الدولة عبدالجبار[٦٠] .

ثم استعادت الموصل سيطرتها على حران في عام ٥١٨هـ حيث اخضعها الامير اقسنقر البرسقى بعد ان تم له ضم مدينة حلب الى الموصل في السنة نفسها[٦١] ، وانتقلت بعد مصرعه في سنة ٥٢٠هـ الى ولده عز الدين مسعود الذى توفى في العام التالى والت ولاية الموصل الىعماد الدين زنكى في سنة ٥٢١هـ فأرسل أهلها يستدعونه اليهم فتسلمها واستناب بها احد اصحابه[٦٢] .

---

(٥٨) نفس المصدر ، ص١٦٩

(٥٩) ابن شداد ، الاعلاق الخطير : قسم الجزيرة ، ورقة ١٧ب – ١٨أ

(٦٠) ابن القلانسي ص٢٠٩

(٦١) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٦١٢ فما بعدها

(٦٢) نفس المصدر ، الباهر ص٣٧ ٢ابن واصل ، مفرج الكروبجـ١ص٨٤

(٢)

العلاقات مع حلب (٤٨٩ ـ ٥٢١هـ)

تشكل مدينة حلب صمام الامان بالنسبة لبلاد الموصل والجزيرة ، وقد اصبح الاستيلاء عليها محور السياسة الصليبية ، نظرا لاهمية هذه المدينة بالنسبة للكيان الصليبي في بلاد الشام ، ولهذا السبب كانوا لاينقطعون قط عن تكوين الحلف تلو الاخر من اجل تحقيق هذا الهدف ، ولم يترددوا في تحريض بعض امراء المسلمين الذين كانوا يطمعون في حكم حلب(٦٣) .

وقد حرص امراء الموصل في هذه المرحلة على توثيق علاقاتهم بحلب ، ونجح اقسنقر البرسقى في سنة ٥١٨هـ في ضم هذه المدينة الى الموصل ، والواقع ان مقاومة العدوان في بلاد الجزيرة والشام،وقد فطن الفرنج الى خطورة كافة الطاقات الاسلامية في بلاد الجزيرة والشام ، وقد فطن الفرنج الى خطورة الوحدة الاندماجية بين الموصل وحلب وما قد ينجم عنه من قطع الصلة بين امارة الرها من ناحية وبقية الامارات الصليبية في الشام من ناحية اخرى(٦٤)

وقد رأيت ان اتتبع دراسة العلاقات بين الموصل وحلب طوال الفترة الممتدة مابين عامى ٤٨٩ ، ٥٢١هـ على ان اقسم الحديث الى مرحلتين الاولى خلال حكم الملك رضوان ٤٨٩ـ٥٠٧هـ والثانية في حكم خلفائه من بعده حتى سنة ٥٢١هـ .

---

(63) Stevenson : the crusaders in the East. P. 105
Smali : Crusading Wer Fare. P. 30 .
محمد مرسي الشيخ ، الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ، الاسكندرية ١٩٧٤ ص٨٧ ٢

(٦٤) عاشور : الحركة الصليبية ج١ ص٥٦١

اولا : المرحلة الاولى : (٤٨٩-٥٠٧هـ)

تولى الملك رضوان حكم حلب بعد مصرع ابيه تاج الدولة تتش بن الب أرسان عام ٤٨٨هـ - ١٠٩٥م واستمر يحكمها حتى سنة ٥٠٧هـ وفي نفس الوقت تعاقب على حكم الموصل عدد من الامراء السلاجقة ، كان اخرهم الامير مودود الذى لقى مصرعه في سنة٥٠٧هـ ، ويتركز الحديث عن العلاقات بين الموصل وحلب في عهد قوام الدولة كربوقا (٤٨٩-٤٩٥هـ) حول اتصالاته مع الملك رضوان من اجل المساهمة في الحملة التى اعدها امير الموصل لانقاذ انطاكية سنة ٤٩١هـ ، وكان غياب رضوان وعدم مشاركته في هذه الحملة قد خلق جوا من القلق والاستياء في صفوف العساكر الاسلامية(٦٥) ، وقد وجد كربوقا نفسه في حاجة الى مساعدة رضوان بعد سقوط انطاكية في ايدي الصليبيين ، فأرسل اليه يستحثه على المشاركة في الجهاد وتبادل معه الرسل ، الا ان هذه الاتصالات لم تسفر عن اي تتيجة وواصل رضوان موقفه السلبى ولم يبادر للانضمام الى جيش كربوقا بل ان هذه المراسلات بين امير الموصل ورضوان على الضد من ذلك تركت اثارها الخطيرة في صفوف المسلمين وكان لها اعمق الاثر فيهزيمتهم امام الغزاة(٦٦)

ويذكر ابن العديم ان كربوقا لما وصل حلب بعد هزيمته امام انطاكية ، خرج اليه الملك رضوان وحمل له خياما وغيرها (٦٧) فاقام بضعة ايام بظاهر المدينة

(٦٥) نفس المرجع : الحركة الصليبية جا ص٢٠٩

(٦٦) ابن القلانسي ص١٣٥ ،ابن العديم ، زبدة الحلب ج٢ص١٣٦/١٣٧ ، رنسيمان الحروب الصليبية جا ص٣٥٠ ، وسوف نتناول هذا الموضوع بشىء من التفصيل في الفصل الخاص بالصليبيين .

(٦٧) ابن العديم زبدة الحلب ج٢ص١٣٨

ثم عاد بعدها الى الموصل . وكانت هذه الحملة اول واخر نشاط قام به كربوقا ضد الصليبيين في بلاد الشام . وقد اتاحت له فرصة الاحتكاك بامراء القوى الاسلامية المجاورة ولم يرد بعد ذلك في المصادر ما يشير الى حدوث اي تطور في العلاقات بين الملك رضوان وكربوقا حتى وفاة هذا الاخير في سنة ٤٩٥هـ ، غير ان العلاقات بين البلدين لم تلبث ان تعرضت لازمة خطيرة حين قام الملك رضوان بمهاجمة نصيبين التابعة لامارة الموصل في عام ٤٩٩هـ وكان رضوان قد خرج في تلك السنة لقتال الصليبيين وانضم اليه عدد من امراء الاطراف في الجزيرة وديار بكر نذكر من بينهم ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين ، والبي بن ارسلان تاش حاكم سنجار ، وكان العداء مستحكما بين جكرمش وايلغازي ، فاستغل الاخير وجود الملك رضوان وحرضه على مهاجمة بلاد جكرمش بحجة الافادة من امكانياتها في قتال الصليبيين وقال :

« الرأي اننا نقصد بلاد جكرمش وما والاها فنملكها وتتكثر بعسكرها والاموال»[٦٨] ووافقة في ذلك البي بن ارسلان تاش على الرغم من رابطة المصاهرة التي يرتبط بها مع جكرمش وشرعت قوات رضوان وحلفائه في مهاجمة بلاد الموصل فبدأوا في حصار نصيبين في مستهل شهر رمضان من سنة ٤٩٩هـ ، وكان جكرمش قد جعل عليها اميرين من اصحابه مع جماعة من العسكر ، فتحصنوا بالبلد وقاتلوا من وراء السور فأصيب البي اصابة خطيرة ارغمته على العودة الى سنجار[٦٩] .

وكان شمس الدولة جكرمش مقيما انذاك في موضع بظاهر الموصل يعرف بالحامة يتداوى بمائها من مرضه ، فلما بلغه حصار نصيبين عاد الى

---

(٦٨) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٤٠٥

(٦٩) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٤٠٥

الموصل لمواجهة الموقف فنزل على بابها ، واستعد لمواجهة رضوان وحلفائه، واظهر جكرمش مقدرة سياسية فائقة في معالجة الموقف ، فسعى الى تدمير الحلف القائم بين خصومه وبث الفرقة والخلاف بين رضوان وحلفائه وبدأ بمكاتبة اعيان عسكر رضوان ونجح في النهاية في افساد نواياهم[٧٠] ، في نفس الوقت الذى اشار على انصاره بنصيبين بخدمة الملك رضوان واظهار ولائهم له والاحتراز منه ، كما ارسل الى رضوان يتظاهر بطاعته ويؤكد له انه لن يجنى شيئا من قتاله له ، وذكره بحصار السلطان محمد للموصل دون ان ينال منها ، كذلك عمد جكرمش الى الانتقام من خصمه ايلغازي ، فأغرى رضوان بالقبض عليه ، وكتب اليه يقول « وان قبضت على ايلغازي الذى قد عرفت انت وغيرك فساده وشره فأنا معك ، ومعينك بالرجال والاموال والسلاح»[٧١] ، ويبدو ان رضوان كان قد مل طول أمد الحصار وخشي ان يقوم الصليبيون بمهاجمة حلب : فاثر مصالحة جكرمش واستصحابه معه للجهاد ، ويورد المؤرخ ابن الاثير رواية ذكر فيها ان رضوان استدعى ايلغازي وقال له : «هذه بلاد ممتنعة وربما استولى الفرنج على حلب ، والمصلحة مصالحة جكرمش واستصحابه معنا فانه يسير بعساكر كثيرة ظاهرة التجمل ، ونعود الى قتال الفرنج ، فان ذلك مما يعود باجتماع شمل المسلمين » ، فرفض ايلغازي ذلك واصر مواصلة الحرب ضد جكرمش الى حد انه هدد بقتال رضوان نفسه وكان رضوان يعلم سلفا بموقف ايلغازي هذا فأعد له نفرا من اصحابه وامرهم بالقبض عليه ، فلما جرى بينهما هذا الحديث وثبوا عليه وقيدوه ، وما ان علم اصحابه التركمان بذلك حتى

---

(٧٠) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٤٠٥

(٧١) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٤٠٥

فارقوا رضوان والتجأوا الى سور المدينة واصعد ايلغازي الى قلعتها فاعانه اهل نصيبين ، ثم تفرق التركمان ونهبوا ما قدروا عليه من المواشي وغيرها وعاد رضوان الى حلب[٧٢]

وكان جكرمش انذاك قد رحل عن الموصل وصمم على مواجهة رضوان فلما وصل الى تلعفر [٧٣] بلغه انصراف صاحب حلب عن نصيبين وانهيار الحلف ، فعاد الى سنجار لينتقم من صهره البي ارسلان فوصلته رسل الملك رضوان يطلبون اليه الاشتراك معه في قتال الصليبيين تنفيذا لوعده له بعد الذى فعله بالامير ايلغازي الا ان جكرمش راوغ في الاجابة ولم يف وفضل اخضاع سنجار[٧٤] ، ويبدو انه خشى الابتعاد عن بلاده والاشتغال بحرب الصليبيين حفاظا على مركزه في الموصل في تلك الفترة .

وكان السلطان محمد قد امر بتنحية جكرمش في سنة ٥٠٠هـ واقطع الموصل واعمالها للامير جاولى سقاوه الذى نجح في التغلب على جكرمش واستعد لدخول الموصل ولكن اهلها ارسلوا الى قلج ارسلان يستنجدون به فاسرع في المسير لنجدتهم الامر الذى حمل جاولى على التراجع عن الموصل الى سنجار ، ودخل قلج ارسلان الموصل في الخامس والعشرين من رجب سنة ٥٠٠هـ[٧٥] .

---

(٧٢) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ص٤٠٦

(٧٣) تليعفر : قلعة بين سنجار والموصل الى الغرب من الموصل وهى الى سنجار اقرب وتقوم على جبل منفرد وهى حصينة محكمة ، ياقوت ، البلدان جـ٢ص٤٠١ ، ٤٠٢

(٧٤) ابن الاثير الكامل جـ١٠ص٤٠٦

(٧٥) سبط الجوزي ، مرآة الزمان ورقة ٢٧٢ ، ابن العبرى ، مختصر تاريخ الدول ص٣٤٥

اما جاولي فقد سار الى الرحبة وحاول الاستيلاء عليها ، فامتنعت عليه فارسل يستدعي الملك رضوان لمساعدته في الاستيلاء وطردقلج ارسلان من الموصل وتعهد له في مقابل ذلك بمساندته ضد الصليبيين والدفاع عن حلب ، فسار رضوان الى الرحبة وتم الاستيلاء عليها في الرابع والعشرين من رمضان عام ٥٠٠هـ ، واستعد جاولي بعد ذلك لمواجهةخصمه قلج ارسلان في المعركة التى دارت بين الطرفين في ذي القعدة من السنة نفسها وانتهت بمصرع قلج ارسلان ودخول جاولي الموصل واستقراره في حكمها(٧٦)

ولم يكد يمض عامان على ذلك حتى فوجىء جاولي بعزله عن الولاية. اذ اقطع السلطان محمد البلاد الى الامير شرف الدين مودود (٥٠٢ــ٥٠٧هـ) الذى قدم على رأس عساكر السلطان الى الموصل لانتزاعها من جاولي ولم يتردد هذا الاخير في الرحيل عنها تاركا زوجته في الف وخمسمائة من الجند وقصد مدينة الرحبة ثم سار الى بالس وكانت تابعة للملك رضوان صاحب حلب ، فاحتمى اهلها من جاولي ، وهرب من كان بها من اتباع رضوان ، فحصرها خمسة ايام ، ثم اقتحم اسوارها ، واعدم جماعة من اهلها فقرر رضوان الانتقام من جاولي وعمد الى تحريض الصليبيين ضده ، وارسل تنكريد امير انطاكية محذرا اياه من غدر جاولي وخداعه ، وابلغه انه انما يطمع في الاستيلاء على حلب فيكون مصدر خطر على انطاكية ، وعلى هذا النحو سارع تنكريد لقتال جاولي وامده رضوان بستمائة فارس . فاضطر جاولي الى الاستعانة بيلدوين امير الرها ووعده بالتنازل له عما بقى من

---

(٧٦) ابن القلانسي ص١٥٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج١٢ص١٦٧ ، ابو الفدا المختصر ج٤ص١٤٠

(٧٧) ابن الاثير : الكامل ج١٠ص٤٦٤

الفدية[٧٨] ، فانضم الى جاولى عند منبج[٧٩] ، ووصلت الانباء باستيلاء مودود على الموصل ففارقه كثير من الامراء بسبب عصيانه للسلطان محمد ، وانتهى الامر بهزيمته امام قوات تنكريد وحليفه رضوان[٧٩]، واستقر مودود في امارة الموصل وشرع في التأهب للنضال ضد الصليبيين في الشام والجزيرة تنفيذا لامر السلطان محمد ، وسنحاول القاء الضوء على العلاقات بين رضوان ومودود من خلال حركة الجهاد التى تزعمها امير الموصل في هذه المرحلة .

كان مودود قد قام بثلاثة حملات عسكرية ضد الصليبيين وبلاد الشام ويهمنا ان نوضح موقف رضوان من حملة مودود الثانية التى تمت في عام ٥٠٥هـ-١١١١م ، فعلى الرغم من ان هذه الحملة جاءت استجابة لاستغاثة اهل حلب حين وفد على بغداد جماعة منهم (فاستغاثوا وانزلوا الخطيب عن المنبر وكسروه وصاحوا وابكو لما لحق الاسلام من الافرنج وقتل الرجال وسبى النساء والاطفال ، ومنعوا الناس من الصلاة)[٨٠] الا ان رضوان وقف موقفا عدائيا من مودود واغلق ابواب حلب في وجه عساكره واظهر انه انما يخاف خطر هذه العساكر اكثر من خوفه من خطر تنكريد نفسه[٨١] ويبدو ان رضوان كان يخشى انتقام السلطان محمد بسبب موقفه من الباطنية في حلب خشي ان تؤخذ منه حلب لاسيما وانه كان يعلم مدى كراهية اهلها له ، بسبب واستخدامه لهم لتنفيذ اغراضه الشخصية ، فلما وصلت عساكر مودود

---

(٧٨) مدينة كبيرة بينها وبين نهر الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ ، ياقوت ج٢ص١٦٢

(٧٩) ابن الاثير : الكامل ج١٠ص٤٦٥

(٨٠) ابن القلانسي ، ص١٧٣ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج٨ص٥١، اليافعي ، مرآة الجنان ج٣ص١٧٣

(81) Setton : Ahistory of the Crusader V. 1. P. 400 .

تقاعسه عن الجهاد وتخاذله امام الصليبيين ، ويصفه ابو المحاسن بانه كان (قبيح السيرة ، ليس في قلبه رأفة ولاشفقة على المسلمين • وكانت الفرنج تغاور وتسبى وتأخذ من باب حلب ولا يخرج اليهم) [٨٢]

ولم يكتف رضوان باغلاق حلب في وجه مودود بل صالح تنكريد وتحالف معه ضد امير الموصل ومن معه من المسلمين[٨٣] وذكر ابن القلانسي ان رضوان اخذ رهائن من اهل حلب ووضعهم في قلعتها خوفا من اقدامهم على تسليم البلد ورتب الجند واحداث الباطنية للدفاع عن الاسوار ومنع الحلبيين من ارتقائها[٨٤] ، وقد اثار تصرفه هذا اهل حلب فاطلقوا السنتهم بسبه ولعنه فاشتد خوفه من اهلها ان يسلموها لمودود فامتنع عن الركوب بينهم وظلت ابواب حلب مغلقة سبع عشرة ليلة[٨٥] ، ولم يجد مودود امام موقف رضوان من الرحيل عن حلب الى معرة النعمان ، حيث انضم اليه هناك طغتكين في عساكر دمشق واتفقا على مواصلة الجهاد ضد الغزاة[٨٦]

وفي حملة مودود الثالثة الصليبيين في اواخر عام ٥٠٦هـ لم يسهم الملك رضوان مساهمة فعلية في هذه الحملة على الرغم من تعهده لمودود وطغتكين بامدادها بالرجال والسلاح ، واكتفى بانفاذ مائة فارس فقط فأثار بذلك غضبهما ، وقد عبر ابن القلانسى عن ذلك بقوله : (وعقيب هذه النوبة وصل من حلب من عسكر الملك فخر الملوك رضوان مائة فارس على سبيل

---

(٨٢) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج٥ص٠٥ ٢

(٨٣) عا شور ، الحركة الصليبية ج١ص١٥ ٣

(٨٤) ابن القلانسي ص٧٥ ١

(٨٥) ابن العديم ، زبدة ج٢ص١٥٩/١٦٠

(٨٦) ابن القلانسي ص١٧٥ ،ابن الاثير ،الكامل ج١٠ص٤٨٧

المعونة خلاف ما كان قرره وبذله . فانكر ظهير الدين اتابك وشرف الدين مودود ذلك منه[87] وقد ورد في رواية ابن القلانسي ان طغتكين ومودود كانا قد اعلنا استعداداهما لاقامة الخطبة في بلادهما باسم الملك رضوان وانهما عدلا عن ذلك بعد موقفه الاخير من النضال ضد الغزاة الصليبيين وعدم مساهمته بصورة جدية في هذه الحركة والواقع ان رواية ابن القلانسي هذه لاتخص سوى طغتكين وحده ، فالمعروف ان رضوان كان يسعى الى فرض نفوذه على دمشق منذ وفاة اخيه دقاق في سنة ٤٩٧هـ ، وانتقال السلطة الفعلية الى الاتابك طغتكين ، وقد قام الاخير بزيارة حماه في سنة ٥٠٩هـ واجتمع الى الملك رضوان مستهدفا تقرير الحال بينهما [88] ويبدو ان طغتكين وعد رضوان باقامة الخطبة له بدمشق بعد عودته من حماه ، نظير ان يتعهد رضوان بمساعدته في قتال الصليبيين ، وقد نفذ طغتكين شروط الاتفاق وخطب لرضوان بدمشق بالفعل بداية سنة ٥٠٧هـ ، ويؤيد ذلك ماذكره المؤرخ ابن العديم من ان طغتكين غضب من رضوان بسبب موقفه من الجهاد ضد الصليبيين (وتقدم بابطال الدعوة والسكة باسم رضوان فى دمشق في اول ربيع الاول سنة سبع وخمسمائة)[89]

ويتضح مما سبق ان مودود لاعلاقة له بموضوع الخطبة او الاعتراف بنفوذ رضوان على بلاد الموصل ، فقد كان مودود في الواقع ينوب عن السلطان محمد في حكم هذه البلاد ويحظى بمنزلة كبيرة لديه ، وليس من المعقول ان يقدم على اعلان تبعيته لصاحب حلب . ولم يلبث رضوان ان توفى بحلب

---

(٨٧) نفس المصدر ، ص١٨٦

(٨٨) نفس المصدر ص١٨٢

(٨٩) ابن العديم ، زبدة الحلب جـ٢ص١٦٣/١٦٤

في الثامن والعشرين من جمادي الاخرة عام ٥٠٧هـ كما لقى الامير مودود مصرعه بدمشق في السنة نفسها وخلفه في حكم الموصل اقسنقر البرسقي[٩٠].

ثانيا : المرحلة الثانية : (٥٠٧ ـ ٥٢١هـ)

انتقل حكم حلب بعد وفاة رضوان الى ولده ألب ارسلان المعروف بالافرس) وكان صبيا في السادسة عشرة من عمره ، فاستولى على شؤون الحكم اتابكه (لؤلؤ الخادم) الذى لم يلبث ان دبر موءامرة ضد البارسلان فقتله بقلعة حلب في ربيع الاخر من عام ٥٠٨هـ[٩١] واقام مكانه اخاه سلطان شاه بن رضوان وكان صبيا في السادسة من عمره ، فاستأثر لؤلؤ بالحكم واستبد بالامور وسعى الى محالفة طغتكين تعزيزا لمركزه في حلب الا ان ذلك لم ينقذه من المصير السيء الذى كان ينتظره ، فقد لقى مصرعه على يد جماعة من غلمانه في ذى الحجة من عام ٥١٠هـ[٩٢] وقيل ان لؤلؤ هذا كان ينوى التخلص من سلطان شاه ، ففطن لذلك اصحابه ، فوثبوا على لؤلؤ وهو في طريقه الى قلعة جعبر[٩٣] ، وقبض ياروقتاش على مزام الحكم بحلب، وكان يارو قتاش هذا مملوكا من مماليك رضوان ارمنى الاصل ، فهادن الصليبيين واعطى روجر امير انطاكية حصن القبة ـ على الطريق بين دمشق وحلب ـ كما منحه حق فرض ضرائب على قوافل الحجاج بين حلب والحجاز[٩٤] ،

---

(٩٠) ابن القلانسي ص١٨٩ ، ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٤٩٦ (ذكر ابن الاثير ان مصرع مودود كان في ربيع الاول .)
(٩١) نفس المصدر ص١٩١ ، الحلبي ، اعلام النبلاء ص٤١٧
(٩٢) نفس المصدر ،ص١٩٨ ، العينى ، عقد الجمان جـ١٥ص٧١٩
(٩٣) ابن الاثير الكامل ، جـ١٠ص٥٣١ ، العينى ، عقد الجمان جـ١٥ص٧١٩
(٩٤) ابن القلانسي ص١٩٩ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ص٥٥٩ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية جـ٣) .

فأثار بذلك التصرف اهل حلب فانقلبوا علعيه وبادروا الى عزله بعد اقل من شهر ، وولوا مكانه ابا المعالي المحسن بن الملحى الدمشقي ، فدبر امـــور سلطان شاه مدة الى ان وصل نجم الدين ايلغازي بن ارتق الى حلب فـــي المحرم من سنة ٥١١هـ ، استجابة لنداء اهلها ، فأمر بالقبض على ابن الملحـــى هذا واودعه السجن(٩٥)

واقام ايلغازي بحلب فترة ثم اضطر للرحيل عنها الى ماردين تاركا بها ولده حسام الدين تمرتاش وقيل ان ايلغازي لم يجد في البلد مالا ولا ذخيرة لان لؤلؤ الخادم كأن قد فرق الجميع ، فعاد الى ماردين (٩٦) ، وكانت حلب تواجه في هذه المرحلة خطرا كبيرا من جانب الصليبيين الذين اسرفوا في شن هجماتهم على اعمالها وهددوا بالاستيلاء عليها ، فتوجه وفد من اعيانهـــا الى ماردين واقنعوا ايلغازي بالعودة الى حلب لمواجهة الغزاة ، فاســتجاب لطلبهم وعاد الى حلب ، وشن في مهادنة الصليبيين ريثما يتمكن من حشــد قواته ويستعد للحرب ، وتمكن ايلغازي فيما بعد من تحقيق النصر علـــى الصليبيين في عدة مواقع اشهرها الموقعة التى لقى فيها روجر الانطاكـــي مصرعه في سنة ٥١٣هـ(٩٧) ، ثم لم يلبث ايلغازي ان توفى في سنة ٥١٦هـ وكان بحلب ابن اخيه بدر الدولة سليمان بن عبدالجبار بن ارتق(٩٨) فانتزعها منه

---

(٩٥) نفس المصدر ص١٩٩ ، العينى ،عقد الجمان جـ١٥ص٧٢٠ ، أبـن الفرات تاريخ الدول والملوك جـ٢ص٩ .

٩٦ ابن الاثير ،الكامل جـ١٠ص٥٣١ ،العينى ، عقد الجمان جـ١٥ص٧٢٠ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك جـ٢ص٩

(٩٧) ابن القلانسي ص٢٠١

(٩٨) ابن العديم ، زبدة الحلب ص٦٣٤ (منتوجات جـ٣)

Stetton : op. cit. 1. P. 418.

ابن عمه بلك بن بهرام بن ارتق في السنة التالية أي ٥١٧هـ وبعد مصرع الاخير في سنة ٥١٨هـ ال الحكم الى حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي[٩٩] ثم تعرضت مدينة حلب عقب وفاة بهرام لخطر مزدوج بعد ان اصبحت هدفا لاطماع بعض الامراء ، كدبيس بن صدقة وسالم بن مالك وسلطان شاه بن رضوان الذى ابعده الاراتقة عن حكم حلب كما كانت هدفا لنشاط بلدوين الثاني وغارات الصليبيين في انطاكية[١٠٠]

وقد لعب دبيس بن صدقة دورا بارزا في تحريض الصليبيين وحثهم على مهاجمة حلب ، وتعهد بان ينوب عنهم في حكمها . كما عمد دبيس الى مكاتبة جماعة من اهل حلب وارسل اليهم الاموال لحملهم على تسليم المدينة. الا ان اخبار هذه المكاتبة انكشفت لدى المسؤولين في حلب فحذروا حسام الدين تمرتاش فقبض عليهم وعذبهم وشنق بعضهم وصادر اموال البعض الاخر[١٠١] .

وفي عام ٥١٨هـ ١١٢٤م تعرضت حلب لحصار صليبى ، ضم كلا من بلدوين الثانى وجوشلين كورتناى ودبيس بن صدقة وسلطان شاه بن رضوان[١٠٢] ، وكان حسام الدين تمرتاش قد رحل لطلب المساعدة من اخيه

---

(٩٩) ابن القلانسي ص٢٠٩ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ص٥٤٢/٥٤٣ (منتوجات جـ٣) .

(١٠٠) عاشور : الحركة الصليبية جـ١ص٥٢٤ محمد الشيخ : الجهاد المقدس ص٢٨٧ .

(١٠١) ابن العديم ، زبدة الحلب جـ٢ص٢٢١/٢٢ ٢

(102) Anonymous : op. cit, P. 96
Setton : op. cit. 1. PP. 423 - 424 .

سليمان في ماردين ، وترك مهمة الدفاع عن المدينة لنوابه وهم ، بدر الدولة سليمان عبدالجبار ، والحاجب عمر الخاص ، والقاضي ابو الفضل بن الخشاب [١٠٣] وعانى الحلبيون من شدة الحصار ، وطال انتظارهم فقرروا ارسال وفد منهم الى ماردين ليستحثوا حسام الدين على سرعة الوصول (فوجوده وقد مات اخوه سليمان بن ايلغازي صاحب ميافارقين .. وسار تمرتاش الى بلاده ليملكها واشتغل بملك تلك البلاد عن حلب)[١٠٤]،وضاق الامر باهل حلب واشرفوا على الهلاك[١٠٥] فتطلعوا الى الموصل ، وقرر وفد حلب التوجه اليها سرا ، فلما دخلوا الموصل وجدوا البرسقى مريضا وقد منع عن الدخول اليه سوى الاطباء[١٠٦] وكان خبر مرضه قد قوبل بالفرح والسرور لدى دبيس بن صدقة ، وليس ادل على ذلك من اقدامه على ضرب البشارة في عسكره ، وارتفع عنده التكبير والتهليل ، ونادى بعض اتباعه اهل حلب يبلغونهم بانه قد مات من كانوا يأملون نصرته ، فسرى اليأس في نفوس اهل حلب[١٠٧] ،ثم سمح لوفد حلب بمقابلة البرسقى ، فذكروا له مانزل بهم من شدة الحصار وسألوه المضي معهم للدفاع عن حلب ، فوعدهم

---

(١٠٣) ابن العديم ، زبدة الحلب ص٥٤٤ (منتخبات ج٣)

(١٠٤) نفس المصدر ، زبدة الحلب ص٥٤٤/٥٤٥

(١٠٥) ابن القلانسي ص٢٢٥

(١٠٦) ابن العديم ، زبدة الحلب ص٥٤٥ (منتخبات ج٣)

(١٠٧) نفس المصدر ، زبدة الحلب ص٥٤٥/٥٤٦

بالمساعدة واستمهلهم حتى يشفى من مرضه ونذر ان ابل من مرضه ان يذب عن حلب ويقاتل اعداءهم[١٠٨] ولم تمض سوى ثلاثة أيام حتى أبلى البرسقى من مرضه فخرج على رأس قواته نحو حلب ، وانضم اليه في الرحبة كل من طغتكين امير دمشق وصمصام الدولة خيرخان بن قراجا امير حمص ، فتقدم الى بالس ثم واصل زحفه نحو حلب فبلغها في الثانى والعشرين من ذىالحجة سنة ٥١٨هـ(كانون الثانى سنة ١١٢٥م) ، فتراجع الصليبيون الى جبل جوشن وخرج الحلبيون في اثرهم فنهبوا خيامهم ، وطاردت قوات البرسقى الصليبيين حتى أبعدوا عن جبل جوشن ثم عاد البرسقى الى حلب فدخلها وتسلم القلعة بين مظاهر الفرح والابتهاج التى كان يعبر عنها اهل المدينة[١٠٩] وعين الامير سوتكين نائبا عنه في حلب ، ثم لم يلبث ان عزله بعد ذلك في سنة ٥١٩هـ ، وولي مكانه امير حاجب صارم الدين بابك بن طلماس ولم تمض سوى مدة قصيرة حتى امر البرسقى بعزل صارم الدين هذا واقام كافور الخادم الى ان ينظر فيمن يوليه اياها ولاية مستقلة ، ثم سلم حلب لولده عز الدين مسعود وعاد الى الموصـــــل[١١٠] .

---

(١٠٨) نفس المصدر ، زبدة الحلب ص٤٦ ٥

(١٠٩) ابن القلانسي ص٢١١ و ٢١٢ ، ابن العديم ، زبدة الحلب (منتخبات ج٣ص٦٥٠/٦٥١) . ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ج٢ص٣٨٨

(١١٠) ابن العديم : زبدة الحلب (منتخبات ج٣ص٦٥١/٦٥٤) .

واستمر عزالدين مسعود يلي حلب حتى مصرع ابيه في ذي القعدة من سنة ٥٢٠هـ ، حيث غادرها الى الموصل فدخلها في ذي الحجة من السنة نفسها واقره السلطان محمود في حكم الموصل وما كان بيد ابيه من الاعمال غير ان مسعود لم يلبث ان توفى امام الرحبة ، ولم يمض سوى عام واحد على وفاة ابيه ، فخلفه في حكم الموصل اخ له صغير : وتولى الوصاية عليه احد مماليك ابيه يعرف بالجاولي الذى ارسل الى السلطان محمود يطلب تقرير البلاد لولد البرسقى الصغير ، الا انه السلطان لم يجبه الى طلبه واقطع البلاد الى الامير عماد الدين بن زنكى في رمضان من سنة ٥٢١هـ[١١١] .

---

(١١١) ابن الجزري : المنتظم جـ١٠ص٥ ، ابن الاثير ، الباهر ص١٤

البـــاب الثالث

موقف امارة الموصل من الصليبيين

الفصـــل الاول : نضال الموصل ضد الصليبيين من ٤٨٩ الى ٥٠٢هـ

الفصل الثاني : نضال الموصل ضد الصليبيين من ٥٠٢هـ الى ٥٢١هـ

الفصـــل الاول

نضال الموصل ضد الصليبيين من ٤٩١ الى ٥٠٢هـ

(١)

اوضاع السلاجقة عند بـدء الحركة الصليبية
واهمية الموصل كمنطلق للجهاد

(٢)

سلاجقة الـروم والغـزو الصليبي

ا ـ حملة بطرس الناسك ووالتر المفلس
ب ـ الحملة النظامية او الحملة الصليبية الاولى

(٣)

الصليبيون امـام انطاكيـة

أ ـ جهود ياغي سيان في الدفاع عن المدينة
ب ـ سقوط انطاكية في ايدي الصليبيين
ج ـ محاولة امير الموصل انقاذ انطاكية

(٤)

شمس الدولة جكرمش والحركـة الصليبيـة

ا ـ موقعـة حـران
ب ـ حصـار الرهـا

الفصـــل الاول

نضال الموصل ضد الصليبيين من ٤٩١هـ الى ٥٠٢هـ :

(١)

اوضاع السـلاجقة عنـد بـدء الصليبية واهمية الموصل كمنطلـق للجهــاد

اصبح السلاجقة في مطلع القرن الخامس الهجري اكبر قوة محاربـة في العالم الاسلامى ، فقد كان لسياستهم الجهادية تجاه الثغور الاسلامية اثر كبير فيما اكتسبوه من احترام المسلمين وتقديرهم لهم ، ذلك انهم تطلعـوا الى فتح الاقاليم المجاورة للعالم الاسلامى غربا وشـرقا علـى حـد سواء ، واستطاعوا في عصر قوتهم ان يحققوا على البيزنطيين انتصارات رائعة وان يقتطعوا اجزاء هامة من املاك الدولة البيزنطية في اسيا الصغرى[١] .

وترتب على هذه السياسة التوسعية ردود فعل اوربية عنيفة ، أهمهـا تعرض بلاد الشام في مرحلة الضعف السلجوقي لهجوم غربي واسع النطاق

Cam . Med . Hist . vol . 4.P.302 .
vasiliev , A. Ahistory of the Byzantine Empire , vol . T.P.355
حسن احمد محمود العالم الاسلامي في العصر العباسي ص٥٧٧
setton : op. cit . v : 1 . p. 213

استهدف في الظاهر الاستيلاء على بيت المقدس[٢] ، وهو ما اصطلح على تسميته بالحركة الصليبية او الحملات الصليبية التي استمرت زهاء قرنين من الزمن •

وقد بدأ تدفق الصليبيين نحو بلاد الشام في وقت كانت دولة السلاجقة فيه تعاني من الضعف والاضمحلال بعد وفاة السلطان ملكشاه في سنة ٤٨٥هـ وقبله بقليل وزيره ومدبر دولته نظام الملك ، فقد انتهى باختفائهما عهد القوة والاتحاد وبدأ عهد اخر من الانقسام والصراع حول العرش ، اصبحت الدولة خلاله مسرحا للفتن والحروب وانصرف السلاجقة عن حركة التوسع الخارجي التي بدأها سلاطينهم العظام ، الى التنافس حول العرش فيما بين ابناء ملكشاه من جهة وبين عمهم تاج الدولة تتش الذى كان يتولى حكم بلاد الشام من جهة اخرى • ولم يلبث تتش ان لقى مصرعه بعد هزيمته امام بركياروق في سنة ٤٨٨هـ • واصبحت بلاد الشام على هذا النحو مسرحا للصراع بين ولديه الملك رضوان في حلب والملك دقاق في دمشق وعمد رضوان الى الاستعانة بالفاطميين في مصر لتمكين نفوذه في الشام وانتزاع دمشق من اخيه دقاق ، واعلنت الخطبة بالفعل بأسم المستعلى ولكنها لم

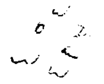
---

(٢) الواقع ان الصليبيين او الاوربيين لم يشتركوا في تلك الحملات بسبب الحافز الديني فحسب ، بل رغبة في الربح والكسب والاثراء ، وهذا ما اكده العديد من مؤرخي الغرب بأنفسهم ، كما كشفت الاميرة انا كومنينا في مؤلفها عن حياة ابيها الامبراطور الكسيس كومنين ، عن حقيقة دوافع الحركة الصليبية ومدى طمع اللاتين وجشعهم وحبهم للمال واتخاذهم الدين ستارا لتحقيق اغراضهم الشخصية . انظر : وراجع : جوزيف نسيم ، الدوافع الحقيقية للحركة الصليبية .
Anna comnena . the Alexlad , English Trans . London , 1928 . pp. 248 , 250 . 252 .

انطلاق ضد القداعد الصليبية في الجزيرة وشمال الشام • وقد حرص السلاجقة على اسناد امارة الموصل الى شخصيات عسكرية هامة عرفت بكفايتها ومقدرتها الحربية[٨] •

ومارس ولاة الموصل في الفترة ما بين عامي ٤٨٩ ــ ٥٢١هـ دورا بارزا في حركة الجهاد المبكر ضد القوى الصليبية التى باتت تهدد الوطن العربى بأسره ، نظرا لطبيعة موقع الموصل الحصين بعيدا عن الاخطار المحتملة لاى هجوم صليبي من ناحية ولكونهم يمثلون حلقة الوصل بين سلاطين السلاجقة والامارات الاسلامية في اقليم الجزيرة وشمال الشام من ناحية اخرى ، فأخذوا على عاتقهم مهمة قيادة حركة الجهاد ضد الصليبيين وتوحيد القوى المقاتلة كضرورة اساسية لانجاح حركة المقاومة ضد الغزاة •

(٢)



سلاجقة الروم والغزو الصليبي[٩]

ا ــ حملة بطرس الناسك ووالتر المفلس :

انقسم الصليبيون على انفسهم بعد عبور البسفور الى الشاطىء الاسيوي ، فقد دب الخلاف بين الالمان والايطاليون من جهة وبين الفرنسيين من جهة اخرى ، واختار الفريق الاول رينالد (ريجنالد) الايطالي قائدا بدلا

(٨) حسين مؤنس ، نورالدين محمود ، طبعة مصر ١٩٥٩ ، ص١١٩ .

(٩) يعود الى ملكشاه الفضل في توطيد نفوذ السلاجقة في اسيا الصغرى، ويعتبر سليمان بن قتلمش بن اسرائيل المؤسس الفعلي لدولة سلاجقة الروم . وكانت ولايته على اسيا الصغرى قد ابتدات في سنة ٤٧٠هـ عندما ولاه السلطان ملكشاه حكم ذلك الاقليم ،وقد استمرت دولة سلاجقة الروم قائمة حتى عام ٧٠٠هـ .
Vasiliev , op . clt . V . p.471.

تلبث ان قطعت بعد اربع اسابيع على اثر تدخل سقمان بن ارتق[٣] . ولـم يقتصر الامر على ذلك فحسب بل كان هناك خطر اخر يتمثل في الفاطميين الذين انتهزوا فرصة انشغال اعدائهم السلاجقة بمدافعة الصليبيين عن شمال الشام[٤] .

وخرجت جيوشهم بقيادة الافضل[٥] تهاجم جنوب الشام[٦] ، فكان لذلك كله اثر واضح فيما اصابه الصليبيون من نجاح سريع في الحملة الاولى يسر لهم الاستيلاء على اجزاء هامة من البلاد واقتراف المجازر وتشريد السكان[٧] .

وقد تزعمت امارة الموصل حركة المقاومة الاسلامية ضد العدوان الصليبي في بدايته بحكم قربها من مسرح الاحداث ، وباعتبارها اهم امارات الشمال العراقي فأصبحت في هذه الفترة قاعدة للتحركات العسكرية ، ونقطة

---

(٣) ابن ميسر اخبار مصر ص٤٦١ ـ ٤٦٢ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج٣) .
اليافعي ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج٣ ص١٥٢ .

(٤) كلودكاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ـ المجلد الاول ، بيروت ١٩٧٢ ، ص٣٦١ .

(٥) هو ابو القاسم شاهنشاه الملقب بالملك الافضل ابن الوزير الارمني بدر الجمالي الذي وزر للمستنصر الفاطمي عدة سنوات وتوفى سنة ٤٨٧هـ فأقر الخليفة الفاطمي ولده الافضل في جميع المناصب التي كان يشغلها ابوه ، وكان الافضل هو « المدبر للملكة القائم مقام السلطنة والخليفة الامر ليس له حل ولا ربط سوى اسم الخلافة » ابن ميسر اخبار مصر ص٤٦٦ ـ ٤٦٧ مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج٣.

(٦) خرج الافضل بعساكر كثيفة الى بيت المقدس في شعبا سنة ٤٩١هـ وانتزعها من سقمان وايلغازي ابني ارتق (ابن ميسر ، اخبار مصر ص٤٦٢ مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية جـ٣) ، ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج٥ ص١٥٥ .

(٧) كلودكاهن تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ج١ ص٣٦٠ .

من بطرس الناسك[١٠] • وعلى الرغم من الانقسام الداخلي الذي تعرضت له قوى الحملة الا انها تابعت مسيرتها على امتداد الشاطىء الجنوبي لخليج نيقوميديا ، حيث بلغت معسكرا حصينا يعرف عند البيزنطيين بأسم كيبوش Civetot ‏ Kibots عند الصليبيين ، كان يتخذه المرتزقة الانجليز ملاذا لهم ويتميز بالخصوبة وسهولة الاتصال بالقسطنطينية عن طريق البحر[١١] •

ولقد أمعنت القوة الفرنسية في التوغل داخل اسيا الصغرى مخالفة بذلك النصيحة التي اسداها لهم الامبراطور الكسيس كومنين وتقضي بعدم الشروع في مهاجمة السلاجقة حتى يتم وصول باقى القوات النظامية ، ووصلت طائفة كبيرة منهم الى اطراف مدينة نيقية ــ قاعدة دولة سلاجقة الروم ــ ، فتصدت لهم قوة من سلاجقة الروم ، وجرى بين الفريقين قتال عنيف ارتدت على اثره القوة السلجوقية الى نيقية واضطر الصليبيون على أثر هذا الاشتباك للعودة الى معسكر كيبوش [١٢] •

وقد اثارت الغنائم التي حصل عليها الفرنسيون اطماع الالمان والايطاليون

عبدالنعيم حسنين ، وسلاجقة اريان بالعراق ص٦٦ حسين مؤنس، نورالدين محمود ، ص٤٩ ــ ٥٠ .

(١٠) اعمال الفرنجة ، ترجمة حسن حبشي مصر ١٩٥٨ ص٢٠ . نسيمان ، الحروب الصليبية جـ١ ص١٨٨ .

(١١) رنيسمان ، الحروب الصليبية جـ١ ص١٨٨ ــ ١٨٩ ، حبشي ، الحروب الصليبية الاولى ص٦١ القاهرة ١٩٥٨ ، العريني ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية جـ١ ص١٧٧ .

(12) Chalandon : premiere Cremere Croisade , pp.76 . 77
Anna Comnena , the Alex iad , Tran : E.R.A.Sewter.

فتوغلوا داخل املاك قلج ارسلان[١٣] وتمكنوا من الاستيلاء على قلعة اكسيريجوردون Xerigardus [١٤] ، وقد احدث سقوط هذا الموقع دوي هائل لدى سلاجقة الروم فأنفذ قلج ارسلان على الفور كتيبة من الجند هاجمت الصليبيين ونجحت في استعادة القلعة في اواخر ايلول من عام ١٠٩٦ـ٤٩٠هـ واسرف السلاجقة في قتل الالمان بحيث لم ينج منهم سوى رينالد واصحابه الاسرى الذين اعلنوا اسلامهم وتم ارسالهم الى انطاكية وحلب وخراسان[١٥] ، ثم قام الصليبيون بمحاولة لاستعادة اكسيريجوردون انتقاما لاخوانهم فزحفوا في حشود بلغت عش ين الف رجل فوقعوا في المكائن التي اعدت لهم بالقرب من نهر دراكوب فلاذوا بالفرار وفتك السلاجقة بمن ظفروا به منهم[١٦] .

وعلى اثر هذه الكارثة التي المت بالصليبيين بادر الامبراطور الكسيس كومنين الى انفاذ عدد من السفن الحربية حملت من بقي منهم على قيد الحياة الى القسطنطينية وانزلهم بضواحي المدينة بعد ان أمر بتجريدهم من السلاح خوفا من احتمال قيامهم بأعمال تخريبية[١٧] ، وانتهت بذلك حملة

---

(١٣) اصبح قلج ارسلان سلطانا على سلاجقة الروم بعد مصرع ابيه سليمان بن قتلمش على يد تتش في صفر من سنة ٤٧٩هـ ـ ١٠٨٦م ـ انظر: ابن القلانسي ص١١٩ ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص١٤٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص٨٨ ـ ٩٧ .

(41) Anna Comnena : op . Clt . p.3l2

l9969.p.3ll :ffiof TM$

(51) Anna Comnea : op . ctt . p.3I2

(١٥) اعمال الفرنجة : ص٢٠ـ٢١ .

Vasiliev : op . cit . II. p.405

(61) Ibid ,

(١٧) اعمال الفرنجة ص٢٢

رنسيمان : الحروب الصليبية جـ١ ص١٩٣ ، انتوني ويست : الحروب الصليبية ترجمة شكري محمود نديم ـ بغداد ١٩٦٧ ص٥١ ـ ٥٢ .

بطرس الناسك ووالتر المفلس بفشل ذريع •

ب ـ الحملة النظامية او الحملة الصليبية الاولى :

كان قوام هذه الحملة الامراء الاقطاعيون من الفرنسيين والايطاليين، والنورمنديين ولم تكن تحت قيادة موحدة ، بل تمثل فيها الاقطاع بوضوح تام ، فكان لكل امير اتباعه ورجاله وجنده وافصاله ، وشارك في هذه الحملة: كونت فيرماندوا هيج الكبير وجود فروي دي بويون دوق اللورين الادنى، واخوه استاش الثالث المعروف بكونت بولونيا ، وبلدوين ، ثم بوهمينـد النرمندي وابن اخيه تنكريد ، وريموند الرابع كونت دي تولوز المعـروف بالصنجيلي ، وروبرت كونت دي نورماندي اكبر ابناء وليم الفاتح[١٨] ، وقد اعترف زعماء هذه الحملة ضمنا او صراحة بولائهم للامبراطور البيزنطـي الكسيس كومنين ، واقسموا اليمين باعادة كل ما كان قد استولى عليـه السلاجقة من املاك بيزنطة مقابل تعهد الامبراطور بمساعدة الصليبيين فـي مهمتهم • وتزويدهم بفرق من الجيش البيزنطي في حالة عدم تمكنه مـن الاشتراك شخصيا في هذه الحملة كما وعد ان يكون علـى رأس احـدى الحملات البيزنطية[١٩] •

وكان اول موقع استولى عليه الصليبيون هو مدينة نيقية التي تقع على مسافة يسيرة من خليج نيقوميديا ، وفشلت محاولات قلج ارسلان في انقاذ المدينة التى اعيدت الى احضان بيزنطة في ٢٦ يونيه ١٠٩٧م (رجـب سـنة

---

(١٨) حسن حبشي : الحرب الصليبية الاولى ص٦٤ ـ ٦٨

(١٩) ابن القلاس ص١٣٥

Grousset : His, dos. Croisades , 1. P. 27.

حبشي : الحرب الصليبية الاولى ص٨٣ ، العريني : الشرقالاوسط والحروب الصليبية ص١٨٠ ـ ١٨١

٥٤٩هـ) بعد ان احتلها السلاجقة مدة ستة عشر سنة[٢٠] ، واصبح بوسع القسطنطينية التنفس بحرية بعد ان تم طرد السلاجقة من هذا الموقع الامامي الحصين[٢١] .

ثم استأنف الصليبيون زحفهم في اسيا الصغرى بعد مغادرتهم نيقية اواخر حزيران / يونيه عام ١٠٩٧ ، فسلكوا الطريق البيزنطي القديم الذي يخترق اسيا الصغرى في الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وانقسموا الى فريقين لتسهيل عملية التموين وكان الفريق الاول بقيادة بوهيمند وقوامه نرمان جنوب ايطاليا وشمال فرنسا وقوات كونت فلاندر والكتائب البيزنطية، أما الفريق الثاني فكان يقوده ريموند الصنجيلي ويضم جماعات من الفرنسيين واهالي اللورين وقوات كونت فرماندوا[٢٢] .

وكان قلج ارسلان قد تراجع شرقا بعد سقوط نيقية واخذ يعد العدة لمواجهة الصليبيين والحيلولة دون مواصلة تقدمهم في اسيا الصغرى، وحدث الاشتباك بين الطرفين ، في دوريليوم في يوليو عام ١٠٩٧م ــ رجب ٤٩٠هـ اضطر قلج ارسلان على اثره للانسحاب شرقا بعد ان خسر عددا كبيرا من القتلى بالاضافة الى عدد من الاسرى نقلهم الصليبيون الى القسطنطينية .
كما لقى عدد من الامراء الصليبيين مصرعهم في هذه المعركة ، أمثال وليم

١٠٧

(20) Anonymous, Syriac, Chronicle, P. 70
Grousset : op. cit. 1. P. 30
(21) Oman, Art of war, 1. P. 239
(22) Grousset, op. cit. 1. PP. 31 - 32 .
Grousset : op cit. 1. P. 37 .

(٢٣) ابن القلانسي : ص١٣٤ ، العيني : عقد الجمان جـ١٥ ص٤٩٥ ، رنسيمان الحروب الصليبية جـ١ ص٢٦٣ ــ ٢٦٤ ، عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص١٦٦

اخ تنكرد وهمفري ، وروبرت كونت باريس[٢٤] .

وادرك قلج ارسلان بعد هذه المعركة صعوبة ايقاف الزحف الصليبي ولم يعد امامه سوى العمل على عرقلة تقدمهم فشرع في تخريب القرى والبلاد التي يمر عليها الصليبيون ليستحيل عليهم الحصول على ما يقتاتون به اثناء زحفهم[٢٥] .

وواصل الصليبيون زحفهم داخل اسيا الصغرى بعد ان امضوا يومين في دوريليوم ووصلوا الى سهل قونية فيما يقرب من منتصف اب ١٠٩٧م، وكان قلج ارسلان قد اتخذها قاعدة له بعد سقوط نيقية ، فلما بلغه اقتراب وكان قلج ارسلان قد اتخذها قاعدة له بعد سقوط نيقية ، فلما بلغه اقتراب الصليبيين ، انسحب الى الجبال حاملا كل ما استطاع حمله من المؤن ، فلما دخلها الصليبيون وجدوها خالية من السكان والمؤن ، فبادر الارمن الى تقديم المساندة لهم وامدوهم بالمؤن التي يحتاجون اليها خلال اجتيازهم الصحراء الفاصلة بين قونيه وهرقلة[٢٦] .

وفي هرقلة قام السلاجقة باخر محاولة لوقف تقدم الصليبيين ، الا ان محاولتهم هذه المرة ايضا لم يكتب لها النجاح[٢٧] فانسحبوا نحو الشمال واقتحم الصليبيون المدينة او اقاموا بها اربعة ايام[٢٨] ، انقسمو بعدها الى

---

(٢٤) رنسيمان : الحروب الصليبية جـ١ ص٢٦٥ ، باركر : الحروب الصليبية ص٣٥

(٢٥) نفس المرجع : الحروب الصليبية جـ١ ص٢٦٦ ، عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص١٦٧ .

(٢٦) اعمال الفرنجة ص٤٢ ، ٤٣ .

(27) Settton : Ahistory of the Crusades, V.I.P. 295 .
Grousset : op. cit. 1. P. 37 .

(٢٨) اعمال الفرنجة ص٤٤ : حبشي : الحروب الصليبية الاولى ص٩٤ .

فريقين الاول بقيادة بلدوين وتنكرد ووجهته فيليقية ، والثاني اتخذ طريقه صوب قبادوقيا وعلى رأسه المندوب البابوى وجود فروى فتمكنا من دخول قبادوقيا ، دون مقاومة بعد ان انسحب السلاجقة منها في اواخر ايلول عـام ١٠٩٧[٢٩] ، وواصل الصليبيون تقدمهم فأستولوا على كومانا (بلاكنتيـا الحالية) وهي مجموعة القلاع الارمنية في جبل طوروس ، وتم تسليمها لممثل الامبراطور المرافق للحملـة ، كدليل علـى التـزام الصليبيين بعهدهـم للامبراطور[٣٠] ، وتحرك الصليبيون بعدها نحو مدينة كوكس (جوكسون الحالية) الواقعة اسفل سلسلة جبال اللكام ، فأقاموا بها ثلاثة ايام قـدم خلالها سكانها الارمن للصليبيين كميات وافرة من المؤن ليستعينوا بها في المرحلة التالية اثناء اجتيازهم الجبال للوصـول الى (مرعشـ) ، ومكـث الصليبيون بضعة ايام في مرعش كانوا خلالها موضع حفاوة حاكمها الارمني ثم غادرها في ١٥ تشرين اول عام ١٠٩٧م ٤٩١هـ وهبطوا الى سهل انطاكية ووصلو الجسر الحديدي على نهر الاورنت (العاصي) قرب مدينة انطاكية في العشرين من الشهر المذكور ، بعد ان استولوا في طريقهم على قلعتـي بغـراس وأرتـاح[٣١] .

---

(٢٩) العيني : عقد الجمان جـ١٥ ص٥٠١
رنسيمان : الحروب الصليبية جـ١ ص٢٧٠ ـ ٢٧١
عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص١٦٧

(٣٠) رنسيمان : الحروب الصليبية جـ١ ص٢٧١

(٣١) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص١٣١ رنسيمان : الحـروب الصليبية جـ١ ص٢٧١ ـ ٢٧٣ .

(٣)
الصليبيــون امــام انطاكيــة

كان سليمان بن قتلمش قد تطلع للاستيلاء على انطاكية ، وانتزاعها من البيزنطيين[٣٢] ، فنجح في استعادتها في سنة ٤٧٧هـ ــ ١٠٨٤م ، وامتـــد بذلك نفوذ السلاجقة حتى سواحل البحر الابيض المتوسط ، ويبــــدو ان سليمان بن قتلمش كان يطمع في ضم مزيد من الاراضي على حساب سلاجقة الشام فهاجم حلب وحاصرها حصارا شديدا ، فأستنجد حاكمها بتاج الدولة تتش ، الذى سارع لصد سليمان عن حلب ، ودارت بينهما معركة عنيفــة ، انتهت بانتصار تتش ومصرع سليمان في صفر من عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[٣٣] ، الامر الذي دفع السلطان ملكشاه الى التدخل لاقرار الاوضاع في ذلـــك الجزء من الدولة السلجوقية ، فرحل الى الشام ودخل حلب بعد ان اخلاها تتش وانسحب الى دمشق فأقر ملكشاه ابناء سليمان بن قتلمش على بـــلاد الروم ، وجعل الشام لاخيه تاج الدولة تتش ، اما انطاكية فأقطعها للاميــر ياغي سيان[٣٤] ، وكان بها الحسن بن طاهر وزير سليمان بـــن قتلمش[٥٣] فأستمر ياغي سيان هذا يلي امورها حتى قدوم الحملة الصليبية الاولـــى وسقوطها في أيدي الفرنج[٣٦] .

---

(٣٢) كان البيزنطيون قد انتزعوا انطاكية من الفاطميين سنة ٩٦٩م ــ ٣٦٦هـ

(٣٣) ابن القلانسي ص١١٩ ، ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص١٤٧ ، ابـــن العديم ، زبدة الحلب جـ٢ ص٨٨ــ٩٧

(٣٤) ياغي سيان بن محمد بن ألب التركماني من مماليك السلطان ملكشاه وكان على درجة كبيرة من الكفاية والمقدرة وبقى محتفظا بولايــــة انطاكية حتى بعد وفاة ملكشاه ، واصبح تابعا للملك رضوان بن تتش (ابن القلانسي ص١٣٢ ، النويري : نهاية الارب جـ٢٦ لوحـــة ٧٤ (مخطوط) .

(٣٥) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص١٠١

(36) Grousset : op . cit . I. P. 71 .

وكان الطريق الى بلاد الشام قد انفسح امام الصليبيين بعد نجاحهم السريع في اختراق اسيا الصغرى وفشل محاولات سلاجقة الروم لوقف الزحف الصليبي نحو الجنوب ، فوصلت طلائعهم الى انطاكية في تشرين اول من عام ١٠٩٧م ــ ٤٩١هـ ونصبوا معسكراتهم خارج الاسوار[٣٧] .

وحرص ياغي سيان على بذل اقصى جهوده للدفاع عن انطاكية ، فأعد العدة لمقاومة الحصار وشحن القلاع بالجند والمقاتلة واكثر من المؤن في المدينة[٣٨] واظهر من الشجاعة والكياسة والحزم والاحتراز ما لم يتوفر عند غيره من قادة السلاجقة[٣٩] .

١ ــ جهود ياغي سيان في الدفاع عن المدينة :

وقد اعان موقع انطاكية الحصين ومناعة اسوارها ياغي سيان على مواجهة الحصار والصمود في وجه الصليبيين ريثما تصل اليه الامدادات من القوى الاسلامية المجاورة وكان ياغى سيان قد انفذ ولده شمس الدولة الى الملك دقاق صاحب دمشق[٤٠] ، كما بعث الكتب الى جناح الدولة امير حمص ، ووثاب بن محمود وبنى كلاب ، في نفس الوقت الذى ارسل فيه ولده محمدا الى قوام الدولة كربوقا امير الموصل ، ووجه رسله الى سائر

---

(37) Fulcher do Chrtres . Chronicle of the first Crusades , Oxford University Pross. 1941, PP. 41 - 42 .

(٣٨) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص١٣٠ ــ ١٢١ ، العيني : عقدالجمان جـ١٥ ص٢٠٥ (مخطوط دار الكتب المصرية) .

(٣٩) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٢٧٤ ، النويري : نهاية الارب جـ٢٦ لوحة ٧٤ (مخطوط) .

(٤٠) ذكر فولشر دي شارتر ان ياغي سيان ارسل ولده شمس الدولة الى السلطان السلجوقي بركياروق ليطلب نجدة سريعة ولم نقف على ما يؤيد هذه الرواية في المصادر الفارسية والعربية ، والواقع ان ياغي سيان كان بحاجة لمساعدة القوى الاسلامية المجاورة ولم يفكر بطلب النجدة من السلطان السلجوقي الذي كان انذاك مشتغلا في اخماد الفتن والاضطرابات في بلاد فارس : انظر :
Fulchor do Chartros, op. cit. P. 43 .

الاطراف[41] ، وكان الفرنج قد ارسلوا الى الملك دقاق واخيه الملك رضوان يعدونهما بعدم التعرض لبلادهما ويؤكدون لهما بأن هدف هذه الحملة انما هو مجرد استعادة ما كان بيد الروم « مكرا منهم »[42] ، وضمانا بعدم تقديم مساعدتهما الى انطاكية وكان في وسع دمشق وحلب تقديم مساعدة عاجلة لانقاذ المدينة ، كما كان هدف الصليبيين ايضا اخفاء حقيقة الغزو الصليبي لبلاد الشام ريثما يتم لهم الاستيلاء على انطاكية[43] .

واقدم ياغي سيان على اتخاذ بعض الاجراءات الضرورية لسلامة المدينة ، ولم يكن مطمئنا لوجود العناصر الارمنية والسريانية في انطاكية اثناء الحصار ، فعمل على اخراجها من المدينة خوفا من احتمال تواطئها مع الصليبيين على تسليم البلد ، فأخرج المسلمين لحفر خندق يحمي المدينة ، وفي اليوم التالي اخرج تلك العناصر لاتمام العمل في الخندق فعملوا فيه الى العصر ، فلما ارادوا دخول المدينة منعهم من ذلك وقال : « انطاكية لكم تهبونها لي حتى انظر ما يكون منا ومن الفرنج ، فقالوا له : من يحفظ ابناءنا ونساءنا ؟ فقال : انا اخلفكم فيهم ، فأمسكوا ، واقاموا في عسكر الفرنج ، فحصروها تسعة اشهر »[44] ، اما المصادر المسيحية فتذكر ان سكان انطاكية من السريان والارمن اسرعوا بالخروج من المدينة تاركين خلفهم نساءهم واولادهم بعد وصول الصليبيين الى انطاكية ، وأمدوهم بمعلومات هامة عن احوال المدينة[45] .

---

(٤١) ابن القلانسي ص١٣٤

(٤٢) العيني : عقد الجمان جـ١٥ ص٥٠٢ — ٥٠٢

(٤٣) ابن الاثير : الكامل جـ١ ص٢٧٥

(٤٤) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٢٧٤ ، واخذ عنه النويري في نهاية الارب جـ٢٦ لوحة ٧٤ ، والعيني في عقد الجمان جـ١٥ ص٥٠٢

(٤٥) اعمال الفرنجة ص٥٠ .

وتوالى وصول الصليبيين الى انطاكية واتخذوا مواقعهم خارج الاسوار عند الطرف الشمالي الغربى ، فأحتل بوهميند القطاع المواجه لباب القديس بولس واتخذ ريموند موضعه في القطاع المواجه لباب الكلب ، في حين نزل جود فروى الى يمين ريموند تجاه باب الدوق ، واتخذت باقي القوات الصليبية مواقعها خلف بوهميند[٤٦] ولم يبادر الملك رضوان بتقديم المساعدة لياغى سيان على الرغم من ان الاخير يعتبر من الوجهة الشرعية تابعا له ، بأعتبار ان انطاكية كانت من نصيب رضوان بعد مصرع ابيه تاج الدولة تتش ، والواقع ان الموقف السلبي الذي اتخذه رضوان جاء نتيجة طبيعية لموقف دقاق ياغى سيان من الصراع بين الاخرين رضوان ودقاق وانحيازه الى الملك دقاق في الهجوم الفاشل الذي قام به على حلب في سنة ٤٩٠هـ[٤٧] .

وكان بأمكان رضوان ان يتناسى ما يعتمل بنفسه من مشاعر الحقد لياغي سيان امام الخطر الصليبي الماثل على انطاكية ، ولكنه عبر بموقفه هذا عن قصر نظر سياسي فأخطأ في تقدير الاخطار التي ستترتب على سقوط انطاكية في ايدي الصليبيين وجعل خلافاته الشخصية تحول دون قيامه بالواجب المقدس والدفاع عن هذه المدينة التي كانت تقوم مقام المنفذ المؤدي الى بلاد الشام وتغافل عن الحقيقة السافرة وهي ان سقوط انطاكية يشكل حتما خطرا ماثلا على حلب[٤٨] .

(٤٦) رنسيمان : الحروب الصليبية جـ١ ص٣٠٨

(٤٧) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٢٦٩ ، العيني : عقد الجمان جـ١٥ ص٤٩٤ ، وذكر العيني ان الملك رضوان كان متزوجا من ابنة ياغي سيان .

(٤٨) ذكر المؤرخ ابن الشحنة ان الفرنج لما ملكوا انطاكية طمعوا في بلاد حلب فخوجوا اليها وعاثوا في بلادها وملكوا معرة النعمان وقتلوا كل من فيها ، فخافهم رضوان لعجزه عن دفعهم عن البلاد ومنعهم فأضطر الى مصالحتهم فأفترضوا عليه اشياء كثيرة من جملتها ان

وشرع ياغي سيان في شن سلسلة من الهجمات على معسكر الصليبيين من الباب الغربي ، ليمنع الذين يخرجون منهم لالتماس العلف من العودة الى معسكرهم كما نجح في الاتصال بالخامية السلجوقية في حارم وحثها على مهاجمة مؤخرة الجيش الصليبي ، وفي هذا الوقت كانت هناك قوة اسلامية بقيادة الملك دقاق تشق طريقها الى انطاكية ، وكانت تضم بعض امراء الاطراف مثل جناح الدولة بن ملاعب صاحب حمص وامير حماه ، فأجتمعت عساكرهم في شيزر ، حيث بلغهم وجود قوة صليبية بالقرب منهم، فقرروا مهاجمتها ، ودارت بين الفريقين معركة عنيفة في نهاية شهر ديسمبر من عام ١٠٩٧ — ٤٩١هـ في موضع يعرف بأسم (الباره) وتمكن المسلمون من تطويق قوات روبرت فلاندر ، الا ان وصول بوهيمند في هذه الاثناء انقذ روبرت من هزيمة محققة فأنقلب الموقف لصالح الفرنج ، وتراجع المسلمون الى حماه بعد ان تكبدوا بعض الخسائر وتؤكد بعض المصادر العربية ان المسلمين تمكنوا من قتل جماعة من الفرنج في هذه المعركة وأرغموهم على العودة الى انطاكية(٤٩) .

والواقع ان هذه الموقعة تركت آثارا سلبية في كلا الجانبين ، فبالنسبة للمسلمين حالت هذه المعركة دون وصول امداداتهم الى انطاكية وتفرق زعماؤها ايدي سبأ ، اما بالنسبة للصليبيين فقد امتنعوا بعد هذه المعركة من التقدم نحو الجنوب لالتماس العلف والمؤن مكتفين بالاغارة شرقا حتى معرة مصرين(٥٠) ، وعانى الصليبيون بعدها من تناقص خطير في المؤن

يحمل لهم في كل سنة قطيعة من مال وخيل وان يعلق على قلعة حلب (جرسا) وان يضع صليبا على منارة المسجد الجامع فأجابهم الى ذلك فأنكر عليه ذلك القاضي ابو الحسن بن يحيى الخشاب ، فراجع رضوان الشريح فأذنوا له بوضع الصليب على الكنيسة العظمى .
(ابن الشحنة : الدر المنتخب ، بيروت ١٩٠٩ ص٧٧ — ٧٨) .

(٤٩) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص١٣١ — ١٣٢

(٥٠) رنسيمان : الحروب الصليبية جـ١ ص٣١٣ .

والاقوات على الرغم مما كان يصلهم من امدادات عن طريق قبرص ومن الرهبان المقيميين بأعلى جبال امانوس[٥١] ، واضطر بعض زعماء الحملة الى التخلي عن حصار انطاكية والتسلل من المعسكر الصليبي ، وكان بين هؤلاء بطرس الناسك ووليم النجار ، فتمكن تنكرد من اعادتهما الى المعسكر بعد ان افتضح امرهما[٥٢] ، واضطر الفرنج الى توجيه نداء الى مسيحيي اوربا كافة بأسم بطريرك بيت المقدس نص على حرمان كل مسيحي لا يوفي بالعهد الذي بذله للاشتراك في الحملة الصليبية[٥٣] .

ووسط هذه الظروف شرع بوهيمند في تنفيذ خطته الرامية الى الاستحواذ على انطاكية والاستئثار بحكمها فلوح في الانسحاب الى ايطاليا متذرعا بانه لم يعد يصبر على رؤية قواته تتمزق ورجاله يتساقطون صرعى من الجوع امام انطاكية وكان هدفه من وراء ذلك احراج الصليبيين الذين اصبحوا بحاجة ماسة الى وجوده معهم فأسرع اليه معظم امرائهم يتوسلون اليه بالبقاء لانقاذهم مما هم فيه ، ووعدوه ان يسلموا انطاكية ثمنا لما يبذله من جهد ويقدمه من تضحيات[٥٤] ، ولم يبق امام بوهيمند بعد ذلك سوى التخلص من تانيكوس ـ ممثل الامبراطور ـ وحمله على الرحيل الى القسطنطينية فذكرت انا كومنينا Anna Comnena ان بوهيمند اخبر تاتيكوس بأن جيشا كبيرا يقوده السلطان السلجوقي في طريقه الان

---

(٥١) مختصر تواريخ الارمن نقله الى العربية القس انطوان الخانجي : اورشليم ١٨٦٦ ص٢١٦

(٥٢) اعمال الفرنجة ص٥٥

(٥٣) رنسيمان : الحروب الصليبية جـ١ ص٣١٧

(54) Anna Comnena, op. cit. P. 343 .
Grousset , op. cit. 1.P. 79.

الى انطاكية لمهاجمة الصليبيين وان الامر يستدعي وصول امدادات من القسطنطينية ، كما اخبره ايضا ان جيشا من السلاجقة يتجه الى اسيا الصغرى لمهاجمة قوات الامبراطور نفسه ولم يكتف بوهيمند بذلك بل جعل امراء الحملة ينظرون الى ممثل الامبراطور نظرة المتآمرين مع السلاجقة ضد الصليبيين ، فقدم اليه بوهيمند النصح بالنجاة بنفسه في حين اشاع بعد رحيله بانه تخلى عن الحصار وهرب الى القسطنطينية(٥٥) .

وذهبت المصادر المسيحية الى القول بأن رحيل تاتيكوس كان نتيجة لجبنه الشديد ، وما تملكه من خوف عند سماعه بزحف المسلمين نحو انطاكية فتظاهر بانه يسعى للحصول على المؤن وعاد الى القسطنطينية(٥٦) .

وفي اثناء ذلك نجح شمس الدولة بن ياغى سيان في اقناع الملك رضوان بالخروج لانقاذ انطاكية ويبدو ان فشل الملك دقاق في الوصول الى انطاكية وعودته الى دمشق ، كان دافعا لرضوان على تغيير موقفه من الصراع حول انطاكية فقرر العمل على انقاذها من الفرنج ، وانضم اليه من أمراء الاطراف كل من سقمان ابن ارتق في عساكر ديار بكر والجزيرة ، وصهره صاحب حماه ، وقوات حمص ، واجتمعوا بحارم(٥٧) ، ووضع رضوان خطة تقضي بمفاجأة الصليبيين والانقضاض عليهم ، في نفس الوقت الذي يخرج فيه ياغى سيان من المدينة فيطبق المسلمون على العدو من الجانبين(٥٨) ، الا ان اخبار الخطة تسربت الى الفرنج عن طريق السريان

(55) Setton, op. cit. 1. PP. 313 - 314 .
Anna Comnona : op. cit. P. 343 .

(٥٦) اعمال الفرنجة ص٨٦

(٥٧) ابن العديم : منتخبات من زبدة الحلب (المجموعة جـ٣) ص٥٧٩

(58) Grousset ; op. cit. 1. P. 86 .

والارمن في حلب وحارم الذين قاموا بنقل هذه الاسرار الى الصليبيين واطلعوا بوهيمند على تفاصيلها ، فأستعد لمواجهة الموقف ، وبادر بالخروج على رأس فرقة من الفرسان واشتبك مع عساكر رضوان وحلفائه في موضع يقع بين بحيرة العمق ومجرى نهر العاصي ، واسفر الاشتباك عن هزيمة منى بها المسلمون فتراجعوا الى حارم في اخر صفر سنة ٤٩١هـ ، ٨ فبراير ١٠٩٨م، ثم رحلوا عنها الى حلب ، ولاذت حامية حارم بالفرار بعد ان اشعلت النيران بالحصن فأستولى الصليبيون على حارم بمساعدة اهلها من السريان والارمن، وتهيأ بذلك للصليبيين حماية انطاكية من ناحية حلب وقطع الطرق امام اية امدادات جديدة قد تأتي من هذه الجهات(٥٩) .

وكان ياغي سيان قد خرج حسب الخطة المتفق عليها ، وهاجم الصليبيين ودارت بينهما معركة عنيفة واوشك المسلمون على تحقيق النصر لولا عودة فرسان (الصليبيين) حاملين رؤوس القتلى المسلمين في معركة العمق ، فأنسحبت الحامية الى داخل انطاكية وقذف العدو برؤوس القتلى داخل اسوار المدينة(٦٠) .

وتحرجمو قف ياغي سيان بعد فشل محاولة رضوان وادرك انه لا يمكنه الصمود اكثر من ذلك ، في وجه الحصار الشديد الذي فرضه الصليبيون فأضطر الى توجيه نداء جديد الى كربوقا امير الموصل الذيكان يعتبر آنذاك اهم واقوى الامراء في اعالي الجزيرة .

---

(٥٩) ابن العديم ، زبدة الحلب (منتخبات ص٥٧٩)
Stevonson : op . cit. P. 27 .

(٦٠) اعمال الفرنجة ص٥٧ ــ ٥٩
Chartos : the art of wer in the middle Ages. vol. 1. PP. 280 - 281

والواقع ان صاحب الموصل لم يتوان في تلبية نداء الواجب واسرع على رأس قواته لمساعدة ياغى سيان احساسا منه بالخطر الذى يترتب على سقوط انطاكية في ايدي الصليبيين وما يتمخض عنه من سيطرتهم على شمال الشام ، وبعد ان امتد نفوذهم الى الحوض الاوسط لنهر الفرات بتأسيس امارة الرها ، ولكن لم يرد في المصادر العربية ما يشير الى ان حملة كربوقا في الكمين اذ كان حرصه على المشاركة في الاستيلاء على المدينة يفوق حرصه جاءت تلبية لاوامر اصدرها السلطان بركيا روق الذي كان وقتئذ منشغلا في حروبه في بلاد فارس(٦١) .

ويحاول مؤرخو الحملة الصليبية القدامى منهم والمحدثين اكساب هذه الحملة اهمية خاصة فأدعوا انها تمت تحت رعاية السلطان بركيا روق وبأشراف الخلافة العباسية وان جيش كربوقا ضم عناصر قدمت من بلاد فارس(٦٢) ، وواضح ان هذه الروايات انما كانت تهدف الى اعطاء الانتصار

---

(٦١) ابن القلانسي ص١٣٤ ، ابن الاثير : الكامل جـ١ ص١٧٦ ، ابن العديم زبدة الحلب ص٥٨٠ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية) ، ابن الشحنة : الدار المنتخب ص٢١٥ ، النويري : نهاية الارب : لوحة ٧٥ جـ٢٦ ، العيني عقد الجمان جـ١٥ ص٢ـ٥ ، ذكر ابن القلانسي ان ياغي سيان توجه بالعساكر الى انطاكية مع سقمان بن ارتق وكربوقا صاحب الموصل ، والواقع ان ياغي سيان لقى مصرعه قبل وصول ركبوقا الى انطاكية كما ان المؤرخ ابن الاثير ذكر ان كربوقا سار بالعساكر الى الشام « لما سمع بحال الفرنج وملكهم انطاكية » في حين ان كربوقا رحل عن الموصل قبل سقوط انطاكية في ايدي الفرنج وقضى ثلاثة اسابيع يحاصر الرها مما يسر للفرنج مهمة استيلائهم على انطاكية الا ان هذه الروايات جميعا تتفق على ان كربوقا كانت استجابة لاستغاثة ياغي سيان وانه لم يكن للسلطان اي دخل بها .

(62) Fulcher of Chartres : op. cit . P. 49
Anna Comnena : op. cit. P. 343 .
Grousset : op. cit. 1. P. 431 - Conder : the Iatine King dom, P. 42 Cam. Med . Hist, vol 65. 290 .

الصليبي حجما اكبر من حجمه الحقيقي واعتباره انتصارا علـى السـلطنة والخلافة العباسية في آن واحد ، الامر الذي يرفع من معنوية الصليبيين في الشام من جهة ويدفع اوربا لارسال المزيد من الحملات الى الشرق من جهة اخـرى[٦٣] .

واثارت نجدة الموصل الذعر في صفوف الفرنج ، فلقد ادركوا مدى الخطر الذي يمكن ان يحيط بهم ويتهددهم على اثر وصول جيش كربوقا ، الامر الذي يعجل بالقضاء عليهم ، وتبين لهم اخيرا ان امتداد امد الحصار ليس في صالحهم وان المصلحة تدعو الى الاسراع باقتحام المدينة والتحصن داخل اسوارها[٦٤] .

والواقع ان ما حدث بد ذلك من تأخر وصول قوات كربوقا انقـذ الحملة الصليبية من هزيمة محققة ، ذلك ان صاحب الموصل لم يشأ الزحف نحو انطاكية ومن ورائه جيش بالرها يهدد جناحه الايمن ويقطع عليه الاتصال ويعزله عن قاعدته في الموصل اذ لا يخفى ان انشاء هذه الامارة في الحوض الاوسط من نهر الفرات كان امرا بالغ الخطورة ، بعد ان باتت تشكل خطرا كبيرا على الجزيرة وشمال الشام سيما بعد ان استولى بلدوين على سميساط وسروج والبيرة لتأمين اتصاله بحصني تل باشر وراندوان اللذين سبق لـه الاستيلاء عليهما في بداية شتاء سنة ١٠٩٧[٦٥] .

---

(٦٣) ذكر فولشر دي شارتر ان قوات كربوقا كان قوامها ثلاثون الـف رجل وهو رقم مبالغ فيه جدا هدفه رفع قيمة انتصار الفرنج امـام انطاكيـة :

Fulcher of Chartres : op . cit. P. 51 .

(64) Anna Comnena : op. cit. P. 344 .

(٦٥) رنسيمان : الحروب الصليبية جـ١ ص٢٩٨ ـ ٢٩٩

وهكذا كان لدى كربوقا من المبررات ما يجعله يتوقف عند الرها لشن اول عملية هجوم ضد هذه الامارة اللاتينية في اقليم الجزيرة ، وبدأ بحصارها ابتداء من اليوم الرابع من مايس حتى الخامس والعشرين منه ، وبذلك يكون قد اضاع مدة ثلاثة اسابيع دون ان يحقق هدفه في الاستيلاء عليها ، نظرا لما كانت تتمتع به هذه المدينة من قوة وحصانة ، ولما طال امد المصادر دون جدوى اضطر الى رفع الحصار وواصل تقدمه نحو انطاكية[٦٦] ، وقد اتاح تأخر وصول كربوقا للصليبيين فرصة احكام الحصار حول انطاكية فأقاموا قلعة على الشاطىء الايمن للنهر عرفت بأسم Lamahomerio او حصن ريموند ، واصبح من الصعب بعد ذلك وصول الامدادات الى المدينة كما اصبح من المتعذر على اهلها الخروج لرعي ماشيتهم في المراعى المجاورة [٦٧] وعلى الرسم من شدة الحصار وازدياد ضغط العدو على انطاكية فأن ياغى سيان ظل صامدا ، وجرت بين حاميته والفرنج عدة اشتباكات كانت الحامية ترتد بعدها الى داخل المدينة ، غير ان الخيانة ما لبثت ان وجدت طريقها بين صفوف المدافعين عن انطاكية ، ونجح بوهيمند في توثيق علاقته مع رجل من اهل انطاكية يدعى (بروزيه)[٦٨]

(66) Fulcher of chartres, op . cit. P. 49
Anonymous, op. cit. P. 72 .
(67) Cam. Med. Hist. v. 5. P. 291 .
(٦٨) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٢٧٤ ، العيني ، عقد الجمان جـ١٥ ص٥٠٢ ، النويري : نهاية الارب جـ٢٦ لوحة ٧٥
ورد الاسم في المصادر الغربية (فيروز) و (نيروز) وفي الجستا بيروز ، وذكرت بعض هذه المصادر ان فيروز هذا ارمني الاصل في حين ذكرت مصادر اخرى انه تركي الاصل .
اعمال الفرنجة : حاشية ص٦٦
Guillaum de Tyr. 1. P. 212
Raymond d,Aguilers, P. 251.
رنسيمان : الحروب الصليبية جـ١ ص٣٢٨ ـ ٣٢٩ ،
عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص٢٠٣

ويعرف بالزراد كان مسؤلا عن حراسة احد الابراج في القطــــاع الشمالي الغربي من المدينة(٦٩) ، كان ياغي سيان قد « اخذ ماله وغلته فحمله الحنــق على ان كاتب لبمند (بوهيمند) »(٧٠) فأتصل ببوهيمند عن طريق ابنــــاء جلدته من الارمن واستطاع ان يصل الى اتفاق معه يقضي بفتح البــــرج الذي يقوم على حراسته(٧١) واحتفظ بوهيمند بهذا السر ولم يبح به لاحد من قادة الحملة « بل انه بدلا من ذلك صار يؤكد علنا ما سوف يواجـــه الصليبيين من اخطار كيما يزيد من قيمة انتصاره المقبل»(٧٢) .

سـقوط انطاكيـة

وكان خبر تخلي كربوقا عن حصار الرها وتقدمه نحو انطاكية قدوضع الفرنج في موقف حرج واشاع بينهم جوامن التشاؤم واليأس ، وبدأ كثيرون منهم يتسربون من المعسكر عائدين الى بلادهم ، من بينهم ستيفن بلوا مــع جماعة كبيرة من عساكر شمال فرنسا حيث اتخذ طريقه الى الاسكندرونة في ٢ يونيه عام ١٠٩٨م ، وهو اليوم السابق لسقوط انطاكية في ايدي الفرنج ، وجاء انسحاب ستيفن بلوا لصالحبوهيمند الذى كانيخطط للاستئثار بحكم انطاكية واستطاع ان يحصل على موافقة امراء الحملة على اعطائه الحق في انشاء امارة لنفسه في انطاكية في حالة اذا ما وفق في الاستيلاء عليها قبل غيره من الامراء ،و في حالة عدم حضور الامبراطور البيزنطي(٧٣) .

وتم لبوهيمند اقتحام المدينة من جهة البرج الذي يتولى حراستهالزراد الخائن في ٣ يونيه عام ١٠٩٨م : جمادي الاولى من سنة ٤٩١هـ حيث اوفــد عددا من رجاله اليه تسلقوه بالحبال ثم تكاثر عددهم وتمكنوا من فتح باب

---

(69) Conder , op. cit. P. 46 .

(٧٠) ابن العديم ، زبدة الحلب ٥٨٠ (المجموعة)

(71) Anna Comnena : op. cit. PP. 342 - 343 .

(٧٢) رنسيمان : الحروب الصليبية جـ١ ص٣٢٩

القديس جورج بفضل مساعدة سكان انطاكية من اليونان والارمن • وتدفقت باقي عساكر بوهيمند « فلما زادت عدتهم على خمسمائة ضربوا البوق ، وذلك عند السحر ، فأستيقظ ياغي سيان وسأل عن الحال فقيل له ان هذا البوق من القلعة ولا شك انها قد ملكت ، ولم يكن من القلعة وانما من ذلك البرج » ، وخرج ياغي سيان هاربا في ثلاثين غلاما ، فلما كان على بعد اربعة فراسخ سقط عن فرسه « لشدة ما ناله وغشى » فأراد اصحابه ان يركبوه الا انه كان قد اشرف على الموت فتركوه ، فأجتاز به رجل من الارمن فقتله واخذرأسه الى الفرنج بأنطاكية(٧٤) •

وأحدث الصليبيون مذابح رهيبة فقتلوا كل من وجدوه في المدينة من المسلمين حتى لم يبق بأنطاكية من احد من الاحياء(٧٥) ، فقتلوا وأسروا وسبوا من الرجال والنساء والاطفال ما لا يدركه حصر(٧٦) ، ولجأ شمس الدولة بن ياغي سيان الى القلعة مع عدد من رجال الحامية فتحصنوا بها وفشل بوهيمند في الهجوم على القلعة على الرغم من ضعف حاميتها ، وكان

---

(73) Fulcher of chartres : op. cit. P. 45 .

(٧٤) ابن القلانسي ص١٣٥ ، ابن الاثير ، الكامل ج١٠ص٢٧٤ ابن العديم زبدة الحلب ص٥٨١ (المجموعة ج٣) ، ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ص٢١٤/٢١٥ ، بيروت ١٩٠٩ ، اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج٣ص١٥٤ ، بيروت ١٩٧٠ ، النويرى : نهاية الارب ج٢٦ لوحة ٧٥ (مخطوط) ، العينى : عقد الجمان ج١٥ص٥٠٢ (مخطوط)

Fulcher of chartres : op. cit. PP. 47 - 48

ذكر ابن القلانسي والعينى ان الاستيلاء على انطاكية تم في جمادى الاولى ٤٩١هـ في حين ورد في زبدة الحلب لابن العديم ان سقوطها حدث في رجب ٤٩١هـ

(75) Fulcher of chartres : op. cit. P. 48

(٧٦) ابن العديم : زبدة الحلب ص٥٨١/٥٨٢ (المجموعة ج٣)

كربوقا انذاك قد عبر الفرات الى انطاكية ، وتوقف في مرج دابق حيث انضم اليه كل من دقاق صاحب دمشق وبصحبته طغتكين وجناح الدولة حسين امير حمص ، وسقمان بن ارتق صاحب ديار بكر ، وارسلان ناش صاحب سنجار كما انضم اليهم الامير وثاب بن محمود في جماعة من العرب وغيره من امراء الاطراف[77] اما الملك رضوان فقد وقف موقفا سلبيا من هذا الحلف ولم يبادر بالمساهمة في انقاذ انطاكية ، وتحركت قوات المسلمين نحو انطاكية سالكة الطريق المحاذي لنهر العاصي حيث تمكنت من القضاء على احدى الحاميات الصليبية ، كانت تعسكر عند جسر الحديد الواقع الى الشمال الشرقي من انطاكية وذلك في اليوم الرابع من يونيه ١٠٩٨م وتقدمت بعدها لحصار المدينة واتخذت مواقعها خارج الاسوار في ٦ رجب ٤٩١هـ/٧ يونيه ١٠٩٨م وعلى اثر ذلك تحصن الصليبيون بداخل انطاكية[78] .

محاولة امير الموصل انقاذ انطاكية

وشرع كربوقا في وضع خطة لاقتحام المدينة ، لا سيما بعد ان بلغه ان قلعتها لا تزال في حوزة شمس الدولة بن ياغى سيان ، ويبدو ان كربوقا كان يخشى من تكرار ما حدث من الخيانة ، فأصر على ان تسلم القلعة الى احد نوابه قبل الشروع في مهاجمة الصليبيين ، لانها الموقع الوحيد الذي يمكن لكربوقا ان ينفذ من خلاله الى داخل المدينة فأراد ان تكون تحت

---

(٧٧) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٢٧٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ص٥٨٠ ، النويرى : نهاية الارب جـ٢٦ لوحة ٧٥ ، العينى : عقد الجمان حـ١٥ ص٥٠٣

(٧٨) ابن العديم : زبدة الحلب ص٥٨٢ (المجموعة جـ٣) ، اعمال الفرنجة ص ٧٣

سلطته المباشرة ، ولم يكن شمس الدولة في موقف يسمح له برفض أي طلب لكربوقا فنزل عند رغبته وسلم القلعة لاحمد ابن مروان نائب كربوقا[٧٩] .

وقام الصليبيون ببناء سور يحول دون اتصال حامية القلعة بأستحكامات المدينة ، وحشدوا قواتهم في هذا القطاع باعتباره اكثر مواضع الدفـــاع تعرضا للهجوم ، الا ان هذه الاحتياطات لم تكن حائلا دون اتصال كربوقـا برجاله داخل القلعة ، وقام نائب كربوقا (احمد بن مروان) بسلسلة مـــن الهجمات على القوات الصليبية المرابطة بالقرب من القلعة ، ونجح في الحاق بعض الخسائر بعساكرهم الا انهم ما لبثوا ان ارغموه على التراجع الـــى القلعة ، في نفس الوقت الذي شددت فيه قوات كربوقـا الحصـار حـول المدينة ، وفشل الهجوم المعاكس الذي قام به الصليبيون على تلك القوات وارتدوا الى داخل المدينة[٨٠] ، واستبد الخوف واليأس في قلـوب الغـزاة الذين اصبحوا محاصرين داخل انطاكية ، وعدمت الاقوات عندهم ولم يعـد لديهم ما يأكلونه ، واما الاقوياء فقد تقوتوا بدوابهم ، والضعفاء بالميتـــة ، وورق الشجر[٨١] ، مما حمل بعضهم على الهرب الى ميناء السويدية حيـث كانت توسو بعض السفن الجنوبية التي قامت بنقلهم الى ميناء طرطوس[٨٢]،

---

(٧٩) نفس المصدر : زبدة الحلب ٥٨٣/٥٨٢

(٨٠) اعمال الفرنجة ص٨٦/٨٤

(٨١) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ص٢٧٦ ، العينى : عقد الجمان جـ١٥ص٥٠٣ (مخطوط دار الكتب)

(82) Raymond of Aguilers xl. PP. 256 - 258
Cam. Med. Hist. Vol. 5. P. 292 .
اعمال الفرنجة ص٨٧ ترجمة حسن حبشي ص١٩٥٨ .

ولم يجد الصليبيون امامهم سوى الاستنجاد بالامبراطور البيزنطي الكسيس بعض الخسائر بعساكرهم الا انهم ما لبثوا ان ارغموه لمعى التراجع الى كومنين ، وكان الاخير في طريقه الى انطاكية مخترقا اسيا الصغرى لمشاركة الفرنج في الاستيلاء عليها ، فألتقى ببعض امراء الصليبيين الفارين من انطاكية ومنهم ستيفن بلوا وزميله وليم ستل في منتصف حزيران ١٠٩٨م ، فأخبراه بأن المسلمين قد استردوا انطاكية ، اما بطرس اولب فقد اخبره بانهم في طريقهم الان الى اسيا الصغرى لسحق قوات الامبراطور قبل ان يصل الى انطاكية ، فقرر الكسيس التوقف والارتداد الى بلاده خوفا من وقوع قواته في الكمين اذ كان حرصه على المشاركة في الاستيلاء على المدينة يفوق حرصه على مساعدة الصليبيين[٨٣] .

وبلغ من ضعف الفرنج انهم اخذوا يتسللون من مواقعهم الامامية ليحتموا بمنازل المدينة، بعد ان اخذ كربوقا يشدد الضغط عليهم من الخارج، وقام بهجوم مفاجيء في يوم ٢٢ يونيه ١٠٩٨م وكاد ينجح في الاستيلاء على احد الحصون الواقعة الى الجنوب الغربي من المدينة ، وعلى اثر ذلك أمر بوهيمند باشعال النيران بأطراف المدينة ليرغم الصليبيين على لخروج الى المواقع الامامية القريبة من السور[٨٤] ، وتتيجة لهذه الظروف الحرجة اخذ زعماء الصليبيين يبحثون عن وسيلة لرفع معنوية المقاتلين واعدادهم للدفاع والصمود في وجه كربوقا ، فظهرت قصة الحربة المقدسة ، وغيرها لدى بعض الزعماء الروحيين في الحملة ، فأدعى (بطرس بارثولومبو) انه رأى حربة

---

(83) Anna Comnina : op. cit. P. 349
Guillaume de Tyr : 1. P. 255
رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ج١ ص٣٤٢/٣٤٣

(٨٤) اعمال الفرنجه ص٨٤

السيد المسيح ، مدفونة في كنيسة القديس بطرس ، وان انتصار الصليبيين مرهون بالعثور على هذه الحربة وانه عثر عليها وكان لذلك اعظم الاثر في رفع معنوية الصليبيين ، فأستعادوا الثقة بأنفسهم ، وشرعوا في الاعدادللمعركة الفاصلة مع المسلمين(٨٥) .

وجاء في المصادر العربية ان الصليبيين ارسلوا الى قوام الدولة كربوقا طالبين السماح لهم بالرحيل من انطاكية ، الا ان كربوقا رفض ذلك وأصر على الحرب وقال : « لا تخرجون الا بالسيف »(٨٦) ، اما المصادر الصليبية فقد ذكرت ان الفرنج اوفدوا سفارة الى كربوقا ، حملت اليه عدة مقترحات لانهاء الحرب في انطاكية وذكر فولشر دي شارتر ان الصليبيين طلبوا من كربوقا ان يرفع الحصار عن انطاكية بأعتبارها مدينة مسيحية ، وهددوه بأستئناف الحرب في اليوم التالي اذا لم يقبل الانسحاب ، كما عرضوا عليه ان تكون الحرب بينهم على طريق المبارزة الفردية على ان يخرج خمسة او عشرين او مائة فارس من كل فريق ، ويكون للفريق المنتصر الحق فيحكم انطاكية دون ان يجلب الموت على الجميع(٨٧) ، الا ان كربوقا رفض جميع

Guillaume de Tyr. 1. P. 255

(85) Raymond of Aguilers : x1, P. 65. Anonymous : op.

ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٢٧٧

ذكرت اناكومتينا ان الذى اكتشف الحرب بطرس الناسك . كما انها اعتبرتها (مسمارا) وليست حربة :

(٨٦) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٢٧٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ص٥٨١ ــ ٥٨٢ (المجموعة جـ٣) الحموي : التاريخ المنلفري ص١٨٤ ، مخطوط مكتبة : بلدية الاسكندرية ٢٩٢/ب ، النويري : نهاية الارب جـ٢٦ لوحة ٧٥ مخطوط دار الكتب المصرية ، العيني : عقدالجمان جـ١٥ ص٥٠٣ مخطوط دار الكتب المصرية ، ابن خلدون، العبر جـ٥ ص٢٠ .

(87) Fulcher of chartres : op cit. P. 51

هذه المقترحات وأصر على استسلامهم دون قيد او شرط .

ولم يلبث الخلاف والانقسام ان وجد طريقه بين امراء العساكر في جيش كربوقا في وقت كان المسلمون في أشد الحاجة الى التماسك ومواجهة العدو جبهة واحدة ، ويجمع مؤرخو العرب على توجيه اللوم الى كربوقا الذي كان وراء ما حدث من خلاف وتهاون في الحرب بين زعماء الحلف الذي يتزعمه أمير الموصل . فذكروا انه « اساء السيرة فيمن اجتمع معه من الملوك والامراء المذكورين . وتكبر عليهم فخبثت نياتهم على كربوقا[88] ، واضمروا له في انفسهم الغدر ، اذ كان قتال وعزموا على اسلامه عند المصدوقة »[89] .

والواقع ان كربوقا لا يتحمل وحده مسؤلية ما حدث من تصدع واختلاف بين امراء العساكر ، فمع التسليم بأنه كان قد اصطنع نوعا من الشدة في معاملة عساكره فأن ذلك له ما يبرره اذا نظر الى طبيعة قوات كربوقا التي كانت تضم عناصر مختلفة من العرب والاكراد والتركمان وكان الوضع يقتضي استعمال نوع من الحزم والشدة حفظا للنظام تجاه القيادة العليا ، وسعيا لتوفير الطاعة . والحقيقة ان هناك عوامل اخرى لعبت دورا رئيسيا في تفكك جيش كربوقا وفي مقدمتها النزاع المستحكم بين الملك دقاق صاحب دمشق واخيه الملك رضوان صاحب حلب الذي وقف موقفا سلبيا من الحملة ولم يشارك في حركة الجهاد التي تزعمها صاحب الموصل ، بدأ الخلاف عندما شعر كربوقا بحاجته الى عساكر حلب وعمل على مراسلة

---

(88) ابو الفدا : المختصر جـ٤ ص١٢٥ ، ابن الوردي : تتمة المختصر جـ٢ ص١٥ ، النويري : نهاية الارب جـ٢٦ لوحة ٧٥ ، العيني : عقد الجمان جـ١٥ ص٥٠٣

(89) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٢٧٦

رضوان واقناعه بضرورة الاشتراك في قتال الصليبيين وانقاذ انطاكية ، فأثارت هذه الاتصالات حفيظة الملك دقاق وظن ان هذه الاتصالات ، تستهدفه شخصيا وان هناك مؤامرة تدبر ضده نظرا لما كان يعرفه من اطماع اخيه رضوان في بلاده خاصة بعد ان تبودلت الرسل بين كربوقا ورضوان •

وفي ذلك يقول ابن العديم : « وترادفت رسل رضوان اثناء ذلك الى كربوقا فتوهم دقاق من ذلك »[٩٠] ، ومما زاد في قلق دقاق تعرض بلادالشام في هذه الفترة لهجوم الفاطميين الذين استغلوا فرصة اشتغال السلاجقة في مدافعة الصليبيين في شمال الشام فهاجموا فلسطين وانتزعوا بيت المقدس من سقمان بن ارتق واخيه ايلغازي ، فأظهر دقاق الرغبة في العودة الى بلاده[٩١] • الاوقات حرجا[٩٢] ، ولم يكن الخلاف مقتصرا على رضوان ودقاق ، فهناك عناصر اخرى كان العداء بينها مستحكما ، ولعبت رسالة رضوان دورا خطيرا في اذكاء روح العداء بين الامراء ، فقد خاف جناح الدولة حسين امير حمص من انتقام يوسف ابن أبق امير الرحبة ومنبج فيما اذا انضم رضوان الى جيش كربوقا نظرا لما كان يربط يوسف من علاقات

---

(٩٠) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص١٣٦

(٩١) لم يكد الصليبيون يفرضون حصارهم على انطاكية حتى ارسل الملك الافضل شاهنشاه الوزير الفاطمي ــ سفارة الى الصليبيين في اوائل سنة ١٠٩٨ يعرض عليهم محالفته ضد السلاجقة على ان تكون شمال الشام للفرنج وبيت المقدس للفاطميين ومكث الوفد بضعة اسابيع عاد بعدها الى مصر تصحبهم سفارة صغيرة من الفرنج : رنسيمان : جـ١ ص٣٢٦
Guillaume de Tyr. 1. PP. 191 - 192
عاشور : الناصر صلاحالدين ص٢١ سلسلة اعلام العرب ٤١ مصر ١٩٦٥ اعمال الفرنجة ص٥٩

(92) Grousset : op. cit. 1. P. 84 - 84

وثيقة مع رضوان . وبالاضافة الى هذه الخلافات كانت هناك منافرات بين اصحاب كربوقا وبين اتباع وثاب بن محمود ، وقد القى المؤرخ ابن العديم اللوم على رضوان وحمله مسؤلية ما لحق المعسكر الاسلامي من تصدع ، فقال : « وجرت بين الاتراك والعرب الذين مع وثاب منافرة عادوا لاجلها وتفرق كثير من التركمان بتدبير الملك رضوان ورسالته »[٩٣] .

وامام اصرار كربوقا على استسلام الصليبيين لم يجد هؤلاء بدا من تعبئة قواتهم والاعداد لمعركة فاصلة من المسلمين ، فأصدر بوهيمند اوامره بالخروج من انطاكية يوم ٢٨ يونيه / حزيران ١٠٩٨م/٢٦ من رجب ٤٩١هـ فخرجوا على شكل جماعات صغيرة ، فأشار جماعة من المسلمين من بينهم الامير وثاب بن محمود على كربوقا بألا يسمح للصليبيين بالخروج من المدينة ، وقالوا « ينبغي ان نقف على الباب فنقتل كل من يخرج فأن امرهم الان وهم متفرقون سهل ، فقال لا تفعلوا امهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ، فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين فجاء اليهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم »[٩٤] وكان كربوقا يرى ترك الصليبيين يخرجون من انطاكية حتى يتكامل عددهم وحينئذ ينزل بهم الضربة الحاسمة ، فقد خشى ان يتوقف خروجهم من المدينة اذا ما تعرضت مقدمتهم للهجوم ويعود الموقف الى ما كان عليه وتطول مدة الحصار مما يخلق جوا من القلق والاضطرابات بين عساكره بالاضافة الى احتمال وصول الامدادات للعدو من اوربا او

---

(٩٣) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص١٣٦

(٩٤) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٢٧٧ وانظر كذلك : ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص١٣٦-١٣٧ ، وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢١٦ ، والنويري : نهاية الارب : جـ٢٦ لوحة ٧٥ ، العيني : عقد الجمان جـ١٥ ص٥٠٣

القسطنطينية ، ومع ذلك فأن تصرف كربوقا على النحو الذي عرضناه لا يعفيه من الوقوع في خطأ كبير اذ اضاع على المسلمين فرصة القضاء على العدو وترك الصليبيين يخرجون حتى تكامل حشدهم ولم يبق بأنطاكية منهم سوى ٢٠٠ جندي بقيادة ريموند الصنجيلي ، لمنع حامية القلعة من النزول ومهاجمة قواتهم من الخلف وتذكر المصادر الصليبية ان كربوقا عندما شاهد الفرنج في كل عدتهم ، بعث يطلب التفاوض لعقد هدنة بين الطرفين ، فتجاهلوا رسله ولم يلتفتوا اليهم وواصلوا استعدادهم من اجل القتال[٩٥] ،

والتحم الفريقان في معركة عنيفة وقامت فصائل التركمان برمي العدو بوابل من السهام ولكنهم عجزوا عن صدهم ومنعهم من التقدم ، واضطربت صفوف المسلمين بعد ان قرر عدد من الامراء بزعامة دقاق الانسحاب من المعركة ، ولجأ كربوقا الى اشعال النار في الحشائش الجافة ليمنع الصليبيين من التقدم ، غير ان محاولته لم تغير من سير المعركة ، فحلت الهزيمة بجيشه ، وطارد الصليبيون فلولهم واشترك في المطاردة اهلا لمنطقة من السريان والارمن واستولى الفرنج على ما كان في المعسكر الاسلامي من مؤن ودواب وحبوب[٩٦] ، « ونهبوا من الآلات والخيام والكراع والغلات ما لا يحصى »[٩٧] ، وعاد الصليبيون الى انطاكية وتسلم بوهيمند القلعة من احمد بن مروان وتم بذلك تأسيس الامارة الصليبية الثانية في بلاد الشام[٩٨] ،

---

(٩٥) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص٣٥٢ ، ٣٥٣

(96) Anonymous : op. cit. P. 72. Anna comnena : op. PP. 341 - 350

(٩٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١٣٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص١٣٧

(98) Anna Comnona : op. cit. P. 352

وتذكر المصادرالصليبية ان ابن مروان هذا اعتنق النصرانية وافام بأنطاكية[٩٩] ، واطلق اصحابه وسير معهم من يوصلهم الى اعمال حلب فتعرض لهم الارمن وقبضوا على بعضهم وقتلوا البعض الاخر ، اما كربوقا فقد وصل الى حلب في طريقه الى الموصل ، فخرج اليه الملك رضوان وحمل اليه الخيام والمؤن فأقام اياما وعاد الى بلاده وتفرق الملوك والامراء كل الى بلده[١٠٠] .

واتيح للصليبيين بأستيلائهم على انطاكية تهديد بلاد الشام بأسرها بعد ان ثبتوا اقدامهم في الجزيرة عن طريق الرها ، وبسقوط انطاكية اصبح الطريق امامهم مفتوحا الى بيت المقدس ، فقد كانت انطاكية بالنسبةللصليبيين مفتاح بلاد الشام[١٠١] ، فأعدوا انفسهم لمواجهة الفاطميين في فلسطين ، وامكنهم في يسر الاستيلاء على بيت المقدس ولم يمض عام على سقوط انطاكية .

ومع كل السلبيات التي رافقت حملة كربوقا الا انها كانت في الواقع بمثابة البذور الاولى لحركة الجهاد الاسلامي التي مهدت الطريق للولاة الذين اعقبوه في حكم الموصل لمواصلة المقاومة والعمل على توحيد الجبهة الاسلامية المقاتلة ضد الفرنج . ودخلوا قادة وحلفاء مع القوى الاسلامية المجاورة في معارك ضد الصليبيين اتاحت للمسلمين التحول من مواقعالدفاع الى مراكز الهجوم .

---

(٩٩) اعمال الفرنجة ص٩٥-٩٦

(١٠٠) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص١٣٨ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ٣ ص١٥٤ ، العيني : عقد الجمان جـ١٥ ص٥٠٣

(101) Chaladon : Premiere croisade. P. 181 Anonymous : op. cit. P. 70

وصف المؤرخ السرياني المجهول انطاكية بقوله :
Was the head of All Syria .

(٣)

شمس الدولة جكرمش والحركة الصليبية

استأنفت الموصل حركة المقاومة ضد الصليبيين في اقليم الجزيرة وبلاد الشام بعد توقف استمر بضع سنوات عقب الهزيمة التي منى بها كربوقا امام انطاكية في سنة ٤٩١هـ ، وما تبع ذلك من انصرافه عن حركة الجهاد ، ووضع خدماته تحت تصرف السلطان بركيا روق ، الذي عهد اليه بقمع الحركات والفتن في اقليم اذربيجان ،و قد وفق كربوقا في هذه المهمة الجديدة ولكن المنية ادركته في ذي القعدة من سنة ٤٩٥هـ ، واصبحت الموصل مسرحا للفتن والاضطرابات بسبب التنافس على الحكم بين عدد من الامراء السلاجقة ، وهو تنافس انتهى بفوز جكرمش بمنصب الامارة في الموصل واعمالها بعد سلسلة من المعارك في اواخر سنة ٤٩٥هـ[١٠٢] .

والحقيقة ان السنوات التي تلت سقوط انطاكية بأيدي الفرنج شهدت صراعا عنيفا حول الحكم بين محمد وبركيا روق ولدي ملكشاه ، وخاض الاخوان خلال تلك المرحلة خمس وقائع حربية ، استنفذت جزءا هاما من قوى الدولة السلجوقية ولم ينته ذلك الصراع الا بعد وفاة بركيا روق في عام ٤٩٨هـ واستقر السلطان محمد على العرش السلجوقي[١٠٣] .

---

(١٠٢) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٣٤١–٣٤٢ ، ابو الفدا : المختصر جـ٤ ص١٣٢ ابن خلدون جـ٥ ص٦١–٦٢ ، العيني : عقد الجمان جـ١٠ ص٥٥٣–٥٥٤ .

(١٠٣) ابن القلانسي : ص١٤٧ ، ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٣٨٣ ، ابن الجزري ملخص تاريخ الاسلام ص٤٩٤ ، العيني : عقد الجمان جـ١٥ ص٥٧٤ – ٥٧٥ .

وقد اتاحت هذه الظروف للفرنج ان يمكنوا نفوذهم في بلاد الشـــام والجزيرة ويستولوا على المزيد من المواقع فتطلعوا الى الاستيلاء علــــى حران في عام ٤٩٧هـ ــ ١١٠٤م •

١ ــ موقعة حـــران :

أصبحت حران هدفا لغارات الغزاة في الرها • نظرا لما كانت تتمتع به هذه المدينة من اهمية استراتيجية بالنسبة لهذه الامارة الصليبية • اذ تقــع على مسافة قدرها خمسة وعشرين ميلا ، وكان سقوطها بأيديهم يعني تهيئــة المجال امامهم للتوسع نحو الشرق والسيطرة على اقليم الجزيرة وتهديد امارة الموصل نفسها(١٠٤) ، وما يتبع ذلك من قطع الاتصال بين العراق وبـــلاد الشـــام(١٠٥) •

وادى اضطراب الوضع في حران الى اثارة اطماع الفرنج فتطلع بلدوين امير الرها للاستيلاء عليها ، وكانت حران تخضع لحكم الامير قراجه ــ احد مماليك السلطان ملكشاه ــ وحدث ان غادر المدينة عام ٤٩٦هـ واســتخلف بها احد اتباعه ويدعى محمد الاصبهاني ، فأستغل الاخير فرصة غيابه واعلن العصيان فأعانه في ذلك اهل المدينة بسبب كراهيتهم لقراجــة الــذي عرف بشراسته وسوء سياسته ولم يطل العهد بالاصبهاني ، اذ لم يلبث ان لقـــى مصرعه على يد « جاولي » احد اصحاب قراجة ، وكانت هذه الاحداث حافزا لامير الرها على مهاجمة حران ، يشاركه في ذلك ملوك الفرنج الذين شعروا

(104) C. Oman : Ahistory of the Art of the war in the Middle ages : vol, 1. P. 321 .

(١٠٥) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ٢ ص٧٠
عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص٤٠٤

انذاك بتزايد قوتهم فقرروا التوسع على حساب القوى الاسلامية المجاورة للرها من الجهة الشرقية(١٠٦) ويذكر المؤرخ السرياني المجهول ان ملـوك الفرنج عندما وصلوا الرها اختلفوا فيما بينهم حول اختيار المواقع السلجوقية التي يمكن ان تكون هدفا لهجومهم في هذه الحملة ، فبعضهم رأى مهاجمة ميافارقين وفريق اثر الاستيلاء على امد ، وفريق اخر استهدف نصيبين ، في حين طمع اخرون في الاستيلاء على الموصل(١٠٧) ، وانضم الى امير الرها كل من : جوسلين دي كورتناي صاحب تل باشر ، وبوهيمند امير انطاكيـــة وبصحبته تنكرد ابن اخته وغيرهم من امراء الصليبيين وجمع غفير من رجال الديـــن(١٠٨) .

وبينما كان الصليبيون يحشدون طاقاتهم ويوحدون صفوفهم من اجل الاستيلاء على مزيد من المواقع في المنطقة كانت بلاد الموصل وشمال الجزيرة تشهد هي الاخرى محاولة لتوحيد القوى الاسلامية بغية الوقـوف في وجه العدوان الصليبي(١٠٩) ، اذ لم يكن خافيا مدى الخطر الذي يترتب علـــى نجاح الصليبيين في الاستيلاء على مواقع جديدة شرقي الرها مما يعـرض الموصل نفسها لهجوم صليبي مباشر ، فبدأ شمس الدولة جكرمش يعد نفسه لمواجهة الموقف ، وشرع بالتماس العون من القوى الاسلامية المجاورة في ديار بكر وسعى الى تحسين علاقاته مع سقمان بن ارتق صاحب ماردين وحصن كيفا وأزالة الجفوة بينهما ، مستهدفا القيام بعمل مشترك في سبيل انقـــاذ حران . والواقع ان سقمان بن ارتق اظهر تفهما عميقا للموقف الذي تتعرض

---

(106) Anonymous : op. cit. P. 78
(107) Anonymous : Ibid
(108) Guillaume de Tyr : 1. P. 444
(109) Anonymous : op. cit. PP. 78 - 79

له المنطقة في هذه الظروف ، فلم يتردد في الاستجابة لنداء جكرمش متناسيا ما كان قائما بينهما من خصومات[110] ، ادراكا منه بأن وقوع حران في ايدي الغزاة يعتبر تمهيدا للهجوم على بلاد الجزيرة كلها ، وقد عبر المؤرخ ابن الاثير عن ذلك بقوله : (وكان بينهما حرب ، وسقمان يطالبه بقتل ابن اخيه، وكل منهما يستعد للقاء صاحبه ، ارسل كل منهما الى صاحبه يدعوه لتلافي أمر حران ويعلمه انه بذل نفسه لله تعالى وثوابه فكل واحد منهما اجاب صاحبه الى ما طلب منه)[111] .

وخرج جكرمش على رأس ثلاثة الاف فارس واجتمع بسقمان بن ارتق عند « رأس العين » على الخابور ، وكان سقمان يقود جيشا من سبعة الاف فارس من التركمان[112] ، وكان الصليبيون حينئذ قد فارقوا الرها الى حران ، وانضمت اليهم جماعات كبيرة من الارمن طمعا في الحصول على

---

(110) Grousset : op. cit. vol. 1. P. 405. Oman : op. cit. vol . 1. P. 321 .

(111) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٣٧٤ ، يعود سبب الخلاف بين سقمان بن ارتق وجكرمش الى اتهام الاخير بقتل ياقوش بن ارتق (ابن اخي سقمان) وكان ياقوش هذا قد هاجم اعمال الموصل فتصدى له جكرمش ومات ياقوش متأثرا بسهم اصابه في الحرب ، فطالب سقمان بثأر ابن اخيه ، وسار مع جموع كبيرة من التركمان وحاصر نصيبين وكانت من اعمال الموصل ، فصالحه جكرمش على مبلغ كبير من المال فانسحب سقمان الى بلاده (انظر ابن الاثير ــ الكامل جـ١٠ ص٣٩١ ــ ٣٩٢) .

(112) ابن القلانسي ص١٤٣ ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٣٧٤ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ ص٦ ، العيني : عقد الجمان جـ١٥ ص٥٦٩ (مخطوط)

Grousset : op. cit. 1. P. 405 . Oman : op. cit. 1. P. 321

قدرت المصادر المسيحية قوات المسلمين بثلاثين الف مقاتل (Albert of Aix : P. 615)

الغنائم والاسلاب ، والاسرى من المسلمين[١١٣] ، ويعبر ذلك عن مدى ثقة الارمن بآنتصار الفرنج بعد النجاح الساحق الذي حققه هؤلاء في شمال الشام

اجتاز الفرنج سهل حران ثم اتجهوا شرقا فسلكوا الطريق المحاذي لنهر البليخ[١١٤] حتى بلغوا موضع الذهبانة (Dahbanah) [١١٥] وشرعوا في تعبئة قواتهم للمعركة فأنقسموا الى ثلاثة اقسام تضم فرقا من الفرسان والمشاة ، يقود الاول بوهيمند امير انطاكية ، والثاني يضم قوات الرها وفيه بلدوين وجوسلين ، اما القسم الثالث فكان يتولى قيادته تنكرد[١١٦] ، وكانت خطة الفرنج تقضي بأن تشتبك قوات الرها مع الجيش الاسلامي في حين تختفي قوات بوهيمند وتنكرد وراء تل منخفض على مسافة ميل الى ناحية اليمين ليهاجم المسلمين من وراء ظهورهم اذا اشتدت الحرب[١١٧] .

---

(113) Anonymous : op. cit. P. 79.

(١١٤) نهر البليخ : نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من العيون ، واعظم تلك العيون عين يقال لها الذهبانية في ارض حران ، البغدادي مراصد الاطلاع جـ١ ص٢٢١ .

(115) Anonymous : op. cit. P. 79

(116) Oman : op. cit. 1. P. 321

ذكر المؤرخ السرياني المجهول ان جماعة من اهل حران قدموا الى معسكر بلدوين امير الرها وهو علي حران واعلنوا خضوعهم وولائهم له وقدموا له مفاتيح البلد ودعوة لدخول حران . الا انه امتنع عند ذلك وطلب اليهم العودة الى المدينة حتى يعود اليهم بعد الفراغ من مواجهة المسلمين . وقد علل المؤرخ السرياني موقف بلدوين هذا فقال انه خشى ان ينازعه امراء الفرنج على المدينة كما خاف عليها من التخريب والدمار ، وذكر ان امراء الفرنج انكروا على بلدوين عدم تسلمه البلد وقالوا : كان ينبغي لنا الاستيلاء على المدينة فنودع بها ثقلنا وامتعتنا ومن ثم نستعد للمسير الى قتال المسلمين الذين سيؤثر سقوط حران في معنويتهم Anonymous : P; 79

ولكن لم يرد ما يؤيد هذه الرواية في بقية المصادر الغربية

(١١٧) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٣٧٤

ودارت المعركة على ضفاف نهر البليخ في اليوم التاسع من شعبان سنة ٤٩٧هـ ٧ مارس ١١٠٤م ، ولجأ السلاجقة الى تطبيق اساليبهم المعروفة في الحرب فتظاهروا بالهزيمة ولجأوا الى الفرار ، فأسرعت قوات العدو بمطاردتهم حتى اصبحوا على بعد ١٢ ميلا جنوبي حران ، ثم توقفوا عن المطاردة بعد ان اشرفوا على الموت من شدة التعب(١١٨) ، وكانت هذه هي اللحظة الحاسمة التي ينتظرها المسلمون فأطبقوا عليهم من كل ناحية وامطروهم بوابل من سهامهم(١١٩) واجهزوا على عدد كبير منهم وانهزم الصليبيون هزيمة نكراء(١٢٠) ، ووقع كل من بلدوين الثاني امير الرها وجوسلين امير تل باشر في الاسر فحملا الى خيمة سقمان بن ارتق(١٢١) .

---

(118) Oman : op. cit. 1. P. 321 .

(119) Anonymous : P. 79 .

(١٢٠) الفارقي : تاريخ ميافارقين ص٢٧٤ ، ابن الجزري ، ملخص تاريخ الاسلام ص٤٩٤ (مخطوط) ، (ذكر الفارقي ان المعركة وقعت في سنة ٤٩٩هـ)
Grousset : op. cit. 1. P. 405

(١٢١) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٣٧٤
اختلفت المصادر العربية في تقدير عدد قتلى الفرنج في هذه الموقعة الا انها اوردت ارقاما تبدو مبالغا فيها بعض الشيء ، فقد ذكر ابن الجوزي (في المنتظم جـ٩ ص١٣٧) وابن الاثير (في الكامل جـ١٠ ص٣٧٥) والعيني في عدة الجمان جـ١٥ ص٥٦٩) ان خسائر الفرنج بلغت ١٢ الف قتيل في حين جعل سبط ابن الجوزي (جـ٨ ص٩) وابو المحاسن (في النجوم الزاهرة جـ٥ ص١٨٨) خسائر الفرنج ١٠ الاف قتيل ، اما المصادر المسيحية فذكرت ان مجموع قتلى الفرنج ٥٠٠ رجل Albret de Aix : P. 615 . وهو رقم اقل بكثير من الخسائر الحقيقية في تلك المعركة والتي قد تصل الى بضعة الاف .
العيني : عدة الجمان جـ١٥ ص٥٦٩ Foucher de chartres : op. cit. P. 59
ونذكر بعض المراجع الغربية ان بندكيت اسقف الرها هو الاخر في الاسر مع جوسلين وبلدوين : انظر : Oman : op. cit. 1. P. 322

وحسد عسكر الموصل اصحاب سقمان على ما ظفروا به من الغنائم والاموال • وعز عليهم ان يستأثر هؤلاء بالاسلاب دونهم فطالبوا بنصيبهم من الغنائم ، وعلل احد مؤرخي الغرب سبب حرمان اصحاب جكرمش من الغنائم بانهم كانوا مشتغلين بمطاردة عساكر الفرنج ومراقبة تحركات قوات تنكرد في الوقت الذي كان التركمان من اصحاب سقمان ينقضون على المعسكر الصليبي[122] ، فكان لهذا رد فعل سيء في نفوس قوات الموصل وقد عبروا عن ذلك بقولهم : « أي منزلة تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا »[123] ، واقنعوا جكرمش بأخذ بلدوين الثاني من خيمة سقمان والاحتفاظ به ليحصلوا على فدية تعوض لهم ما فاتهم من الغنائم ، فوافقهم جكرمش على ذلك وارسل بعض رجاله فحملوا بلدوين من خيمة سقمان الارتقي[124] ، الامر الذي اثار التركمان واوشك القتال ان ينشب بين الفريقين ، لولا تدخل سقمان الذي حال دون ذلك حفاظا على وحدة المسلمين وخاطب اصحابه بقوله : « لا يقوم فرح المسلمين في هذه الغزاة بغمهم بأختلافنا ولا اثر شفاء غيظي بشماتة الاعداء بالمسلمين[125] ، وقفل عائدا الى بلاده ومعه اسيره جوسلين ، فتمكن من الاستيلاء في طريقه على عدة قلاع صليبية وتفصيل ذلك ان سقمان لجأ الى حيلة خدع بها الفرنج حين امر رجاله بارتداء ملابس قتلى الصليبيين وحمل اسلحتهم ، فنجح بهذه الوسيلة في ان يستولي بسهولة على عدد من المواقع الصليبية[126] ، اذ

---

(122) Oman : op. cit. 1. P. 323 .

(١٢٣) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٣٧٥

(١٢٤) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، المجلد الاول ورقة ٢١ (ميكروفيلم جامعة الدول العربية)

(١٢٥) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٣٧٥

(126) Grousset : op. cit. P1 . P. 405.

كان الفرنج يخرجون ظنا منهم ان اصحابهم نصروا فيتلقفهم المسلمون بالقتل ويتمكنوا من انتزاع الحصن منهم[١٢٧] اما شمس الدولة جكرمش فقد رحل الى حران ومعه اسيره بلدوين فتسلمها ونصب عليها احد أعوانه نائبا من قبله ، ثم رحل الى الرها ، وانشغل في اثناء زحفه بالاستيلاء على بعض الحصون الصليبية في شبختان الواقعة شرقي الرها[١٢٨] .

ب ـ حصار الرها :

اسرع كل من بوهيمند وتنكرد بعد هزيمتهما في حران بالقفول الى الرها فعملا منذ وصولها اليها على رفع معنوية اهلها وكانوا قد فقدوا معظم جيشهم ووقع اميرهم في الاسر ، فبذلا قصارى جهودهما لاعداد المدينة للدفاع ضد الهجوم الذي كان من المتوقع ان يقوم به صاحب الموصل[١٢٩] ،

وابدى سكان الرها من الارمن تقديرهم لهذين الاميرين ، والتمسوا من تنكرد ان يقبل الوصاية على المدينة ريثما يتم اطلاق سراح بلدوين الثاني من الاسر[١٣٠] ، فأقام تنكرد بالرها في حين قفل الامير بوهيمند عائدا الى انطاكية ليتمكن من مواجهة الخطر الذي احاط بأمارته بسبب الهزيمة التي

---

(١٢٧) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٣٧٥

Matthieu d4 Edesse : op. cit. P. 73

(١٢٨) ذكر المؤرخ السرياني المجهول خطأ ان بلدوين الثاني وجوسلين حملا الى الموصل حيث سجنا هناك

Anonymous : op. cit. P. 80

(129) Grousset : op. cit. 1. P. 407. Setton : op. cit. 1. P. 389
C. Cahen : la Syrie du Nord A. 1. epoque des croisades, v. 1. P. 238 .

(130) Albert d. Aix : p. 616

منى بها الصليبيون في حران[١٣١] .

وكان جكرمش قد سار الى حران فأستولى عليها واناب عنه فيها احد اتباعه ثم واصل تقدمه شمالا نحو الرها ، فتوقف في طريقه مهاجما بعض القلاع الصليبية في شبختان شرقي الرها[١٣٢] ، فأتاح تأخره هذا لتنكرد فرصة اعداد المدينة للدفاع والاستعداد للمعركة . وكان ينبغي على صاحب الموصل الا يترك للعدو فرصة الافاقة من حالة اللاوعي التي اعقبت هزيمته في حران فلا يشغل نفسه بمهاجمة بعض المواقع الصليبية الثانوية التي يتيسر الاستيلاء عليها حتما بعد سقوط الرها . واخيرا وصل جكرمش امام الرها في حزيران ١١٠٤م[١٣٣] ، وادرك تنكرد انه يحتاج الى مساعدة خارجية فأرسل يستنجد ببوهيمند ويستحثه على سرعة الوصول ، واستجاب الاخير لنداء ابن اخته تنكرد على الرغم من الاخطار التي كانت تواجهها انطاكية انذاك ، بسبب تهديد المسلمين لها من ناحية حلب[١٣٤] الا ان تنكرد قرر الخروج فجأة لمهاجمة قوات جكرمش قبل ان تصل قوات بوهيمند الى الرها والجزيرة .

---

(131) Grousset : op. cit. 1. P. 407

ذكر المؤرخ السرياني المجهول ان تنكرد امضى في الرها اياما قليلة حصل خلالها على اموال عظيمة وعدد من الخيول عاد بعدها الى انطاكية بعد ان نصب على الرها احد رجاله ويدعى ريشارد حاكما لعى المدينة .

Anonymous : op. cit. P. 80.

(132) Matthieu d : Edesse : P. 73

(133) Cahen : op : cit. 1. 238

(134) Cahen : op . cit. 1. P. 238

لنجدته ، ففاجأ المعسكر الاسلامي بالهجوم قبل طلوع النهار مستغلا غفلة المسلمين واستغراقهم في النوم ، فجرى اشتباك قصير ، اضطر جكرمش على اثره الى الانسحاب نحو الموصل تاركا للفرنج معسكره بكل ما كان لديه من عدد وآلات[135] •

والواقع ان انتصار المسلمين في حران كان قد ترك اثارا خطيرة على مستقبل الكيان الصليبي في الجزيرة وشمال الشام ، ووضع حدا لاطماع امارة الرها في التوسع شرقا • واصبحت فيما بعد هدفا لعمليات عسكرية اخرى استهدفت القضاء على الوجود الصليبي في هذه المدينة •

وكانت موقعة حران اخر نشاط لامارة الموصل في عهد جكرمش الذي لم يلبث ان عزل من منصبه في سنة ٥٠٠هـ ولقى مصرعه على يد جاولي سقاوة الذي خلفه في حكم الموصل ، واستمر حكمه سنة وبضعة اشهر ، لم يتمكن خلالها من القيام بحملات عسكرية ضد الصليبيين ، بسبب المشاكل التي واجهته خلال حكمه بالموصل ، ثم لم يلبث ان عصى على السلطان محمد، فعزله عن الولاية واقطع البلاد الى الامير مودود بن التونتكين في سنة ٥٠٢هـ •

---

(135) Grousset : op. cit. I. P. 407

الفصل الثانـــي

نضال الموصل ضد الفرنج في الفترة من ٥٠٢ الى ٥٢١هـ

(١)

الاميـــر مـــودود وامـــارة الرهـــا

١ ــ الحملة الاولى : ٥٠٣هـ ــ ١١١٠م :

ابتدأت الموصل بولاية شرف الدين مودود صفحة جديدة في تاريخ الجهاد ضد الفرنج • فقد عرف الامير مودود بتمسكه بفكرة الجهاد الديني، فلم يتردد في بذل العون للقوى الاسلامية المواجهة للفرنج ، وقضى مدةحكمه القصيرة في الموصل في جهاد متواصل ضد الغزاة •

وقد اولى مودود امارة الرها اهتماما خاصا وجعلها هدفا لعملياته العسكرية في اقليم الجزيرة ، لما كان يعلمه من خطورة قيام هذه الامارة الصليبية التي كانت تشكل خطرا كبيرا على خطوط المواصلات بين الموصل وحلب وبين بغداد واسيا الصغرى[1] ، واصبحت مركزا لنشاط الصليبيين ضد سائر بلاد الجزيرة فشملت غاراتهم مدينة امد وماردين ونصيبين والرقة وحران ، فكانت على حد قول فيليب حتى بمثابة اسفين دقة الفرنج بين الشام والعراق[2] •

وجاءت حملة مودود الاولى على الرها (في سنة ٥٠٣هـ ــ ١١١٠م) استجابة لرغبة السلطان محمد في استئناف الجهاد ضد الصليبيين وقد شارك في هذه الحملة من أمراء الاطراف : سكمان القطبي ، أمير خلاط وميا فارقين، ونجمالدين ايلغازي بن ارتق امير ماردين في حشد كبير من التركمان ، وتقدمت هذه القوات بقيادة الامير شرفالدين مودود نحو الرها ، فأطبقت عليها في شوال من سنة ٥٠٣هـ[3] وامام هذا الحشد الاسلامي اضطربلدوين

(1) Stevenspn : op. cit. P. 153

(٢) فيليب حتى ، تاريخ العرب جـ٣ طبعة بيروت ١٩٥٣ص٧٦٢

(٣) ابن العديم زبدة الحلب جـ٢ص١٥٤ ، رنسيمان ، الحروب الصليبية جـ٢ص١٨٧ •

امير الرها الى طلب المساعدة من بلدوين الاول ملك بيت المقدس ، وابدى له ارتيابه من جهة تنكرد متهما اياه بتحريض المسلمين على مهاجمة الرها[٤] ، وكان بلدوين الاول انذاك منصرفا لحصار بيروت ، فلم يتحرك لنجدتـه الا بعد أن تم له الاستيلاء على المدينة (في مايو ١١١٠م) وعندئذ تحركت قواته نحو الرها واشترك معه برترام امير طرابلس على رأس فرقة من الفرسان[٥] وانضم اليهما بالقرب من سميساط بعض زعماء الارمن وعلى رأسهم كـوغ باسـيل[٦] .

وفجأة قرر مودود الانسحاب عن الرها الى حران ، حيث أنضمت اليه عساكر دمشق بقيادة طغتكين ، وكان مودود يهدف من وراء انسحابه الـى حران استدراج الصليبيين بعيدا عن قواعدهم ، ليتمكن من لقائهم في الفضاء الممتد شرقي الفرات فينصب لهم فخا كما حدث في موقعة نهر البليخ عـام ١١٠٤م[٧] .

الا ان بلدوين الاول فطن الى ما يهدف اليه مودود وتوقف عن حصار قلعة شناوه الواقعة شمال شرقي حران ، وقرر توجيه ضربة سريعة بقواتـه قبل ان يتمكن مودود من تنفيذ خطته ، فأرسل الى تنكرد امير انطاكية يطلب

---

(4) Albert d'Aix : P. 670

(٥) صالح بن يحيى ، تاريخ بيروت ص١٨

(6) Albert d'Aix : P. 672

رنسيمان ، الحروب الصليبية ج٢ص١٨٧/١٨٨ ، عاشور ، الحركة الصليبية ج١ص٤٦٥/٤٥٧ (ذكر رنسيمان انه انضمت الى بلدويـن الاول قوات ارمينية ارسلها كواسيل (كونج باسيل) وامير البيرة ، وابو الغريب سيد البهلـوان) .

(7) Cahen : op. cit. PP. 257 - 258
Grousset : op. cit. 1. P. 454 .

اليه الحضور مع عساكره[٨] ، فأسرع الاخير بعبور الفرات في الف وخمسمائة فارس من الفرنج ، وبذل الملك بلدوين الاول جهودا كبرى من اجل تصفية الخلافات بين زعماء الفرنج ليتمكنوا من مواجهة المسلمين في جبهة متحدة[٩] .

غير ان الحلف الفرنجي لم يلبث ان تفرق وظهرت الاحقاد القديمة بين زعماء الجملة واضطر تنكرد الى الانسحاب الى سميساط بعد ان بلغه ان الملك رضوان يستعد لمهاجمة انطاكية ، كما جاءت الانباء الى بلدوين الاول بتحرك القوات الفاطمية من مصر وتهديدهم لبيت المقدس فأضطر الى الانسحاب الى الرها[١٠] ، ولم يعد بوسع بلدوين الثاني امير الرها حماية المناطق الواقعة شرقي الفرات وقرر ان يقصر الحاميات على الرها وسروج وبعض القلاع الصغيرة ونصح السكان النصارى بضرورة الانتقال الى المناطق الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات ، ليكونوا اكثر أمنا واستقرارا[١١] .

وكان مودود انذاك في حران ، فأجتاحت عساكره المزارع والقرى حتى الفرات ، ولما علم بشروع الصليبيين في عبور الفرات ، وتأخر عدد كبير من

---

(8) Anonymous : op. cit. P. 82

(9) Stovonson : op. cit. P. 88. Cahen : op. cit. 1. P. 257
رنسيمان ، الحروب الصليبية ج٢ص١٨٨/١٨٩ ، عاشور ، الحركة الصليبية ج١ ص٤٥٨ . وورد في المصادر السريانية ان الصليبيين اضطروا للتفرق والرحيل بسبب انعدام الاقوات والمؤن لان قوات مودود اتلفت الحرث والنسل ولم يعد هناك ما تتقوت به العساكر والدواب Anonymous : op. cit. P. 82 - 83

(10) Matthiou d'Edesse : p. 93. Cehon : op. cit. 1. 258

(١١) رنسيمان : الحروب الصليبية ج٢ص١٨٩ عاشور : الحركة الصليبية ج١ص٤٥٨ .

الارمن في انتظار دورهم في العبور الى الضفة اليمنى ، بادر بأغتنام هذه الفرصة فشن هجوما مفاجئا على العدو[١٢] ، « وغنم المسلمون سوادهم واثقالهم واتوا على العدد من اتباعهم قتلا واسرا وتغريقا في الفرات وأمتلأت الايدي من الغنائم والاسلاب والسبي والدواب »[١٣] ، في حين كان الجيش الصليبي يشهد الكارثة على الضفة الغربية من الفرات ولا يستطيع تقديم أي مساعدة لتلك الجموع التي اصبحت هدفا لسيوف المسلمين ، فقتل منهم عدة الاف ، وعاد مودود الى حران بعدد كبير من الأسرى وكميات هائلة من الغنائم[١٤] .

كان لازدياد نشاط الصليبيين وتعاظم نفوذهم في بلاد الشام رد فعل عنيف لدى المسلمين الذين عبروا عن استيائهم من اهمال السلطنة السلجوقية والخلافة العباسية في شوال من سنة ٥٠٤هـ وذلك عندما وصل الى بغداد وفد من اهل حلب يستنجد على الصليبيين ، فأرسل السلطان محمد بن ملكشاه الى وفد حلب يطيب نفوسهم ويعدهم بالنهوض معهم للجهاد[١٥] ،

---

(١٢) ذكر المؤرخ السرياني المجهول ان رجلا من الصليبيين اتصل بمودود وحثه على مهاجمة الصليبيين مبررا ذلك بما اعتراهم من الضعف وشدة التعب وعلل المؤرخ ذلك ان الرجل كان على خلاف مع سيده فاراد الانتقام لنفسه بواسطة مودود .

(١٣) ابن القلانسي ص١٧٠ . Cahen : op. cit. 1. P. 258

(14) Matthieu d'Edesse : PP. 93. 94 .
Grousset : op. cit. 1. P. 455

ذكر متى الرهاوي واخذ عنه رنسيمان بان الجموع التى هاجمها مودود كان اغلبها من النساء والاطفال والرجال العزل ، في حين لم يرد في المصادر السريانية المعاصرة للاحداث ما يشير الى ان تلك الجماعات كانت تضم النساء والاطفال بل ورد ان الفرسان كان اول من عبر النهر وبقى المشاة والامتعة : Footmen and bagge
نظر : Anonymous : op. cit. P. 83

(١٥) ابن القلانسي ص١٧٢ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ص٥١

وبعث من دار الخلافة منبرا الى جامع السلطان ، الا ان وفد حلب عاود الاستغاثة في الجمعة التالية فتشدد مع من انضم اليه من اهل بغداد جامع القصر بدار الخلافة ، فحاول الحاجب منعهم من الدخول فلم يفلح ، اذ اقتحموا الجامع وكسروا شباك المقصورة وهجموا على المنبر وكسروه وابطلوا صلاة الجمعة[16] .

وكان بعض اهل حلب قد شكا الى الخليفة المستظهر والسلطان محمد سوء سياسة الملك رضوان فيهم وتقاعسه عن الجهاد وتخاذله امام الفرنج ، وفي هذا الوقت بالذات بلغ الخلاف بين البيزنطيين والصليبيين اشده ، مما دفع الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين الى ان يرسل الى بغداد في جمادي الاخرة من سنة ٥٠٤هـ سفارة محملة بالتحف والهدايا للخليفة والسلطان ، وكان الامبراطور يهدف من وراء ذلك تحريض الخليفة على الفرنج والجد في قتالهم . ويذكر المؤرخ ابن القلانسي ان امبراطور الروم اخبر الخليفة بانه لن يسمح للصليبيين بالعبور الى بلاد المسلمين ، وحذره من مغبة التهاون في أمرهم ، وقال : « فان طمعوا فيها بحيث تتواصل عساكرهم وامدادهم الى البلاد الاسلامية احتاج الى مداراتهم واطلاق عبورهم ومساعدتهم على مقاصدهم واغراضهم »[17] .

استثارت هذه الاحداث المسلمين ضد الخليفة والسلطان محمد وهاج الناس ببغداد وصاحوا في السلطان : « اما تتقي الله تعالى ان يكون ملك

---

(١٦) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٤٨٢ ، اليافعي ، مرآة الجنان جـ٣ ص١٧٢

(١٧) ابن القلانسي ص١٧٣/١٧٤ ، ذكر رنسيمان ان الامبراطور الكسيس اصدر تعليماته الى سفرائه بان يتناقشوا مع السلطات الاسلامية في احتمال القيام بعمل مشترك ضد تنكرد امير انطاكية (جـ٢ ص١٩٦).

الروم اكثر حمية منك للاسلام ، حتى ارسل اليك في جهادهم »[١٨] ، ولم يجد الخليفة بدا من الطلب الى السلطان السلجوقي لتوجيه العساكر الى الشام ، وعلى هذا النحو اصدر السلطان امره الى من معه من الامراء بالعودة الى بلادهم والتجهز للجهاد[١٩] ، وارسل ولده الملك مسعود مع الامير مودود الى الموصل على ان تلحق بهم بقية العساكر من امراء الاطراف ، وقد شارك في هذه الحملة كل من : « سكمان القطبي صاحب ارمينية وبعض ديار بكر ، والاميرين ايلبكي وزنكي ابني برسق صاحب همدان وما جاورها ، والامير احمد يل الكردي صاحب مراغه ، والامير ابو الهيجاء صاحب اربل ، والامير اياز بن ايلغازي صاحب ماردين وغيرهم من الامراء »[٢٠] .

وتحرك المسلمون بقيادة مودود نحو سنجار وتمكنوا في طريقهم من افتتاح عدة حصون للفرنج في شبختان ، ثم بلغوا الرها واحكموا الحصار حولها وعندما احس بلدوين الاول بتحرك مودود نحو امارته شرع في تحصين المدينة وخزن المؤن استعدادا لمقاومة الحصار وادرك مودود ان حصاره للرها لن يكون فعالا في مثل هذه الظروف فآثر الانسحاب الى المدينة الثانية في هذه الامارة الصليبية واعني بها مدينة تل باشر[٢١] ، ودمر المسلمون في طريقهم كل ما صادفوه من ضياع ومزارع للصليبيين ، واقاموا على حصار تل باشر خمسة واربعين يوما[٢٢] وكادوا يسيطرون عليها بحيث عمد صاحبها جوسلين

---

(١٨) ابن الاثير الكامل ج١٠ ص٤٨٣

(١٩) اليافعي ، مرآة الجنان ج٣ ص١٧٣

(٢٠) ابن القلانسي ص١٧٤ ، ابن الاثير ، الكامل ج١٠ ص٤٨٥ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج٨ ص٥٣ .

(٢١) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج٨ ص٥٢ ، اليافعي مرآة الجنان ج٣ ص١٧٧

(٢٢) ابن القلانسي ص١٧٥ ، اليافعي : مرآة الجنان ج٣ ص١٧٧ ، ابن الجزري ملخص تاريخ الاسلام ٥٠٥ هـ . Stevenson : op. cit. P. 81

الى الاتصال بالأمير احمد يل صاحب مراغه وعرض عليه مبلغا من المال لقاء رحيله عن تل باشر ، فأجابه الى ذلك[٢٣] ، فصادف في هذه الاثناء وصول رسل الملك رضوان الى مودود يطلب المساعدة على الفرنج لأنه لم يعد في وسعه الصمود طويلا امام تنكرد ، فاقنع احمد يل الامير مودود بالرحيل عن تل باشر والتوجه نحو حلب لنجدة رضوان[٢٤] .

ولم تكد العساكر الاسلامية تصل الى مشارف حلب حتى فوجىء مودود بتغير موقف رضوان الذي كشف القناع عن وجهه ورفض التعاون معه ضد الفرنج وأظهر انه يخشى خطره اكثر من خشيته خطر تنكرد نفسه[٢٥] . فأغلق ابواب حلب في وجه مودود ، ولم يكتف بذلك بل اتصل بتنكرد وتحالف معه ضد صاحب الموصل وحلفائه[٢٦] ، وعمد الى اخذ رهائن من اهل حلب ووضعهم في قلعتها خوفا من ان يقدموا على تسليم البلد ، « ورتب الجند واحداث الباطنية لحفظ الاسوار ومنع الحلبيين من الصعود الى السور »[٢٧] ، وقد اثار تصرف رضوان هذا استياء اهل حلب بسبب مصالحته لتنكرد ، فأطلقوا السنتهم بالسب له ، واشتد خوفه من اهل حلب وخشي ان يسلموا مدينتهم فأمتنع عن الركوب بينهم وأمر بأغلاق ابواب حلب فظلت مغلقة سبع عشرة ليلة[٢٨] .

---

(٢٣) المصدر السابق ص١٧٥ ، اليافعي ، مرآة الجنان ج٣ص١٧٧

(٢٤) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج٨ص٥٣

(٢٥) رنسيمان الحروب الصليبية ج٢ص١٩٧

Grousset : op. cit. I. P. 464. Sotton : Ahistory of the crusade : vol. I. P. 400

(٢٦) عاشور : الحركة الصليبية ج١ص٤٦٣ . Albert of Aix : p. 682

Grousset . op. cit. I. P. 465

(٢٧) وابن القلانسي ص١٧٥ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج٨ص٥٣

(٢٨) ابن العديم : زبدة الحلب ج٢ص١٥٩/١٦٠

وتحرج موقف مودود وقرر الرحيل عن حلب الى معرة النعمان ، حيث اجتمع هناك بطغتكين صاحب دمشق ، الذي كان يأمل في الحصول على مساعدة مودود لمهاجمة الصليبيين في طرابلس[٢٩] الا ان طغتكين لم يلبث هو الاخر ان خشي من عساكر مودود وخافهم على نفسه ، ويذكر المؤرخ ابن الاثير ان طغتكين اطلع من الامراء على بعض النوايا السيئة في حقه فخاف ان تؤخذ منه دمشق وعندئذ شرع في مهادنة الفرنج سرا[٣٠] ، ويرجع ابن العديم سبب خلاف طغتكين مع امراء العساكر الاسلامية الى سعاية الملك رضوان صاحب حلب الذي راسل الامراء وافسد ما بينه وبينهم فأظهروا نفورهم لاتابك طغتكين ، اما علاقته بمودود صاحب الموصل فقد ظلت ودية « وثبت له مودود ووفى له »[٣١] ، ويضيف سبط ابن الجوزي ان طغتكين لم يلمس عند امراء العساكر الرغبة في قتال الصليبيين ، فلم يرى في نفوسهم جهاد ولا حمية[٣٢] ، وفشل صاحب دمشق في اقناع امراء العساكر بالمسير معه الى طرابلس بالرغم من انه ابدى استعداده لامدادهم بما يحتاجون اليه من المؤن وانزالهم في بلاده اذا ما ادركهم الشتاء ، الا انهم اصروا على التفرق والعودة الى بلادهم واعتبروا ان المجازفة في مهاجمة طرابلس لا يخدم سوى مصلحة طغتكين الشخصية ولم يبق منهم سوى الامير مودود ، فرحلا عن

---

(٢٩) ذكر سبط ابن الجوزي ان المسلمين كاتبوا طغتكين ودعوه للانضمام لهذه الحملة بعد عبورهم الفرات ، كما ان السلطان محمد كتب هو الاخر الى صاحب دمشق يأمره بالمشاركة في حملة مودود ، (مرآة الزمان جـ٨ص٥٢) .

(٣٠) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ص٤٨٧ Grousset : op. cit. 1. P. 467

(٣١) ابن العديم ، زبدة الحلب جـ٢ص١٦٠

(٣٢) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ص٥٣/٥٤

المعرة ونزلا على الضفة الغربية من نهر العاصي[٣٣] . وفي الوقت الذي كان تتفرق فيه العساكر الاسلامية كان الصليبيون يجمعون شملهم ويوحدون صفوفهم لمواجهة المسلمين ، فقرر تنكرد الذي كان يعسكر بقواته امام شيزر الإنسحاب الى افامية ، ومن هناك ارسل الى الملك بلدوين الاول مستنجداً به على المسلمين ، فأستجاب بلدوين لندائه وارسل الى سائر فرسان الصليبيين يأمرهم بضرورة الانضمام الى تنكرد[٣٤] فتتابع وصول الصليبيين من بيت المقدس وطرابلس وانطاكية والرها في نحو ستة عشر الف واتخذوا مواقعهم بالقرب من افامية في الجزء الاوسط من حوض نهر العاصي على الضفة الشرقية ، وقد اتاح لهم هذا الموقع الاشراف على شمال الشام فضلا عن ساحل لبنان وفلسطين[٣٥] .

وقرر مودود التراجع الى مدينة شيزر والتحصن خلف اسوارها[٣٦] فخرج سلطان بن منقذ امير شيزر لاستقبال مودود وحليفه طغتكين ، وحرضهما على الجهاد وهون عليهما امر الفرنج ، وفتح لهما ابواب مدينته وبالغ في خدمتها وامدادهما بما يحتاجون من المؤن ، واصعد مودود وطغتكين مع خواصهما الى حصن شيزر[٣٧] ووضع تحت تصرفهما خمسة الآف رجل من العرب للمساعدة على قتال الفرنج[٣٨] .

---

(٣٣) ابن القلانسي ص١٧٧ ، ابن الاثير الكامل جـ١٠ص٤٨٧ ، سبط ابن الجوزي جـ٨ص٤ ه
Grousset : op. cit. 1. P. 467

(٣٤) رنسيمان : الحروب الصليبية جـ٢ص١٩٨
Fulcher d: chartres : P. 423
Grousset : op. cit. 1. P. 468

(٣٥) عاشور : الحركة الصليبية جـ١ص٣١٧
Grousset : P. cit. 1. P. 469

(٣٦) رنسيمان : الحروب الصليبية جـ٢ص١٩٩

(٣٧) ابن القلانسي ص١٧٧ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ص٤٠ ه

(٣٨) (راجع اسامة بن منقذ) Grousset : op. cit. 1. P. 469 (38)

وتقدم الفرنج بقيادة بلدوين الاول ملك بيت المقدس باتجاه شيزر ونزلوا في مواجهة المدينة شمالي تل ابن معشر ، وادرك مودود انه ليس من مصلحته مواجهة حشود العدو الكبيرة بعد تفرق عساكره ، فلم يحاول الاشتباك في معركة حاسمة واقتصر الامر على بعض المناوشات التي تهدف الى منع الصليبيين من الوصول الى مياه نهر العاصي[٣٩] .

وتشير المصادر العربية الى ان الصليبيين انسحبوا بعد ذلك الى افامية وتتبعهم المسلمون وتخطفوا من ادركوه من عساكرهم . ثم عادوا الى شيزر في ربيع الاول من سنة ٥٠٥هـ حيث رحل مودود الى الموصل[٤٠] ، دون ان يحقق الهدف الذي خرج من اجله في هذه الحملة بسبب الخلافات التي تفشت بين امراء الجيش من جهة وموقف رضوان من جهة اخرى .

ولم يمكث مودود في الموصل سوى بضعة اشهر عاد بعدها الى مهاجمة الرها في ذي القعدة من سنة ٥٠٥هـ ــ صيف عام ١١١٢م ، واقام على حصارها مدة شهرين تقريبا ، دون ان ينال منها غرضا ، فترك جزءا من جيشه على

---

(٣٩) المصدر السابق ص١٧٧ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج٢ ص١٦١
كان سقمان القطبي قد انفصل عن مودود بسبب مرضه وعاد الى بلاده فمات في الطريق قبل وصوله الفرات الامر الذى اثار اطماع الامير احمد يل صاحب مراغه فرغب في العودة لمخاطبة السلطان حول اقطاعه ما كان لسقمان من البلاد ، كما اشتد المرض على الامير برسق بن برسق صاحب همدان فكان يحمل في محفة (ولا يتمكن من قول ولافعل) . سبط ابن الجوزي ابن الجوزي ج٨ص٣٥ ، ابن الاثير الكامل ج١٠ص٤٨٧ ، ابن العديم ج٢ص١٦١ .
(٤٠) ابن القلانسي ص١٧٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج٢ص١٦١ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج٨ص ٤ .
Grousset : op. cit. 1. P. 400
Grousset : op. cit. 1. P. 407

لرها وتوجه الى سروج المركز الصليبي الثاني شرقي الفرات[٤١] ، وهناك تشترت قواته حول الموقع ، دون ان تتخذ حيطتها فاغتنم جوسلين هـذه الفرصة وفاجأهم بالهجوم وانزل بهم الهزيمة ، فاضطر مودود الى التراجع نحو الرها فسبقه جوسلين اليها وانضم الى بلدوين دي بورج للدفـاع عنهـا[٤٢] .

وجاء في الروايات السريانية ان سكان الرها من الارمن في هذه الفترة تبرموا من سوء معاملة الصليبيين لهم وتطلعوا للخلاص من حكمهم ، فعملوا على تدبير مؤامرة ضد بلدوين تهدف الى تسليم الرها الى الامير مودود ، وتضيف هذه المصادر القول بأن الارمن راسلوا مودود واتفقوا على مساعدته في الاستيلاء على احدى القلاع التي تتحكم في القطاع الشمالي من المدينة، ليسهل عليه بعد ذلك اقتحامها ، الا ان وصول جوسلين الى الرها احبـط هذه المؤامرة فأسرع بدخول القلعة المذكورة بعد انْ علم بالخطة ، واجهـز على من وصل اليها من قوات مودود[٤٣] .

جـ ـ الحملة الثالثة : (موقعة الصنبرة) :

لم يكن اهتمام صاحب الموصل بامارة الرها الصليبية يحـول دون مشاركته في عمليات عسكرية اخرى في قلب بلاد الشام . فقد كان مودود منذ عودته الى الموصل يتطلع للقيام بعمل ناجح ضد الصليبيين يحـرز من

(41) Stevenson : op. cit. P. 95

(٤٢) ابن الاثير : الكامل جـ ١ ص ٤٩٢ ، ابن العبري : تاريخ مختصـر الدول ص ١٩٩

(43) Matthieu d'Edosso : P. 101; Michel le Syrien P. Anonymous : op. cit. PP. 83, 84

خلاله نصرا حاسما على العدو بعد ان اخفق في حملته الثانية على الرهـا ، واتيحت له هذه الفرصة في اواخر سنة ٥٠٦هـ ـ ١١١٣م ، عندما استنجد به طغتكين ضد بلدوين الاول ملك بيت المقدس ، الذي اشتبك مع طغتكيـن حول مدينة « صـور » واخذ يشن هجماته على اعمال دمشق « وانقطعت الطريق وقلت الاقوات بها وغلا السعر فيها »[٤٤] ، فلم يكن امام طغتكيـن سوى الاستنجاد بحليفه مودود لما كان يعرفه عنه من حماسه الشديد في جهاد الفرنج ، وما ان تلقى مودود طلب طغتكين حتى اسرع بالخروج مـن الموصل على رأس عساكره وعبر الفرات في ذي القعدة من سنة ٥٠٦هـ ـ مايو ١١١٣م وبصحبته تميرك امير سنجار ، والامير اياز بن ايلغازي[٤٥] .

ولما علم طغتكين بوصول عساكر مودود سارع للقائـه عند « سلمية » الى الجنوب الشرقي من حماه ، واتفقا على مواجهة بلدوين الاول ، فتقدمت جيوشها نحو طبريه المنيعة واحاطت بهـا[٤٦] .

وكان بلدوين الاول مقيما انذاك في عكا ، فلما بلغته الانبـاء بتقـدم المسلمين نحو طبريه استنجد بالقوى الصليبية في المنطقة ، فأسرع لنجدتـه روجر امير انطاكية وبونز امير طرابلس ، الا ان بلغت قواته جسر الصنبرة الى المسلمين قبل ان تصل الامدادات اليه فما ان بلغت قواته جسر السنبرة الى الجنوب الغربي من بحيرة طبريه ، حتى وقعت في الكمين الذي نصبه لهـا مودود وطغتكين ، ودارت بين الفريقين معركة ضارية في ٢٠ يونيه ١١١٣م

---

(٤٤) ابن القلانسي ص١٨٢
(٤٥) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٤٩٠
(٤٦) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ ص٦ .
Grousset, op. cit. 1, P. 469.
العريني : الحركة الصليبية جـ١ ص٣١٩/٣٢٠ .

اواخر ذي القعدة ٥٠٦هـ ، انتهت بهزيمة الصليبيين وقتل عدد كبير من رجالهم[٤٧] ووقع الملك بلدوين نفسه في الاسر دون ان يميز فأخذ سلاحه واطلق سراحه وغرق في بحيرة طبريه ونهر الاردن عدد كبير من الفرنج استولى المسلمون على اموالهم وسلاحهم[٤٨] .

ثم وصلت القوات الصليبية من انطاكية وطرابلس ، الامر الذي اعاد الثقة الى بلدوين الاول وقرر استئناف القتال ومع ذلك فقد التزم جانب الحيطة والحذر حتى لا تتكرر الهزيمة فأثر الانسحاب بعسكره الى جبل يقع غربي طبريه تحصن به لصعوبة مرتقاه[٤٩] وظل الفرنج قابعين فوق ذلك الجبل مدة ستة وعشرين يوما • والمسلمون بأزائهم يرمون بالنشاب فيصيبون من يقترب منهم ، كما منعوا الميرة عنهم علهم يخرجون الى قتالهم ولكن الفرنج ادركوا ما رمى اليه المسلمون فأمتنعوا عن الخروج[٥٠] .

وقد اتاح الوضع المتحرج الذي وضع الفرنج فيه انفسهم الحرية لمودود في شن هجماته على المراكز والقلاع الصليبية المنتشرة في اقليم الجليل • فوصلت غاراته الى بيسان وخرب البلاد الواقعة ما بين عكا والقدس، ثم قرر مودود وطغتكين التوقف عن القتال والعودة الى دمشق على امل

---

(٤٧) ابن القلانسي ص١٨٥ ، قدر ابن القلانسي عدد قتلى الفرنج بالفي قتيل اما جروسيه فذكر ان خسائر الصليبيين بلغت ١٢٠٠ من المشاة وبعض الفرسان بالاضافة الى من غرق منهم في نهر الاردن وبحيرة طبرية
Grousset : op. cit. 1. P. 470
Smail : Crusading warfare : p. 55

(٤٨) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ص٤٩٦ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ص٦٠

(٤٩) ابن القلانسي ص١٨٥ ، ابن الاثير : الكامل جـ١٠ص٤٩٦ .

(٥٠) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ص١٩٦ ، الذهبي ، العبر جـ٤ص١٢

الاجتماع في الربيع القادم لاستئناف الجهاد . فدخلا دمشق في الحادي والعشرين من شهر ربيع الاول من سنة ٥٠٧هـ[٥١] .

ولكن معركة الصنبرة كانت اخر المعارك التي خاضها امير الموصل ضد الصليبيين فكانت نهايته على يد مجهول عندما دخل للصلاة بجامع دمشق في ربيع الاخر سنة ٥٠٧هـ ــ ١١١٣م[٥٢] .

(٢)

حركة النضال بعد مصرع مودود

ا ــ حملة البرسقي على الرها سنة ٥٠٨هـ :

اقطع السلطان محمد ولاية الموصل واعمالها بعد مصرع مودود في اواخر سنة ٥٠٧هـ الى الامير اقسنقر البرسقي ، وعهد اليه بمواصلة الجهاد ضد الصليبيين[٥٣] فمضى البرسقي الى الموصل واقام بها فترة زمنية قصيرة اجتمعت لديه خلالها العساكر من الاطراف ، ثم رحل نحو الجزيرة مستهدفا اخضاع الامارات الإسلامية المجاورة وتمكين نفوذه فيها قبل الشروع في مهاجمة الفرنج ، فسار نحو جزيرة ابن عمر وتسلمها من نائب مودود ثم واصل السير الى ماردين فتمكن من اخضاع اميرها ايلغازي بن

---

(٥١) ابن القلانسي ص١٨٦ ، ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٤٩٦ ، ابو الفدا المختصر جـ٤ ص١٤٥ Conder : op. cit. P. 88

(٥٢) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٤٩٧ ، ابن الوردي : تتمة المختصر جـ٢ ص ٣١ ابن الجزري ، ملخص تاريخ الاسلام ص٥٠٧هـ

(٥٣) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص١٤ ، ابو الفدا ، المختصر جـ٤ ص١٤٦ ، ١٤٨ ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص١٧٨ Anonymous : op. cit. P. 86
ذكر ابن الاثير في الباهر (ص١٩) واخذ عنه ابو شامة في الروضتين ان السلطان اقطع الموصل بعد مصرع مودود الى الامير جيوش بك الا انه عاد وصحح الخطأ في كتابه الكامل حيث ذكر ان السلطان اقطع الموصل وما كان بيد البرسقي للامير جيوش بك

ارتق الذي ارسل ولده اياز مع عساكر ماردين ليشارك في الجهاد ضد الفرنج وبذلك تجمع لدى البرسقي خمسة عشر الف فارس[٥٤] ، وكان الهدف الرئيسي من هذه الحملة الإستيلاء على امارة الرها التي كانت تشكل خطرا كبيرا على حركة الجهاد الاسلامي ، فبدأ البرسقي بحصارها في ذي الحجة من سنة ٥٠٨هـ ـ ربيع عام ١١١٤م ، ولكن الفرنج استطاعوا الصمود في وجه البرسقي ومقاومة الحصار الذي دام اكثر من شهرين[٥٥] ، فأضطر الى رفع الحصار ومهاجمة المراكز الصليبية المحيطة بالرها وسروج وسميساط في نفس الوقت الذي أعلن فيه حاكم كيسوم ورعبان تبعيته للبرسقي[٥٦] .

واقدم البرسقي على سجن اياز بن ايلغازي متذرعا بعدم حضور ابيه للجهاد وهاجم ماردين فأدى ذلك الى اتفاق ايلغازي وداود بن سقمان صاحب حصن كيفا على قتاله فأنزلا الهزيمة بعساكره وارغماه على العودة الى الموصل[٥٧] ، وادى فشل البرسقي في الاستيلاء على الرها وهزيمته امام ايلغازي الى عزله عن منصبه في الموصل فخلفه الامير جيوش بك الذي

---

(٥٤) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ص١٠ ، ابو شامة الروضتين جـ١ص٦٩

(55) Matthieu d'edesse : pp. 282 - 283

Anonymous : op. cit. P. 86

(٥٦) انتقل حكم كيسوم ورعبان بعد وفاة كواسيل (كونغ باسيل) في سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م الى ارملته وابنهما بالتبنى (دغا باسيل) ويبدو انهما كانا يخشيان تنكرد امير انطاكية الذى طمع في الاستيلاء على بلادهما . فالتجآ الى البرسقى طلبا للحماية واعترافا بتبعيتهما له فوافق امير الموصل على ذلك وفرض عليها جزية سنوية (رنسيمان الحروب الصليبية جـ٢ص١٠٩ ، ٢١٠/١ ، العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية جـ١ص٤٦٥ ، عاشور : الحركة الصليبية جـ١ص٤٧٢)

(٥٧) ابن الاثير : الكامل جـ١ص٥١٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص١٧٨ ، ابن خلدون جـ٥ص٩٠

استمرت ولايته من سنة ٥٠٩هـ الى سنة ٥١٥هـ ، اسهمت امارة الموصل خلالها في الجهاد ضد الصليبيين بمشاركتها في الحملة التي انفذها السلطان محمد الى الشام عام ٥٠٩هـ ـ ١١١٥م بقيادة برسق بن برسق صاحب همدان .

ب ـ اشتراك جيوشها في حملة برسق بن برسق على الصليبيين سنة ٥٠٩هـ :

كانت سياسة السلطان محمد تستهدف احراز نصر حاسم على الفرنج وقد اتضح للسلطان بعد الفشل الذي تعرضت له حملاته على الشام اهمية توحيد الجبهة الاسلامية قبل المضي في قتال الفرنج ، وتبين له ضرورة بسط سلطانه على سائر الامارات في الجزيرة والشام وهي امارات استغلت فرصة انشغال السلاجقة بالحروب مع الصليبيين فقطعت صلتها جميعا بالسلطنة السلجوقية ، باستثناء بنو منقذ في شيزر الذي تعرضوا لتهديد الفرنج بانطاكية ، وقيرخان بن قراجا امير حمص الذي كان يسعى الى انتزاع حماه من طغتكين(٥٨) ، فوقع اختيار السلطان على الامير برسق بن برسق لتنفيذ هذه المهمة والتفرغ لقتال الفرنج(٥٩) .

---

(٥٨) اسامة بن منقذ ، الاعتبار ص١١٥ ، رنسيمان ، الحروب الصليبية ج٢ص٢١٢ ، عاشور ، الحركة الصليبية ج١ص٤٢٩

(٥٩) ورد التاريخ السرياني المجهول ان هذه الحملة كانت بقيادة البرسقي ويبدو أن المؤرخ السرياني لم يفرق بين برسق وبين اقسنقر البرسقي فوقع في هذا الخطأ ، في عدة مواضع من مؤلفه : انظر
Anonymous : op. cit. P. 86 - 96

خرج الامير برسق في مقدمة عساكره الى الشام مزورا بالموصل ، حيث انضم اليه جكرمش وتميرك صاحب سنجار بقواتهما ، فعبروا الفرات قاصدين حلب ، وكان برسق يريد اتخاذها قاعدة لحروبه في الشام فراسل لؤلؤ الخادم وشمس الخواص يطلب اليهما تسليم حلب ، فأمتنعا عن الاجابة واسرعا بطلب المساعدة من طغتكين وايلغازي ، فتقدما على رأس الفي فارس ، ودخلا حلب ، وتحصنت قواتهما بداخلها واعلنت خروجها عن طاعة السلطان[٦٠] ، وفي نفس الوقت وضع روجر الانطاكي قواته على نهر العاصي على اهبة الاستعداد للدفاع عن انطاكية اذا ما تعرضت للهجوم من جانب المسلمين ولمراقبة ما يستجد من احداث بين حلب وعسكر السلطان ، فبادر شمس الخواص وحليفاه طغتكين وايلغازي الى الاتصال بصاحب انطاكية للاتفاق معه على مواجهة القوات القادمة من العراق ، فأنضم اليهم واحتشدت قواتهم عند افاميه[٦١] ، فأضطر برسق بسبب هذه المواجهة الى تغيير خطته وقرر مهاجمة حماه التابعة لطغتكين واستولي عليها بالقوة وسلمها الى حليفه قيرخان امير حمص ، تنفيذا لامر السلطان محمد الذي ينص على تسليمه كل بلد يفتحونه ، وكان لذلك اسوأ الاثر ، في نفوس الامراء فثقل عليهم ذلك وفتر حماسهم وافسدت نواياهم في القتال[٦٢] .

ووصل في هذه الاثناء الملك بلدوين الأول والامير بونز وانضما الى روجر الانطاكي وحلفائه ، وعندئذ قرر برسق التوجه الى شيزر وشن من

---

(٦٠) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٥٠٩

(٦١) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ص١٢٠ ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٥٠٩ ذكرت الروايات الصليبية ان روجر الانطاكى هو الذى بدأ الاتصال بالمسلمين وعرض عليهم التحالف ضد عسكر السلطان .

(٦٢) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٥٠٩/٥١٠

هناك غاراته على كفر طاب ، ثم تظاهر بالانسحاب نحو الجزيرة ، فظـــن بلدوين وبونز ان الخطر قد زال ، فعادا الى بلادهما ، كما انسحبت قـوات حلب ودمشق ونجحت خطة برسق فعاد فجأة الى كفر طاب وتمكن بعدمعركة عنيفة مع حامية المدينة من الاستيلاء عليها في أوائـل شـهر سبتمبر سـنة ١١١٥م ــ ٥٠٩هـ ، ثم تنازل برسق عن كفر طاب الى حلفائه بني منقذ(٦٣)، وتقدم بعد ذلك الى معرة النعمان استعدادا للاستيلاء علـى قلعة (بزردنا) القريبة من حلب ، في نفس الوقت الذي سمح فيه لجيوش بك بالسير فـي قوة كبيرة الى حلب ، الامر الذي يعرض سلامة جيشه في هذه المنطقـة للخطـــر .

وتختلف الروايات حول حقيقة المهمة التي كلف بها صاحب الموصـل انذاك . فرواية اسامة بن منقذ تشير الى ان لؤلؤ الخادم ارسل الى الاميـر برسق بن برسق يطالب اليه ان يرسل أحد امرائه ليسلم اليه حلب ، علـى ان يكون معه جماعة من العسكر ليأمن جانب الحلبيين خوفـا من معارضتهم تسليم المدينة الى عسكر السلطان(٦٤) .

اما بن العديم فيذكر ان شمس الخواص ارسـل الى برسق رسـولا يستدعيه لتسلم (بزاغه) وهي من اعمال حلب ويخبره بانه مقبوض عليـه لدى لؤلؤ الخادم وان الاخير يكشف اخبار العساكر ويطالع بها الفرنج(٦٥)، وتتفق هذه الرواية مع ما ذكره ابن الاثير من ان جيوش بك انسحب بعـد الاستيلاء على كفر طاب الى وادي بزاغه وملكه(٦٦) ، والواقع ان هذهالعملية

---

(٦٣) اسامة بن منقذ ، الاعتبار ص٧٣/٧٤ Grousset : op. cit. 1. P. 504

(٦٤) اسامة بن منقذ ، الاعتبار ص٧٦

(٦٥) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ص١٧٥

(٦٦) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ص٥١

كانت في حقيقتها مؤامرة دبرها لؤلؤ الخادم بالاتفاق مع حليفه روجر الانطاكي من اهدافها ان يقوم روجر بمهاجمة برسق وانزال الهزيمة بمن بقي معه من الجند[٦٧] ، وكان الامير بلدوين دي بورج صاحب الرها قد انضم الى امير انطاكية فما كاد برسق يعسكر غربي سرمين ـ عند تل دانيث ـ حتى فاجأته القوات الصليبية بهجوم اوقع الاضطراب بين صفوفه ، فانهزم عسكره ، وقتل عدد كبير منهم ، وكان امير سنجار قد نجح في بادىء الامر في صد هجوم الفرنج ، الا ان وصول الامدادات من حارم بدل الموقف ، فأحاط الصليبيون بقوات سنجار وتمت الهزيمة[٦٨] .

وبلغ جيوش بك نبأ هزيمة برسق ، فقفل عائدا الى الموصل ولم يشترك بعد ذلك في اية حملة للجهاد ضد الصليبيين وكانت حملة برسق هذه اخر محاولة فعلية في الجهاد الذي تزعمه السلطان محمد بن ملكشاه اذ لم يلبث ان توفى في ذي الحجة من سنة ٥١١هـ وخلفه ولده محمود على عرش السلاجقة[٦٩] .

هـ ـ عودة البرسقي الى ولاية الموصل واستيلائه على حلب في سنة ٥١٨هـ:

اقطع السلطان محمود بن محمد ولاية الموصل واعمالها الى الامير اقسنقر البرسقي في صفر من عام ٥١٥هـ ، وكتب الى سائر الامراء بطاعته، وأمره بمجاهدة الفرنج واسترجاع البلاد منهم[٧٠] .

---

(67) Groussét : op. cit. 1. P. 505

محمد الشيخ : الجهاد المقدس ص٢٠٦/٢٥٧

(68) Anonymous : op. cit. P. 86

رنسيمان ، الحروب الصليبية ج٢ص٢١٤/٢١٥

عاشور : الحركة الصليبية ج١ص٣٣١ - ٣٣٢

(٦٩) ابن الاثير : الكامل ج١٠ص٥٢٥ ، الحموى : التاريخ المظفرى ص ١٨٦ (مخطوط)

(٧٠) نفس المصدر : الكامل ج١٠ص٥٨٨ ، ابو الفدا المختصر ج٢ص١٥٥

وبدأ نشاط البرسقي ضد الفرنج في سنة ٥١٨هـ عقب اعفائه من شحنكية العراق وعودته الى الموصل ، وكانت حلب في هذه الفترة تتعرض لاخطار خارجية نتيجة مصرع بلك بن بهرام في سنة ٥١٨هـ(٧١) ، وانتقال الحكم الى حسام الدين تمرتاش ، فغدت هدفا لاطماع بعض العناصر الاسلامية وفي مقدمتها دبيس بن صدقة ، الذي كان قد التجأ الى الجزيرة بعد ان هزمته قوات البرسقي والخليفة العباسي في سنة ٥١٧هـ(٧٢) ، فوفد على سالم بن مالك في قلعة جعبر وشرع في مكاتبة اهل حلب محاولا كسب العناصر الموالية له في المدينة الا ان امر هذه المكاتبات انكشف امام حسام الدين تمرتاش فقبض على تلك العناصر وسجن بعضهم واعدم البعض الاخر(٧٣) ، وقد اثارت محاولات دبيس هذه مخاوف تمرتاش فخشى من احتمال قيام دبيس بمحاولة جديدة للاستيلاء على حلب بمساعدة الصليبيين الذين كانوا يخططون لانقاذ بلدوين الثاني ملك بيت المقدس من سجنه في قلعة حلب(٧٤) فشرع تمرتاش في تحسين علاقاته بالفرنج ووافق على اطلاق سراح بلدوين الثاني ، ليكسب بذلك صداقته ويضمن مساعدته ضد دبيس بن صدقة ، وتعهد

---

(٧١) لقى بهرام بن بلك مصرعه على اثر سهم اصابة وهو يحاصر قلعة منبج (ابن العديم ، زبدة الحلب جـ٢ص٢١٨/٢١٩)

(٧٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ٩ص٢٤٢/٢٤٣ ، ابو شامة الروضتين جـ١ ص٧٣ـ٧٤ ، العيني : عقد الجمان جـ١٥ص٨٠٨/٨١٠ ، تاريخ الدولة العباسية ـ مجهول ـ ورقة ١١٣

(٧٣) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ص٢٢١/٢٢٢

(٧٤) كان بلدوين الثاني قد وقع اسيرا في قبضة بلك بن بهرام في نيسان من عام ١١٢٣م ، ٥١٧هـ فسجنه في قلعة حران ثم نقله فيما بعد الى حلب وسجنه في قلعتها :
(Anonymous : P. 91)

بلدوين بدفع فدية كبيرة من المال[٧٥] واعادة بعض القلاع الى حلب وتضم كفر طاب واعزاز والاثارب وزردنا ، كما نص الاتفاق ايضا على قيام بلدوين الثاني بمساعدة صاحب حلب ضد دبيس من صدقة[٧٦] ، الا ان بلدوين الثاني لم يستطع الوفاء بالتزاماته تجاه صاحب حلب بسبب معارضة برنارد دي فالنس بطريرك انطاكية الذي انكر عليه اعادة القلاع الى حسام الدين تمرتاش ، باعتبار ان بلدوين وصيا على امارة انطاكية ولا يملك حق التنازل عن شيء من املاكها ثمنا لحريته[٧٧] فأرسل بلدوين الى تمرتاش يسأله التنازل عن هذا الشرط لعجزه عن الوفاء به وظلت المفاوضات متصلة بينهما دون ان يصلا الى نتيجة ، وكان مما يزعج الصليبيين ويقلقهم مصير الرهائن الذين يحتفظ بهم صاحب حلب ومن بينهم ابنة بلدوين نفسه وهي طفلة في الخامسة من عمرها ، وجوسلين الثاني بن جوسلين دي كورتناي امير الرها وعشرة من شباب الصليبيين[٧٨] ، وفي هذه الاثناء بدأ دبيس بن صدقه بمراسلة الصليبيين لمساعدته في الاستيلاء على حلب على ان ينوب عنهم في حكمها وحرضهم على مهاجمتها[٧٩] .

---

(٧٥) كانت الفدية ثمانين الف دينار او (١٠٠ الف بيزانت) يدفع عشرون الف دينار منها مقدما ، وقد لعب امير شيزر (سلطان بن منقذ) دورا كبيرا في الاتفاق الذي تم بين بلدوين وصاحب حلب .
اسامة بن منقذ ، الاعتبار ص١٢٠. Grousset : op. cit. P. 623

(٧٦) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص٢٢٣

(77) Matthiou d'Edesse : PP. 312 - 313

(٧٨) اسامة بن منقذ ، الاعتبار ص١٠٣
Grousset : op. cit. 1. P. 624

(٧٩) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان جـ٨ ص٦٩

ولقيت دعوة دبيس ترحيبا بالغا من الفرنج . واظهروا حماسا كبيرا للمشاركة في الاستيلاء على حلب ، فيحققوا بذلك هدفين في آن واحد ، الاول اضعاف القوى الاسلامية في المنطقة ، وتمزيق وحدة المسلمين وغرس بذور الحقد والعداء بينهم والثاني : استغلال هذه الحملة كوسيلة ضغط لارغام تمرتاش على اطلاق سراح الرهائن الذين يحتفظ بهم في شيزر ، ويبدو ان تمرتاش احس بنوايا الفرنج واتفاقهم مع خصمه دبيس ، فرحل الى ماردين في ٢٠ رجب عام ٥١٨هـ ليلتمس عون اخيه سليمان بن ايلغازي تاركا لنوابه امر الدفاع عن المدينة[٨٠] ، وواجهت حلب حلفا ضم الملك بلدوين الثاني ، وجوسلين دي كورتناي ، ودبيس بن صدقه ومعه سلطان شاه بن رضوان وسالم بن مالك صاحب قلعة جعبر ، وقد اتفقت الاطراف المعنية على ان تكون مدينة حلب لسلطان شاه لانها كانت ملك ابيه رضوان بن تتش[٨١] ، فرحلوا

---

(٨٠) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص٢٢٥ ، وذكر ابن العديم في بقية الطلب ان تمرتاش غادر حلب بعد ان خبر وفاة اخيه سليمان صاحب ميافارقين وماردين فاستغل بلدوين غيابه عن حلب ونكث بالهدنة القائمة بينهما وهذه الرواية تتنافس مع ما ذكره المؤرخ نفسه في زبدة الحلب ، حيث ذكر ان سليمان هذا توفى في رمضان سنة ٥١٨هـ في حين جعل رحيل تمرتاش عن حلب في ٢٥ رجب سنة ٥١٨ اي انه ادرك اخاه قبل وفاته بأكثر من شهر ، كما ان وصول الحلفاء الى حلب تم في شعبان وهذا دليل على انه رحل من اجل الحصول على مساعدة اخيه سليمان (منتخبات من بغية الطلب ص٧١٧ ـ مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية) .

(٨١) ابن العديم : بغية الطلب ص٧١٧ ، كان اشتراك سلطان شاه بن الملك رضوان في هذه الحملة دليلا قاطعا على ان الحلفاء وعدوه بتسليمه حلب التي عزلته الاراتقة عن حكمها وانزلوه حران ، وقد استبعدنا رواية المؤرخ نفسه في (زبدة الحلب) والتي يذكر فيها ان الفرنج وعدوا دبيس بأعطائه حلب لان ذلك يتناقض مع واقع الحال ومع

....

عن انطاكية في اتجاه حلب ثم احاطوا بالمدينة أواخر اكتوبـر ١١٢٤م ـ ٢٦ شعبان ٥١٨هـ[٨٢] ، فأتخذت قوات بلدوين مواضعها في الجانب الغربي في حين نزل جوسلين بالجانب الشرقي ويليه دبيس وسلطان شاه بن رضـوان ومن معهما[٨٣] ، واعدوا انفسهم لحصار طويل وعزموا على مواصلة الحصار حتى تسقط في ايديهم ، فبنوا الدور لحمايتهم من البرد والحر[٨٤] ، واستغل الصليبيون فرصة إشتراكهم في الحصار واساءوا التصرف ، فقطعوا الشجر ونبشوا قبور موتى المسلمين وحملوا توابيتهم الى معسكرهم واتخذوا منها اوعية لطعامهم ، وسلبوا الاكفان وعمدوا الى من كان من الموتى لم تنقطـع اوصاله فربطوا في ارجلهم الحبال وسحبوهم مقابل المسلمين ، فضاق الامر بأهل حلب فكانوا ينادون دبيس من الاسوار : « دبيـس يا نحيس »[٨٥]

إشتراك صاحب حلب الشرعي ضمن هذه الحملة .
(انظر : زبدة الحلب جـ٢ ص٢٢٦) .
ابن الشحنة : الدر المنتخب ص٨٢ وذكر المؤرخ السرياني المجهول ان دبيسا قدم الى انطاكية وانحاز الى الفرنج وخرج معهم لحصـار حلب ، كما ان المؤرخ ابن الشحنة يذكر ان دبيس والفرنج خرجـوا من انطاكية لمهاجمة حلب اما ابن العديم فيذكر ان الملك بلدوين قدم من ارتاح ، ولحق به دبيس وجوسلين من تل باشر (زبدة الحلب ، جـ٢ ص٢٢٣) .

(82) Anonymous : op. cit. P. 96

(٨٣) ابن الشحنة : الدر المنتخب ص٨٢ ، ويذكر ابن الشحنة ان صاحب بالس اشترا مع دبيس وحلفائه في حصار انطاكية وكانت هناك مائة خيمة للمسلمين ومائتين للفرنج .
Grousset : op. cit. P. 627. Setton : op. cit. 1. PP. 423-424

(٨٤) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٦٢٣

(٨٥) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص٢٢٤ ـ ٢٢٠ .

وعانى الحلبيون من شدة الحصار ، فقرروا ايفاد جماعة منهم الى ماردين ليستحثوا تمرتاش على سرعة الوصول ، فقابلوا تمرتاش واخبروه بما حل بأهل حلب من الخطوب والمحن وما هم فيه من ضيق ، فوعدهم بالمضي معهم الى حلب ودفع الفرنج عنها وظلوا يطالبونه بالوفاء بوعده وهو يطاولهم وفي النهاية قال لهم « خلوهم اذا اخذوا حلب عدت واخذتها »[86]. ولما رأى الوفد تقاعس تمرتاش عن نصرتهم قرروا الرحيل عن ماردين سرا والتوجه الى الموصل لطلب المساعدة من الامير اقسنقر البرسقي[87] وكان صاحب الموصل حينئذ مريضا ، فسمح للحلبيين بمقابلته فذكروا ما نزل بهم من شدة الحصار ، وسألوه الخروج للدفاع عن حلب ، فوعدهم بالمساعدة حين يشفى من مرضه ، ولم تمض سوى ثلاثة أيام حتى شرع البرسقي في التأهب والاستعداد للتوجه نحو حلب فسار في مقدمة جيشه وعبر الفرات وتوقف عند الرحبة حيث انضم اليه كل من طغتكين صاحب دمشق وصمصام الدين خيرخان بن قراجا صاحب حمص واستأنفوا مسيرهم نحو حلب فوصلوها يوم الخميس ٢٢ من ذي الحجة ٥١٨هـ[88] ، كانون الثاني سنة ١١٢٥م ، وادى ظهور هذه القوة امام حلب الى تداعي حلف بلدوين ودبيس حيث انسحب الاخير نحو الشرق فأحتمى بالملك طغرل وحرضه على مهاجمة

---

(٨٦) ابن العديم : منتخبات من بغية الطلب ص٧١٩–٧٢٠ (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية جـ٣).

(٨٧) نفس المصدر : منتخبات من بغية الطلب ص٧٢٠.

(٨٨) ابن القلانسي ص٢١١–٢١٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص٢٢٩ ، ابو الفدا : المختصر جـ٤ ص١٥٩ ، ذكر المؤرخ السرياني المجهول ان دبيس بن صدقة قد عرض على الفرنج ان يسير الى الفرات ليمنع البرسقي من العبور حتى يتم لهم الاستيلاء على حلب الا انهم رفضوا ذلك :

Anonymcus ; op. cit. P. 96.

العراق[٨٩] وتقهقر الملك بلدوين الى بيت المقدس ، ونهب المسلمون خيام الفرنج بالذين كانوا قد انسحبوا بعد وصول البرسقي الى جبل الجوشن ، ثم رحلوا عنه بعد ذلك ودخل البرسقي مدينة حلب وتسلم القلعة[٩٠] وجمع بذلك الموصل وحلب تحت حكمه فكان لهذه الوحدة اثرها الكبيرة على مستقبل الامارات الصليبية في شمال الشام والجزيرة[٩١] .

د ـ عودة البرسقي للجهاد وهزيمته امام الفرنج :

لم يلبث البرسقي ان عاد الى الشام في العالم التالي (سنة ٥١٩هـ) ليواصل جهاده ضد قوى الصليبيين وعند وصوله الى « تل السلطان » انضم اليه صمصام الدين خيرخان صاحب حمص ، فرافقه الى « شيزر » حيث رحب به اميرها سلطان ابن منقذ ، وسلمه رهائن الصليبيين ومن بينهم ابنة الملك بلدوين الثاني وجوسلين الثاني بن جوسلين دي كورتناي أمير الرها[٩٢] ، ثم واصل تقدمه حتى بلغ « حماه » حيث قدم اليه طغتكين اتابك صاحب امارة انطاكية فهاجم كفر طاب واستولى عليها في مايو سنة ١١٢٥ ـ ٥١٩هـ

---

(٨٩) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٦٢٦

(٩٠) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص٢٢٩ ، الحموي : التاريخ المظفري ص١٨٧ (مخطوط) ، ذكر ان الحصار كان في سنة ٥١٩هـ
ذكر المؤرخ السرياني المجهول ان مدة حصار الصليبيين لحلب ٩ اشهر وهذا الزمن يخالف الحقيقة اذ ان مدة الحصار اقتصرت على حوالي اربعة اشهر من اكتوبر ١١٢٤م الى يناير ١١٢٥م :
Anonymcus : op. cit. P. 96
Guillaume de Tyr : 1. P. 557

(٩١) عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص٢٢٥

(٩٢) ابن العديم ، زبدة الحلب جـ٢ ص٢٢٢ ، رنسيمان : الحروب الصليبية جـ٢ ص١٢١ عاشور : الحركة الصليبية جـ١ ص٥٢٦ـ٥٢٧

وسلمها الى امير حمص ، ثم رحل الى « زردنا » وشرع في حصارها ، وكان الصليبيين انذاك قد بدأوا في حشد قواتهم للدفاع عن انطاكية فأسرع بلدوين الثاني لمواجهة البرسقي وانضم اليه بونز امير طرابلس وجوسلين دي كورتناي امير الرها[٩٣] ، وكان المسلمون حينئذ قد تركوا زردنا الى قلعة عزاز شمالي حلب وشرعوا في حصارها ، وفي هذا الموضوع تم الاشتباك مع الصليبيين ودارت بينهما معركة كبيرة انهزم على اثرها المسلمون هزيمة شنعاء « وقتل منهم وأسر كثير[٩٤] ، وعاد البرسقي الى حلب ، حيث دارت بينه وبين الفرنج مفاوضات انتهت بالاتفاق على ان يحتفظ المسلمون بكفر طاب ، وان يتسلم الفرنج الرهائن الذين كانوا في حوزة صاحب شيزر[٩٥] ، وعاد البرسقي الى الموصل وترك ولده مسعودا بحلب[٩٦] .

وبهذه المعركة التي خاضها البرسقي تختتم الموصل جهادها ضد الفرنج في عصر الولاة السلاجقة . حيث انتقل الحكم الى عمادالدين زنكي في سنة ٥٢١هـ وبدأت صفحة جديدة في تاريخ الجهاد الاسلامي ضد الغزاة الصليبيين .

---

(٩٣) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٦٢٨ ابن العديم ، زبدة الحلب جـ٢ ص٢٢٢ـ٢٢٣

(٩٤) نفس المصدر ، الكامل جـ١٠ ص٦٢٨ (وقدر ابن الاثير عدد قتلى المسلمين بأكثر من الف ـ وقدرتهم المصادر الصليبية بالفي قتيل)
Guillame de Tyr : P. 580. Anonymous : op. cit. P. 97
(لم يذكر المؤرخ السرياني بونز امير طرابلس) .

(95) Guillaumo de Tyr : P. 580

(٩٦) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ ص٦٢٣

الفصـــل الاول

نظم الحكم والادارة في الموصل في العصر السلجوقي

(١)

مقدمة عن الاقطاع ونظم الادارة في العصر السلجوقي

(٢)

منصب الامارة في الموصل

ا ـ امير الموصـــل او (الوالــي)

ب ـ الدزدارا او مستحفظ القلعـــة

جـ ـ الوزيـــــر

د ـ الحاجـــب

(٣)

الجيش في عصر الـــولاة

ا ـ تطور نظام الجيش السلجوقي في الاقاليم

ب ـ مظاهر اهتمام ولاة الموصل بالجيش وحجم قوتـــه

جـ ـ مقومات الجيش او العناصر المكونة لـــه

د ـ الخطط الحربية واساليب القتال (التكتيكات)

هـ ـ الاســــلحة

الباب الرابع

مظاهر الحضارة في الموصل

في العصر السلجوقي

الفصـــل الاول

نظم الحكم والادارة في الموصل في العصر السلجوقي

(١)

مقدمة عن الاقطاع ونظم الادارة في العصر السلجوقي

بلغت دولة السلاجقة اقصى اتساعها في عصر السلطان ملكشاه بن الب ارسلان فشمل نفوذها بلاد ما وراء النهر شرقا الى قلب اسيا الصغرى غربـا ومن أعالي الفرات شمالا الى اليمن جنوبا ، وقد ساعد هذا الاتساع الـى الاخذ بنظام الاقطاع الذي يتضمن معنى الحكم والولاية ، ويرجع الفضل في تعميم هذا النظام الى الوزير السلجوقي نظام الملك ، وقد اشار المقريزي الى ذلك بقوله « وأول من عرف فرق الاقطاعات الملك ابو علي الحسن بن علـي بن العباس وزير (الب أرسلان) بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ثـم وزر ابو علي لابنه ملكشاه ، وذلك ان مملكته اتسعت ، فرأى ان يسلم الى كل مقطع قرية او اكثر او اقل ، على قدر طاقته »[1] .

---

(١) المقريزي : الخطط جـ٣ص١٥٣/١٥٤

وكان عطاء الجند قبل ذلك يدفع نقدا فأصبح بعد تطبيق هذا النظام يعطي اقطاعا ، ووجد نظام الملك ان تسليم الارض للمقطعين يضمن عمارتها وعناية مقطعها بأمرها مما يحفظ للدولة السلجوقية قوتها وثروتها[٢] ، ولم يكن نظام الملك اول من ابتدع هذا النظام فقد سبقه اليه البويهيون الا انه سبب فوضى كبيرة في الدولة العباسية ، ذلك ان الاقطاع البويهي لم يكن يشمل كل العسكريين رغم انه كان يعني امتلاك الارض على خلاف الاقطاع في العصر السلجوقي حيث ان حق المقطع يتعلق بخراج الارض لا بالارض ذاتها ، بمعنى ان الاقطاع لم يكن تمليكا وانما كان استغلالا أي ان المقطع لم يكن يملك حق الرقبة بل له حق الاستغلال او الارتفاق ، واذا حدث ان ورث الجندي اباه ، فانه لا يرث الا حق الاستغلال ، وهذا ما يميز الاقطاع السلجوقي عن نظيره في الغرب[٣] وكان من الجائز للاعتبارات السابقة نزع الاقطاع في حالة عجز المقطع عن الوفاء بالتزاماته تجاه السلطان ، وهكذا نظم الوزير نظام الملك الاقطاع واضفى عليه الصبغة القانونية مستهدفا ضمان عدم الاساءة في استخدامه[٤] .

ولقد جاء تطبيق هذا النظام نتيجة الظروف التي طرأت على الدولة السلجوقية التي اتسعت رقعتها اتساعا كبيرا وازدادت تبعا لذلك اعباؤها المالية ، بالاضافة الى المتغيرات السياسية التي ترتبت انذاك على تأزم العلاقات

---

(٢) الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص٦٨ ، البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص٥٥ ، احمد مختار العبادي : قيام دولة المماليك في مصر والشام بيروت ١٩٦٩ ، ص٥ ٧

(٣) طرخان : النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط ص٢٢

(4) Smail : Crusading Warfare P. 65

طرخان : النظم الاقطاعية ص٢١ ، ٢٢ حسين امين : العراق العصر السلجوقي ص٧٠ ٢

السياسية من الدولة البيزنطية التي سبق للسلاجقة ان الحقوا بها هزيمة ساحقة في موقعة ملاذ كرد في عام ١٠٧١م ـ ٤٦٣هـ • وعلى هذا النحو اصبح الاقطاع الاداري يشكل اهمية كبرى بالنسبة للوضع السياسي والحربي للدولة السلجوقية ، ولذلك السبب كان طبيعيا ان يتضمن الاقطاع الحربي واجبات ادارة المنطقة المخصصة للقطع[٥] ، وتبدو هذه الظروف واضحة من خلال النص الذي اورده البنداري معللا فيه تصميم هذا النظام باعتباره ضرورة اقتضتها ظروف الدولة السلجوقية انذاك ، عندما اصبح من الصعوبة بمكان ادارة شؤنها الادارية والمالية ، فقد ذكر ان « الاموال لا تحصل من دمشق فأستعد بذلك لمهاجمة المراكز الصليبية وبدأ نشاطه الحربي ضد البلاد لاختلالها ، ولا يصح منها ارتفاع لاعتلالها ، ففرقها على الاجناد اقطاعات وجعلها لهم حاصلا وارتفاعا فتوفرت دواعيهم على عمارتها »[٦] وقد حدد نظام الملك الواجبات والالتزامات الرئيسية التي تترتب على هؤلاء المقطعين ومنها التزامات مالية تحمل الى خزانة السلطان ، ثم التزامات عسكرية تتمثل في تعهد الامير المقطع « بالوصول بالعساكر الجمة »[٧] ووضع امكانياته العسكرية في خدمة السلطان السلجوقي والامتثال لاوامره ومحاربة أعدائه[٨] ، وفي هذه الحالة كان عليه ان يحضر على رأس فرقة من العسكر يختلف حجمها باختلاف منزلته وذلك عندما يأمره السلطان بذلك[٩] •

---

(5) Smail : op. cit. P. 65

(٦) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص٥ ٥

(٧) نفس المصدر ، تاريخ دولة آل سلجوق ص٥٦

(٨) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص٥٦ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص٣١٦

(9) Smail : op. cit. P. 45

وقد انتقل نظام الاقطاع هذا الى الايوبيين ثم الى المماليك عن طريق دولة الاتابكة في الموصل وحلب[١٠] ، وكان النظام الاقطاعي في العصر السلجوقي يشتمل على معظم اراضي بلاد فارس والجزيرة والشام اذ قسمت الى اقطاعات عسكرية يحكمها عدد من الامراء السلاجقة بتفويض من السلطان[١١] .

وكانت الموصل قد اصبحت بعد سقوط دولة بني عقيل في سنة ٤٨٩هـ على يد القائد السلجوقي قوام الدولة كربوقا جزءا من الدولة السلجوقية ، وتعاقب على حكمها عدد من كبار الامراء السلاجقة مارسوا مهامهم الادارية نوابا عن السلاطين يساعدهم في مهامهم عدد قليل من الموظفين يعينون مباشرة من قبلهم ، وكان حاكم كل اقليم يستقل بشؤون اقليمه الداخلية ، كما كان له الحق في التوسع وضم مناطق جديدة الى حوزته[١٢] ، ومن الجدير بالذكر اننا ــ من خلال دراستنا لهذه المرحلة ــ لم نقف في المصادر العربية على ما يشير الى وجود جهاز واضح للادارتين المحلية والعامة ، ولا شك ان السبب في ذلك انما يرجع الى طبيعة الحكم في تلك الفترة ، التي اتسمت بالقلق والاضطراب وعدم الاستقرار نتيجة لتعرض امراء الموصل للعزل من قبل السلطان السلجوقي الذي كان يسيطر سيطرة فعلية على شؤون الامارة ، ويكفي ان نشير الى ان عدد ولاة الموصل فيمدة ٣٦ سنة أي في الفترة ما بين ٤٨٩هـ الى ٥٢١هـ يزيد على عشرة ، حكم كل منهم مدة يسيرة غالبا ما كانت تنتهي بعزله او بمصرعه كما ان انشغال هؤلاء الولاة بحركة الجهاد ضد الصليبيين من جهة ومشاركتهم في الصراع القائم بين امراء البيت السلجوقي

---

(١٠) طرخان : النظم الاقطاعية ص. ٣
(١١) العبادى : قيام دولة المماليك في مصر والشام ص٧٦
(١٢) حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص١٦٢

من جهة اخرى كل ذلك ادى الى انصرافهم عن التنظيمات الاداريةوالعمرانية، وعلى هذا النحو يمكننا القول بأنه لم تصل الينا صورة واضحة العالم للجهاز الاداري ومؤسسات الحكم في الموصل ، بدليل انه عندما آل الحكم الى عمادالدين زنكي في سنة ٥٢١هـ لم يجد امامه جهازا اداريا واضحا[١٣] ، ثم ان هناك حقيقة يجدر الاشارة اليها تتعلق بانصراف المصادر عن الحديث او الاشارة الى التنظيمات الادارية في الموصل خلال عهد الولاة ، ان هذا الانصراف لا يعني عدم وجود مؤسسات ادارية ، بل ان هذه المصادر بتركيزها على القضايا السياسية قد اهملت الحديث عن الجوانب الادارية التي تتعلق بشؤن الحكم في المدن والامارات سيما وان الموصل كانت قد تزعمت حركة المقاومة الاسلامية ضد الصليبيين ، ثم ان حدوث أي تحول سياسي والانتقال من عهد الى اخر لا يعني بالتالي سقوط التنظيمات الادارية ومؤسساتالحكم التي كانت قائمة وقيام اخرى جديدة لا علاقة لها بالتنظيمات السابقة ، فلم يؤد تحول الموصل من عهد الولاة السلاجقة الى العهد الاتابكي الى ظهور مؤسسات ادارية جديدة بالمرة ، بل ان معظم هذه المؤسسات ظل قائما في العهد الجديد مع اجراء بعض التعديلات واستحداث عدد قليل من المناصب التي اقتضتها الظروف السياسية والعسكرية لجديدة[١٤] .

ومما لا شك فيه ان نظم الحكم في الموصل في عصر الولاة تأثرت تأثيرا كبيرا بما كان سائدا من هذه النظم في الدولة السلجوقية ، فأتخذوا الوزراء والحجاب والنواب كما كانوا يعينون من قبلهم عمالا على المدن والمراكز

---

(١٣) عماد الدين خليل : قوام الدولة كربوقا : مجلة آداب الرافدين العدد الخامس ١٩٧٤ الموصل ص١٥٢

(١٤) عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي ص٢٣٢

التي تخضع لنفوذهم[١٥] ، ومما يؤسف له حقا ان المصادر العربية لم تمدنا بمعلومات كافية عن الشخصيات التي شغلت المناصب الهامة وكانت تشكل جهاز الحكم في الموصل ، بل ان هذه المصادر تكاد لا تذكر شيئا عن هذه المؤسسات في بعض الفترات ثم تعود فتشير الى بعضها مما يقطع بوجودها خلال حكم الولاة ، في حين نجد انها القت ضوءا كافيا على هذه الوظائف في العهد الاتابكي واوردت بعض التفصيلات التي توضح طبيعة تلك المؤسسات الادارية ، مما يسر علينا مهمة توضيح الجوانب التي تتعلق بمهام الوزراء والحجاب ونواب القلعة[١٦] ، على اعتبار ان نظم ومؤسسات العهد الاتابكي هي في الواقع امتداد للنظم السلجوقية التي تأثر بها عمادالدين زنكي بحكم خدمته الطويلة في الموصل وملازمته لامرائها السلاجقة في الفترة من ٤٨٩هـ الى ٥٢١هـ ، فجاءت نظم الحكم عند الاتابكة مشابهة تشابها واضحا لنظائرها السلجوقية[١٧] .

وفيما يلي دراسة موجزة لاهم الوظائف الادارية في الموصل في العصر السلجوقي .

---

(١٥) حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ص٦٤ ، طبعة مصر ١٩٥٧ عبدالنعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص٦٩
انظر الملحق رقم ٢ المتضمن منشور السلطان محمد بتولية طغتكين على دمشق واعمالها .

(١٦) راجع رسالتي للماجستير : دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكى التى نوقشت في تموز ١٩٦٨ ــ كلية الاداب ــ اسكندرية ، ونشرت في بيروت ١٩٧٠ (الصفحات من ٢٣٣/٢٦٠)

(١٧) حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ص٦٤ ، عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص٢٢٣ فما بعدها .

(٢)

منصب الامارة في الموصل

(١) امير الموصل او (الوالي) :

وهو اعلى سلطة تنفيذية في الموصل ، والحاكم الاعلى المسؤل عن حفظ الامن وقيادة العسكر والدفاع عن البلاد ، ويمكن القول بوجه عام بأن جميع سلطات الحكم كانت تتركز في يد الامير (المقطع) ولم يربطه بالحكومة المركزية الا سلطة السلطان في التعيين او العزل[١٨] ، والالتزام بتنفيذ ما يترتب على الاقطاع من واجبات مالية وعسكرية ، بحيث يصبح مسؤلا مسؤلية كاملة عن الوفاء بها ، فكان عليه حمل الاموال المقررة على اقطاعه الى خزانة السلطان في الوقت المناسب ويعرضه ابطاؤه في سدادها للعزل عن الولاية حتى لو أدى ذلك الى قيام الحرب بينه وبين السلطان ، ولدينا شواهد لهذا القول ، فمن اسباب عزل جكرمش عن ولاية الموصل على حد تعبير المؤرخ ابن الاثير انه « تثاقل في الخدمة وحمل المال »[١٩] ، وكان جكرمش قد وعد السلطان محمد بأن يحمل اليه قدرا معينا من المال بعد ان انتقلت تبعيته اليه عقب وفاة السلطان بركيا روق في سنة ٤٩٨هـ ، كما كان من اسباب تغير سياسة السلطان محمد نحو جاولي سقاوه تنصل الاخير من التزاماته المللية[٢٠] .

---

(18) Smail : op / cit. P. 65

(١٩) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ص٤٢٢

(٢٠) نفس المصدر : الكامل جـ١٠ص٣٨٤ ، ٤٥٧

اما فيما يتعلق بالاختصاصات العسكرية التي يتولاها الامير فتقتصر على تجهيز العساكر وارسالها الى السلطان عندما يطلب انقاذها[21] ، كذلك كان عليه الحضور على رأس قواته لمحاربة اعداء السلطان والخارجين على طاعته وعلى هذا النحو نشهد معظم ولاة الموصل يساهمون في اخماد الفتن والاضطرابات التي كانت تحتدم في انحاء الدولة السلجوقية سواء في العراق او بلاد فارس .

فعندما عهد السلطان بركيا روق الى كربوقا امير الموصل عام ٤٩٤هـ بالسيرالي اذربيجان لقتال الملك مودود بن اسماعيل بن ياقوتي لم يتردد كربوقا في تنفيذ اوامر السلطان وزحف على رأس عساكره الى بلاد فارس وامضى ما يزيد على السنة محاربا للثوار والمارقين على السلطان ، ووافاه الاجل قبل ان يعود الى الموصل[22] ، وعندما اعلن جاولي تأييده لاعداء السلطان محمد وانحيازه الى الامير دبيس بن صدقة سنة ٥٠١هـ ورفض الانضمام الى عساكر السلطان لمحاربة دبيس ، بادر السلطان بعزلة عن ولاية الموصل وانقذ اليه العساكر بقيادة شرفالدين مودود وتم أقصاؤه عنالحكم في سنة ٥٠٢هـ[23] .

وقد حاول بعض ولاة الموصل استغلال الصراع القائم حول السلطنة بين افراد البيت السلجوقي لتحقيق مزيد من المكاسب الشخصية وطمعا في زيادة الاقطاع والتحكم بأمور البلاد ، ويتضح ذلك من خلال الدور الذي قام به جيوش بك في تحريض الملك مسعود ضد اخيه السلطان محمود وما

---

(٢٢) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٣٤٢

(٢٣) نفس المصدر : الكامل جـ١٠ ص٤٥٧ الفارقي : تاريخ آمد وميافارقين ص٢٧٥ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص١٩٩

ان تمت هزيمة مسعود وجيوش بك حتى امر السلطان بعزل الاخير عن ولاية الموصل سنة ٥١٥هـ[٢٤] ، واقطع البلاد للامير اقسنقر البرسقي الذي وضع امكانياته في خدمة السلطان محمود وقاتل اعداءه واعداء الخلافة العباسية وظل على ولائه له وللخلافة الى ان القى مصرعه بالموصل عام ٥٦٠هـ[٢٥] .

والواقع ان ولاة الموصل في هذه المرحلة تمتعوا بنفوذ واسع في بلاد الجزيرة وديار بكر وشمال الشام ، واصبحوا موضع تقدير المسلمين بسبب تزعمهم لحركة الجهاد ضد الصليبيين ، فسعوا الى فرض نفوذهم على المدن والامارات المجاورة واخضاعها بأسم السلطان السلجوقي بأعتبارهم نوابا عنه في حكم هذه الاقاليم[٢٦] ، وكانوا يوزعون الاقطاعات على امراء العسكر على ان يكون هؤلاء مرتبطين ارتباطا مباشرا بأمارة الموصل ، ويلتزمون بأداء واجبات عسكرية ومالية حيالها ، فكان موسى التركماني ينوب عن كربوقا في حصن كيفا ، وشمس الدولة جكرمش ينوب عنه في جزيرة ابن عمر[٢٧] ، ولما استقر جكرمش في حكم الموصل بعد مصرع موسى التركماني سنة ٤٩٥هـ اناب عنه ولده حبشي في حكم جزيرة ابن عمر وقد اعلى الاخير خضوعه للامير للامير جاولي سقاوه الذي استولى على الموصل في سنة ٥٠٠هـ[٢٨] ، كما ان عماد الدين زنكي كان قد اقطع مدينة تليعفر القريبة من الموصل في عصر الولاة[٢٩] .

---

(٢٤) نفس المصدر : الكامل جـ١٠ ص٥٨٨ ، ابو الفدا : المختصر جـ٤ ص١٥٥ ، ابن خلدون ، العبر جـ٥ ص١٠٧ ، ابن الجوزي المنتظم جـ٩ ص٢١٧

(٢٥) ابن القلانسي ص٢١٤ ، ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٦٣٣/٦٣٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص٢٣٤

(٢٦) ابن الاثير : الباهر ص١٥/١٦

(٢٧) نفس المصدر : الكامل جـ١٠ ص٣٤٢ ،

(٢٨) ابن القلانسي ص١٥٨ ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ص٤٣٠ ، ابو الفدا المختصر جـ٤ ص١٤٠

(٢٩) الفارقي : تاريخ آمد وميافارقين ورقة ١٠٠ أ ــ ب (مخطوط)

(٢) الدزدار(٣٠) او مستحفظ القلعة :

يحتل منصب الدزدار اهمية بالغة في امارة الموصل مصدرها ان القلعة تعتبر اخطر موقع داخل المدينة فهي المركز الرئيس للدفاع عنها بعد الاسوار وما يكتنفها من ابراج وما يحيط بها من خنادق ، ثم هي العمود الفقري للدفاع والصمود ، فالعدو لا يمكن ان يحكم سيطرته على المدينة الا بعد ان يكون قد تمكن من القلعة وقضى على اخر اثر لمقاومة حاميتها[٣١] ، وانطلاقا من هذا المبدأ كان الدزدار الشخصية الثانية في الامارة حيث يقع عليه عبء الدفاع عن المدينة في اوقات الخطر والحفاظ على سلامتها وفي حالة غياب الامير يصبح الدزدار الحاكم الفعلي والمرجع الاول في كل الامور ، وكان من اختصاصاته الاشراف المستمر على احكام التحصينات وتفقد المنشآت العسكرية واعدادها للدفاع عن المدينة[٣٢] ، وقد ازدادت اهمية الدزدار او

---

(٣٠) الدزدار : كلمة فارسية مكونة من مقطعين : دز او دز وتعنى قعلة ، ودار اي الجافظ او الممسك ، فهى بذلك تعنى حافظ القلعة او متولى القلعة ، انظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٣ص٤٧٢ ، الجواليقى المعرب من الكلام الاعجمى على حروف المعجم ص٣١٥

وفي القاموس الفارسي ـ انجليزي ، جاءت بمعنى حاكم القلعة :

(٣١) كان جاولي سقاوه قد رحل عن الموصل في سنة ٥٠٢هـ حين علم بمسير عساكر السلطان محمد لاقصائه عن الولاية وترك زوجته بقلعة الموصل مع الف وخمسمائة فارس من الاتراك بالاضافة الى عدد من المشاة لتتولى مهمة الدفاع عن المدينة مما يؤكد اهمية الدور الذى تؤديه القلاع في الموصل الوسطى :
(ابن الاثير : الكامل ج١٠ ص٤٥٨)

(٣٢) ابن الاثير : الكامل ج١٠ ص٤٢٤

(النائب) في العهد الاتابكي ، فاصبح يجمع بين النيابة وقيادة العسكر بالاضافة الى جمع الضرائب وجباية الاموال ، وقد استبد بعض هؤلاء النواب بأمور الدولة وسيطروا على البلاد[٣٣] .

وعلى الرغم من قلة المعلومات التي وردت في المصادر عن الشخصيات التي تولت منصب دزدار قلعة الموصل ، في عصر الولاة السلاجقة ، يبرز لدينا اسم الامير غزغلي مستحفظ قلعة الموصل في عهد شمس الدولة جكرمش (٤٩٥ ـ ٥٠٠هـ) ويمكن الوقوف على خطورة هذا المنصب من خلال الاحداث التي وقعت في الموصل في عام ٥٠٠هـ ، وتتضح المهام التي يمكن ان يضطلع الدزدار بها حين تتعرض المدينة لازمات خطيرة ويواجه خطر الهجوم .

فعندما وقع جكرمش في أسر جاولي سقاوه عقب قيام الاخير بمهاجمة الموصل تنفيذا لامر السلطان لانتزاع الموصل من قبضة جكرمش ، بادر غزغلي بتسلم مهام الحكم في الموصل واجلس زنكي بن جكرمش وخطب له وكان صبيا في الحادية عشرة من عمره ، ثم قام بتوزيع الاموال والخيل على الجند وحثهم على الاستبسال في الدفاع عن البلد وكاتب سيف الدولةصدقة بن مزيد وقلج ارسلان ، والبرسقي شحنة بغداد طالبا المساعدة على دفع جاولي واقصائه عن الموصل ووعد كلا منهم ان يسلم المدينة اليه ، ولما دخل قلج ارسلان الموصل تسلم القلعة من غزغلي وعين له فيها دزدار[٣٤] .

---

(٣٣) ابن الساعى : الجامع المختصر ج٩ص٤ ، ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص٥٢ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج٧ص٥٣

(٣٤) ابن الاثير : الكامل ج١٠ص٤٢٧/٤٢٢ ، ابو الفدا ، المختصر ج٤ص١٣٩ /١٤٠

وقد يطمع الدزدار في القبض على زمام الحكم في الولاية والاستئثار بالسلطة في حالة اذا ما توفى الوالي وخلفه ولد صغير له ، فيبادر الدزدار او النائب في هذه الحالة بتنصيب الولد القاصر ليستأثر هو بالحكم دونه، فيكتب الى السلطان ليحصل على موافقته في اسناد الولاية للولد القاصر ، وقد حدث ذلك عند وفاة عزالدين مسعود بن البرسقي في سنة ٥٢١هـ ، اذ خلفه اخوه الصغير فأستأثر المملوك جاولي بالحكم دونه وقبض على زمام الامور بالموصل وسعى الى الحصول على موافقة السلطان محمود لتقرير البلاد لولد البرسقي ، الا ان السلطان رفض الاستجابة لرغبته واقطع البلاد لعمادالدين زنكي[٣٥] .

(٣) الوزير :

عرف نظام الوزارة في العراق منذ فجر الخلافة العباسية التي نقلتالى اداة الحكم كثيرا من النظم الفارسية ، وقد ظل هذا النظام متبعا في الدولة العباسية حتى سقوطها في عام ٦٥٦هـ[٣٦] ، وكانت اختصاصات الوزير في العصر العباسي النظر في أمر الاموال والاجناد ، كما كان له الاشراف على جميع الدواوين فيستعرض حساباتهم واعمالهم ويقوم معوجهم ويصلح فاسدهم[٣٧] ، ثم اصبحت مهمة الوزير في الدولة السلجوقية تقديم النصح

---

(٣٥) ابن الجوزي : جـ١٠ص٥ ، ابن الاثير : الباهر ص٣٢/٣٤ ، ابو شامة الروضتين جا١ص٧

(٣٦) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص١١٤ ، مصر ١٩٣٩ عبدالمنعم ماجد : الحضارة الاسلامية ص٣٢/٣٣ ، مصر ١٩٦٣

(٣٧) الثعالبي : تحفة الوزراء : ورقة ١٤ ١٥ (نسخة مصورة في مكتبة د/حسين امين)

ورمي النبال ، فيقول : « كان يركب برذونه الذي لا يعرف التعب ويضرب بالقوس والسهم من بعيد وفي كل اتجاه : من امام ومن خلف وعن يمين وعن يسار ، كل ذلك وهو يجري بسرعة البرق ، فهو : له اربع اعين ، عينان في وجهه وعينان في قفاه » ، أي ان خطورة الفارس التركي وهو مقبل لا تقل عنها وهو مدبر ، لانه يمكن ان يصيب بسهمه وهو مدبر كما يمكن ان يصيب بسهولة وهو مقبل[٦٥] .

والواقع ان الاتراك السلاجقة كانوا على درجة كبيرة من الكفاية العسكرية والقدرة على المناورة اثناء القتال ، وقد شهد لهم بذلك مؤرخو الحروب الصليبية انفسهم ، فذكروا ان الاتراك السلاجقة من بين جميع الشعوب الاسيوية كانوا الاخطر على الفرنج فكان هؤلاء يخشونهم ويحسبون لهم حسابا كبيرا ويقدرونهم قدرهم بسبب صفاتهم العسكرية واساليبهم التكنيكية[٦٦] ، وكان رماة النبال يشكلون الخطر الاعظم على الفرنج بما كانوا يقذفونهم به من سهام تشبه المطر في غزارتها ، وكلما استنفذت فرقة للرماة سهامها ، تراجعت لتشغل مكانها فرقة اخرى تبادر بامطار العدو بوابل اكثر كثافة من الاولى[٦٧] ، وقد عانى الصليبيون كثيرا من رماة السهام خلال الحروب التي دارت رحاها في اسيا الصغرى وبلاد الشام اذ كانت تتمثل فيهم اشد الاسلحة فتكا ورهبة لان سهامهم ضعيفة المفعول ضد الدروع كانت تفتك بخيولهم فتكا ذريعا[٦٨] .

---

(٦٥) رسالة الجاحظ الى الفتح بن خاقان في فضائل الترك ، مصر ١٨٩٨م ص٢٨ و ٢٤

(٦٦) اعمال الفرنجة ص١١٨ و ١١٩

(76) Cahen : la Syria du Nord : vol . 1. P. 195
Smail : op. cit . P. 76.

(٦٨) فوللر ، اثر التسلح من حروب القرون الوسطى لنهاية الحرب العالمية الثانية ، دمشق ١٩٥٤ ص٦٩

المؤيد ابا غالب بن عبدالخالق بن عبدالرزاق على وزارته[٤٢] ، الامر الذي يثير التساؤل عما اذا كان ولاة الموصل الذين حكموا قبل البرسقي كانوا يتخذون وزراء لهم ام لا ؟ ونرجح الاحتمال الثاني نظرا لطبيعة حكم الولاة في تلك الفترة الذي اتسم بقصر عهودهم من ناحية ، واضطرارهم للبقاء بعيدا عن الموصل لفترات طويلة بسبب اشتغالهم بالجهاد ضد الفرنج او محاربة اعداء السلطان في العراق وفارس من ناحية اخرى ، كما ان اعتمادهم على الدزدار او مستحفظ القلعة كان من اسباب انصرافهم عن منصب الوزارة بدليل ان عمادالدين زنكي حين تولى الموصل في سنة ٥٢١هـ لم يتخذ وزيرا له طيلة السنوات السبعة الاولى من حكمه[٤٣] ، ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان الملك مسعود بن السلطان محمد الذي اقام بالموصل مع اتابكه جيوش بك (٥٠٩ ـ ٥١٥هـ) كان قد استوزر ابا علي بن عمار ثم لم يلبث ان عزله في سنة ٥١٣هـ واستوزر اسماعيل بن الحسين بن علي الطغرائي الذي لعب دورا بارزا بتحريض الملك مسعود على اخيه السلطان محمود[٤٤] .

(٤) الحاجب :

كان خلفاء بني امية اول من اتخذ الحجابة في الاسلام ، حرصا على حياتهم من الاغتيالات السياسية بسبب ازدحام العامة على ابوابهم وحتى لا ينشغلوا عن مهام الدولة[٤٥] ، ثم انتقل هذا النظام بعد ذلك الى العباسيين فأتخذ

---

(٤٢) ابن الاثير : الكامل ج١٠ ص٦٣٤

(٤٣) عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي ص٢٦٢

(٤٤) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ص٢١٧ ، ابن الاثير : الكامل ج١٠ ص٥٦٣ الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية ص٩٧

(٤٥) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج٥ص٣٣٠ ، ابن الاثير : الكامل ج٤ ص٥ ، حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص١٨٦ .

خلفاؤهم الحجاب واسرفوا في منع الناس من لقاء الخليفة الا في الامور العامة ، فكان لكل خليفة حاجب ينظم المقابلات بينه وبين الناس بالاضافة الى واجبه الاساسي في المحافظة على حياة الخليفة ، وقد تدخل بعض هؤلاء الحجاب في شؤن الدولة المختلفة وفي تعيين حكام الاقاليم وزاحموا الوزراء في اعمالهم الامر الذي ادى الى نشوب الخلاف بين الحاجب والوزير وكان سببا في خروج احدهما من عمله(٤٦) .

وقد تطور منصب الحجابة في العصر السلجوقي واصبح من الوظائف المهمة في الدولة ، وأطلق على من يتولى هذه الوظيفة لقب الحاجب الاعظم (حاجب بزرك) والامير الحاجب الكبير ، وكانت مهمته الرئيسية في هذا العصر تلقي أوامر السلطان الشفهية وتبليغها من ثم الى الوزير لتنفيذها ، كما كان ينقل وجهة نظر السلطان في بعض الامور السياسية الى ملوك وأمراء الدول المجاورة(٤٧) .

ثم اصبح منصب الحجابة في العصور العباسية المتأخرة مصدر خطر على السلطان نظرا لما كان يحدث من صراع شديد بين المتنافسين على هذه الوظيفة(٤٨) .

وقد عرفت الحجابة في الموصل في عهد ولاة السلاجقة ، على الرغم من سكوت المصادر العربية عن هذا الموضوع اذ لم ترد سوى اشارة واحدة تتعلق بالحجابة في عهد اقسنقر البرسقي حيث ذكر المؤرخ ابن الاثير ان صلاح

---

(٤٦) ابن مسكوية : تجارب الامم جا ص٢١٩ ، عبدالمنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص١٦٦ ،

(٤٧) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ص١٠٧

(٤٨) حسين أمين : ص١٨٤ ، ١٨٥

الدين الباغيسياني كان امير حاجب البرسقي في الفترة من ٥١٥هـ الـــــى ٥٢٠هـ[٤٩] ، ثم تولى الحجابة لولده عزالدين مسعود الذي لم يلبث ان توفى سنة ٥٢١هـ ، وقد لعب الباغيسياني هذا دورا بارزا في توليه عمادالدين زنكي على الموصل ، وكان جاولي قد اختاره مع القاضي الشهر زوري لمقابلـــة السلطان محمود لينال موافقته على تقرير البلاد لولد البرسقي الصغير[٥٠] ، الا انه اتفق مع القاضي الشهر زوري على ابعاد جاولي عن الولاية واقنـــاع السلطان بتوليه زنكي ، وقد كافأه عمادالدين على ذلك وجعله امير حاجب تقديرا لجهوده ، واصبح اكبر موظف في الدولة الاتابكيـــة ، وظل يشـــغل هذا المنصب حتى مصرع عمادالدين في سنة ٥٤١هـ ، وعندئذ رحل عن الموصل والتحق بخدمة نورالدين محمود في حلب[٥١] ، الا ان مهمـــة اميـــر حاجب اصبحت اكثر وضوحا في عصر زنكي اذ اختلفت وظيفته عن وظيفة الحجاب القدامى ، واصبح من اختصاصه الاشراف على شؤون الجيش فكان «ينصف بين الامراء والجند ، تارة بنفسه وتارة بمشاورة السلطان وتارة بمراجعـــة النائب ، واليه تقديم من يعرض ومن يرد ، وعرض الجنـــد ، وما ناســـب ذلك »[٥٢] ، واصبح امير حاجب على رأس ديوان الجيش ، والمسؤول الاول عن تنظيم شؤونه[٥٣] ، ونعتقد استنادا على ما ورد في المصادر عن طبيعـــة

---

(٤٩) ابن الاثير : الكامل ج١٠ص٦٤٢

(٥٠) نفس المصدر : الباهر ص٢٢/٢٤ ، العينى : عقد الجمان ــ قسم اول المجلـــد ٢١ص٤

(٥١) الفارقي : تاريخ الفارقى ، المنشور بحاشية ذيل تاريخ دمشق ص١٧ ابن الاثير ، الباهر ص٣٥ الى ٨٥

(٥٢) القلقشـــندى صبح الاعشى ج٤ص١٩

(٥٣) ابن الاثير : الباهر ص٨٣ــ٨٧ ، عماد الدين خليل : عماد الدين زنكى ص١٩٢ــ١٩٣

مهمة امير حاجب في عصر زنكي ان صلاح الدين الياغيسياني الذي شغل هذا المنصب في عصر البرسقي كان يقوم بنفس المهمة أي الاشراف على الجيش والنظر في امور العسكر ، ورئاسة ديوان الجيش واذا كانت المصادر لم تشر الى هذا الديوان في هذه المرحلة فأن ذلك لا يمنع من اعتقادنا بوجوده لانه مرتبط بالجيش فلا بد والحال كذلك من مسؤول يصرف اموره ويشرف على شؤونه .

الجيش في عصر الولاة

(١) تطور نظام الجيش السلجوقي في الاقاليم :

كان قوام الجيش السلجوقي بادىء ذي بدء مجموعة القبائل السلجوقية التي تعتمد في حياتها على الغزو ، وقد تأصلت هذه الروح القتالية في السلاجقة لطول ممارستهم لحياة البدو القبلية ، واصبح لكل حاكم من حكام الاقاليم في الدولة السلجوقية جيش من القبائل المختلفة يقوم بتسليحه والانفاق عليه ، كما اقطعوا الجند اقطاعات بديلة عن الرواتب التي كانت يتسلمها الجند في العصور السابقة(٥٤) .

ثم انضمت فيما بعد عناصر اخرى الى الجيش السلجوقي ، اصبحت تشكل جزءا مهما في القوة السلجوقية نذكر في مقدمتها عناصر التركمان الذين لعبوا دورا بارزا في الاحداث التالية ، حيث اسندت الى بعضهم قيادة بعض الحملات العسكرية ، ومن هؤلاء الامير ارتق بن اكسب ، والامير بوزان الذي اقطعه ملكشاه الرها وحران في سنة ٤٧٧هـ(٥٥) .

---

(٥٤) حسنين امين :تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص٢٠٥/٢٠٦

(٥٥) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ص٢٢٢

وبالاضافة الى التركمان استخدم السلاجقة في جيشهم الاكراد ومنحوا زعمائهم الاقطاعات الكبيرة من قادة الاكراد ، احمد يل الكردي الذي اقطع مراغه في اذربيجان ، وكان اقطاعه يصل في كل سنة الى اربعمائة الف دينار وبلغ عدد فرسانه خمسة الاف فارس(٥٦) ، كما دخل المماليك ايضا في الجيش السلجوقي ، واصبحوا يشكلون عنصرا هاما من عناصره ، لما كانوا يتسمون من صفات عسكرية وقدرة على القتال(٥٧) .

(ب) مظاهر اهتمام ولاة الموصل بالجيش وحجم قوته :

ثم ترتب على تعميم نظام الاقطاع في الدولة السلجوقية الزام امراء الاقطاع بتجهيز الجيوش والاشتراك بها في خدمة السلطان ، واصبح الاهتمام بأعداد الجيش من الواجبات الرئيسية التي يضطلع بها الولاة وفاء بالتزاماتهم تجاه السلطان من جهة ولحماية ممتلكاتهم والمحافظة على نفوذهم من جهة اخرى ، فعمدوا الى توزيع الاقطاعات على امراء الجند عوضا عن الرواتب او الارزاق ، على ان يرتبطوا بهم ارتباطا مباشرا ، ويتوجب عليهم الحضور على رأس عساكرهم للمساعدة في قمع الفتن والاضطرابات او المشاركة في الحملات العسكرية الكبيرة(٥٨) ، وكان اهتمام ولاة الموصل بتجهيز الجيوش في هذه المرحلة ضرورة فرضتها الظروف الحرجة التي كانت تمر بها الدولة العربية الاسلامية انذاك عندما تعرض جزء هام منها الى الغزو الصليبي،

---

(٥٦) ابو شامة : الروضتين جا ص٢٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٥ ص٢٠٨ ، سهيل زكار ، مدخل الى الحروب الصليبية ملحق ٢ ص٢٥٤ (دار الفكر ١٩٧٣)

(٥٧) حسين امين : العراق في العصر السلجوقي ص٢٠٥ ٢٠٦

(٥٨) عبدالقادر طلبمان : مظفر الدين كوكبورى ص١٠-١١

فأصبحت امارة الموصل قاعدة للتحركات العسكرية ضد الكيان الصليبي في بلاد الشام والجزيرة ، كما ان تطلع ولاة الموصل الى توسيع رقعة بلادهم وفرض سيطرتهم على الامارات في اقليم الجزيرة وشمالي الشام ؛ كل ذلك كان يستلزم اعداد جيش قوي قادر على القيام بواجباته ، ومن هذا المنطلق سعى ولاة الموصل الى استمالة العناصر العسكرية وتشجيعها على العمل في اقليم الموصل عن طريق توزيع الاقطاعات عليهم ، ويظهر ذلك واضحا من خلال موقف قوام الدولة كربوقا من مماليك قسيم الدولة اقسنقر ، عندما طلب اليهم احضار عمادالدين زنكي ليشرف على تربيته بنفسه ، ووزع عليهم الاقطاعات ليستفيد منهم في حروبه المقبلة « وكانوا من الشجاعة في اعلى درجاتها »(٥٩) .

ومعلوماتنا عن حجم القوة العسكرية في الموصل في هذه المرحلة التاريخية هزيلة للغاية ، اذ لم يرد في المصادر سوى اشارات بسيطة لا تلقي ضوءا كافيا عن قوة الجيش او عدد الجند انذاك ، ففي موقعة نهر البليخ او (موقعة حران) سنة ٤٩٧هـ ، لم يكن لدى جكرمش سوى ثلاثة الاف فارس كما انه لم يصطحب معه فرقا من المشاة (الرجالة)(٦٠) ، ولا يعني هذا بطبيعة الحال ان هذا الرقم يشير الى كل ما كان لدى جكرمش من الجند اذ لا بد انه ترك قسما منهم لحماية الموصل والمرابطة في القلعة ، وهناك اشارة اخرى وردت في الكامل لابن الاثير عند تعرضه لذكر جاولي سقاوه ، ورد فيها ان جاولي هذا حين غادر الموصل بعد صدور امر السلطان محمد بعزله عن الولاية في عام ٥٠٢هـ ، ترك زوجته بقلعة الموصل ومعها الف وخمسمائة

---

(٥٩) ابن الاثير : الباهر ص١٦

(٦٠) نفس المصدر : الكامل جـ١٠ ص٣٧٤

فارس من الاتراك سوى غيرهم وسوى الرجالة ، وكان جاولي قد رحل بقسم من الجيش وخاص بعد ذلك عدة معارك ضد القوى المجاورة كما اشتبك من الفرنج[٦١] .

غير اننا نجد هذا الرقم الدال على عدد اجناد الجيش يتضاعف عند القيام بالحملات العسكرية الكبيرة كالخروج للجهاد ضد الصليبيين او المشاركة في حملات التي يتزعمها السلطان السلجوقي ضد اعدائه وعندئذ تتوافد العساكر على الموصل عن امراء الاطراف والاعمال الخاضعة لولاة الموصل ، كما تنضم اليه ايضا عناصر اخرى من المرتزقة والمتطوعة وجماعات البدو .

(جـ) مقومات الجيش او العناصر المكونة له :

اما عن العناصر البشرية التي يتألف منها الجيش في عصر الولاة فلا شك ان ذلك كان يتوقف في العادة على طبيعة سكان الاقليم نفسه باعتبارهم النواة الاساسية لتكوين الجيش ، لذلك كانت العناصر التي يتألف منها هم العرب والتركمان والاكراد وهي الفئات الرئيسية التي تشكل سكان الموصل واقليم الجزيرة ، وقد اشار المؤرخ ابن الاثير الى هذه العناصر عند حديثه عن حملة شمس الدولة جكرمش على الفرنج ، في سنة ٤٩٧هـ حيث ذكر انه خرج على رأس ثلاثة الاف فارس من العرب والاكراد والتركمان[٦٢] ، ومن الجدير بالذكر ان المصادر لم تشر بصورة واضحةالى

---

(٦١) نفس المصدر : الكامل جـ١٠ ص٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٤

(٦٢) نفس المصدر : الكامل جـ١٠ ص٢٧٤

(د) الخطط الحربية واساليب القتال (التكتيكات):

العناصر التي كان يتألف منها جيش كربوقا عندما دخل الموصل سنة ٤٨٩هـ ، وانهى حكم بني عقيل فيها واكتفت بالقول بانه اجتمع على كربوقا كثير من العساكر البطالين واغلب الظن ان هذه العساكر التي انضمت الى كربوقا واخيه بعد خروجهما من السجن كانت تضم عناصر سلجوقية وفرقا من التركمان الذين وفدوا الى بلاد الشام والجزيرة بالاضافة الى جماعات اخرى من المرتزقة والمتطوعة التي انضمت الى كربوقا في هذه الحملة ودخلت الموصل معه ، وقد قام كربوقا بتوزيع الاقطاعات على امراء عسكره من السلاجقة والتركمان ، فأقطع موسى التركماني حصن كيفا ، وأقر شمس الدولة جكرمش ــ من امراء السلاجقة ــ على جزيرة ابن عمر ، كما اناب عنه احد الامراء السلاجقة في حكم حران[٦٣] ، واستدعى مماليك قسيم الدولة اقسنقر والد عمادالدين زنكي الى الموصل ووزع عليهم الاقطاعات واستخدمهم في حروبه[٦٤] .

كانت نظم الحروب واساليبها في عصر الولاة متأثرة بما كان سائدا من هذه النظم عند السلاجقة انفسهم ، فلم يكن ولاة الموصل في واقع الامر سوى قادة الجند والامراء المقدمين في عسكر السلطان ، وطبيعي ان يلجأ هؤلاء الى تطبيق اساليب القتال التى كانوا يمارسونها خلال خدمتهم الطويلة في الجيش السلجوقي .

ولا بد لنا قبل الحديث عن الخطط الحربية ان تشير بايجاز الى كفاءة العنصر السلجوقي في الحرب ، واجادته لفن القتال ، وقد اعطى الجاحظ صورة حقيقية لما كان يتمتع به الفارس التركى من براعة في استعمال القوس

---

(٦٣) ابن الاثير : الكامل جـ١٠ص٢٥٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٢
(٦٤) نفس المصدر : الباهر ص١٦

والمشورة للسلطان ، وتمتع بسلطات واسعة تخوله الاشراف على جميع دواوين الدولة السلجوقية[٣٨] ، وكان السلاطين يختارون وزراءهم من بين الشخصيات التي تتمتع بمعرفة واسعةبقوانين المملكةوتأريخالملوكوسيرهم[٣٩] وقد ظهرت في هذا العصر أسر بعينها استأثرت بمنصب الوزارة وتحكمت فيه امثال بني نظام الملك ، فأصبحت الوزارة على هذا النحو مجالا للمنافسة ومثارا للصراع بين الطامعين فكان ذلك من اسباب تمزق دولة السلاجقة وضعف نفوذهم[٤٠] .

وطبيعي ان يتخذ الولاة السلاجقة وزراء لهم في حواضرهم جريا على عادتهم في تطبيق النظم السلجوقية ، علما بأن منصب الوزارة كان معروفا في الموصل على ايام الحمدانيين والعقيليين من بعدهم[٤١] .

الا ان المصادر العربية لم تمدنا بأية معلومات او حتى مجرد اشارات حول منصب الوزارة خلال حكم الولاة السلاجقة ، في الموصل ، او عن الشخصيات التي تولت هذا المنصب ، اما ابن الاثير الذي يعتبر في مقدمة المؤرخين الذين اولوا تاريخ الموصل اهتماما خاصا فانه لم يذكر سوى اشارة واحدة تؤكد وجود هذا المنصب في عهد اقسنقر البرسقي (٥١٥ ــ ٥٢٠هـ) عندما ذكر ان عزالدين مسعود لما دخل الموصل بعد مصرع ابيه أقر وزيره

---

(٣٨) السمرقندي : جهار مقاله : ص٢٣ (ترجمة عبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب طهران ١٣١١هـ)
(٣٩) عباس اقبال : وزارة درعهد سلاطين بزرك سلجوقي ص٢٥ طهران سنة ١٢٣٨هـ
(٤٠) حسن احمد محمود : العالم الاسلامي في العصر العباسي ص٥٧٩/٥٨٠
(٤١) ابو شجاع : ذيل تجارب الامم ص٦٤ ، خاشع المعاضيدي : دولة بنى عقيل في الموصل ص٥٧ ١

وقد اتبع السلاجقة اساليب معينة في الحرب ساعدهم على تنفيذها سرعة خيولهم وخفة سلاحهم فكانوا على استعداد دائم للكر والفر السريع[٦٩] وكان التظاهر بالهزيمة من الاساليب التي تلجأ اليها السلاجقة دائما وبطرق مختلفة اثناء القتال . وكان تراجعهم يستغرق في بعض الاحيان اياما بقصد انهاك العدو واستدراجه بعيدا عن مراكز تموينه وقواعده[٧٠] ، كما كان تظاهرهم بالهزيمة ايضا محاولة لخداع العدو وجره الى الكمين المنصوب له . وقد اتبع جكرمش هذا الاسلوب في موقعه حران في عام ٤٩٧هـ ـ ١١٠٤م حين تظاهر بالانهزام ولاذ بالفرار من المعركة فظن الفرنج انه تيسر لهم الفوز بسهولة فأسرعوا يطاردون المسلمين الى نحو ١٢ ميلا ولكنهم وقعوا في الكمين الذي اعد لهم[٧١] ، وفي موقعة الصنبره التي حدثت في سنة ٥٠٦هـ ـ ١١١٢م لجأ الامير مودود الى هذه الحيلة وتمكن من ايقاع الهزيمة بالفرنج وكبدهم خسائر فادحة[٧٢] .

ومن اساليب السلاجقة في الحرب ايضا محاولة تطويق العدو والاطباق عليه في دائرة كاملة ، كأنهم يحاصرون احدى المدن وقد ساعدهم على ذلك خفة حركتهم[٧٣] ، ومن اساليبهم ايضا مهاجمة العدو وارغامه على القتال اثناء السير « وكان ذلك اسلوبا في القتال جديدا ومغيظا بصفة عامة للفرنج اذ كانوا يميلون الى تنظيم كتائبهم قبل الشروع في القتال »[٧٤] .

---

(69) Smail : op. cit. P. 78
(70) Fulcher of charters : op. cit. P. 421
(71) Anonymous : op. cit. P. 79. Oman : op / cit. P. 321 - Grousset : op. cit. v. 1. P. 405
(72) Fulchar of charters : op. cit. P. 426. Smail : op. cit.
(73) Smail : op. cit. P. 79
(74) Smail : op. cit. P. 80 .

وامتاز السلاجقة بقدرتهم على استعمال القوس وهم على السرج دون ان يتوقفوا او يترجلوا ، كما كان باستطاعتهم في حالة الارتداد ان يتحولوا من فوق سروجهم ويصوبوا سهامهم نحو مطارديهم ويستهدف هذاالاسلوب القضاء على تماسك العدو عن طريق انزال الخسائر برجاله وخيله(٧٥) .

وبالاضافة الى الفرسان كان هناك انماط اخرى من الجند وهم الرجاله الذين يمارسون القتال مشاة على الارض ، وكانوا ضرورة لازمة في حالات الحصار واقامة المعسكرات والقيام بالمهمات الحربية الاخرى(٧٦) ، كما كانت هناك فرقا اخرى بينها : الحجارون ، وهم الذين يتولون أعمال التحصن وبناء الاسوار ، وقطع الصخور ، وحفر الخنادق ، وقد اشار المؤرخون الى نشاط هذه الفرق في الحروب التي شاركت بها أمارة الموصل في المراحل التالية(٧٧) ، وضم الجيش فصائل من رماة النفط ، وكان هؤلاء يرتبدون ملابس خاصة غير قابلة للاحتراق ، ويقذفون موادا حارقة على الاعداء (٧٨)، أما الفرسان فكانوا يلبسون (الزردية) او الكزاغند والخوذة ، ويستعملون السيف حينما واللبوس احيانا اخرى(٧٩) ، كم اكان الجند يلبسون الاقبية(٨٠) التترية وفوقها التكلاوات(٨١) ثم القباء الاسلامي فوق ذلك(٨٢) .

---

(٧٥) اعمال الفرنجه ص٣٠ ١

(76) Cahen : ia Syria du Nord : vol.1. P. 195
Smail : op. cit. P. 76

(٧٧) رشيد الجميلي : دولة الاتابكة في الموصل ، بيروت ١٩٧٠ص٢٥٦ و٢٥٧

(٧٨) العماد الاصفهاني : الفتح القسى في الفتح القدسى ص٢٣١–٢٣٢

(٧٩) اسامة بن منقذ : الاعتبار ص٩٨/١٤٤

(٨٠) الاقبية : مفردها قباء وهو ثوب يلبس فوق الثياب وقيل يلبس فوق الثياب ويتمنطق به : الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص٧٢

(٨١) التكلاوات : عطاء يوضع فوق الراس (الديوهجى ص٧٢)

(٨٢) الديوهجى : الموصل في العهد الاتابكى ص٧٢

(هـ) الاســـــلحة :

استعمال السلاجقة الاسلحة المعروفة في العصر الوسيط وهى القوس والسهم والنشاب والترس والرمح والسيف والهراوة والدبوس بالاضافة الى آلات الحصار التي كان يستخدمها الجيش في ثقب الاسوار وفتـــح الثغــرات[٨٣] وقد امتاز الرمح التركي بخفته وكان يصنع من قناة الغــاب ذات نصل مغطى بالحديد على عكس الرمح الصليبي وكان يصنع من خشب الارو او من خشب الحور ، اما العرب فقد استخدموا الرمح الطويل[٨٤] ، كما ان الترس التركي لم يكن طويلا على شكل الحدأة مما يتخذ للدفــاع كالترس الذي استخدمه الفرنج . فقد كان كورقة صغيرة تحمي صاحبهــا قليلا الا انه امتاز بخفته مما هيــأ للسلاجقة ســرعة الحركة والمرونة فــي القتــال[٨٥] .

---

(٨٣) عبدالرحمن زكي : السلاح في الاسلام ، مصر ١٩٥١ص٥٩

(٨٤) اسامة بن منقذ : الاعتبار ص١٢١/١٢٢

(85) Smail : op. cit. PP. 77 - 78

الفصل الثاني

---

(١)

الحياة الاقتصادية والفنية

أ ـ الزراعة

ب ـ التجارة

جـ ـ الصناعات والفنون

١ ـ صناعة النسيج

٢ ـ صناعة التحف المعدنية

٣ ـ التحف الفخارية والخزفية

٤ ـ الزخرفة على الرخام والجص والخشب

٥ ـ التصوير وتزويق الكتب

د ـ عمران الموصل واهم المنشآت السلجوقية

١ ـ العمران المدني

٢ ـ المنشآت الحربية

(٢)

الحياة العلمية

أ ـ المدارس ودور العلم

ب ـ المساجد ودور الحديث والاربطة

جـ ـ شيوخ العصر

(١)

الحيـاة الاقتصادية والفنيـة

ا ـ الزراعـة :

تميز اقليم الموصل بوفرة حاصلاته الزراعية ، وتنوع انتاجه ، وتأتـي الحبوب كالقمح والشعير في مقدمة تلك الحاصلات تليها الفواكه كالكمثرى والرمان والعنب والتفاح ، وكانت بغداد تعتمد في ميرتها على الموصل اربعة اشهر من كل عام [١] . وقد حافظت الموصل على مركزها الاقتصادي في العصر الاموي فأصبحت في عهدهم قاعدة بلاد الجزيرة ، ثم اجتاحها العباسيون على اثر قيام اهلها بالثورة في سنة ١٣٣هـ ، فأصاب الخراب معظم المدينة وذكـر المؤرخ ابو زكريا الازدي ان اسواق الموصل ظلت معطلة ثلاثين سنة(٢) .

ثم اخذت الموصل تستعيد مركزها الاقتصادي بعد ذلك تدريجيا ، حتى بلغت جبايتها في عصر الرشيد ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٤ درهم و٠٠٠ر٢٠ رطل عسل[٣]، ثم اصبح مقدار ما يجبى منها في خلافة المعتصم ٠٠٠ر٣٠٠ر٦ دينار[٤] .

وفي عصر الحمدانيين ازدهرت الزراعة ازدهارا كبيرا نتيجة الاستقرار الذي تمتعت به الموصل في عهدهم ، وقد اشار ابن حوقل الى ذلك بقولـه « فلما تملك بنو حمدان ورجالهم ، غرسوا فيها الاشجار وكثرت الكـروم

---

(١) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج١ ص٤٥

(٢) الازدي ، تاريخ الموصل حوادث سنة ١٣٣هـ

(٣) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ص٣٢

(٤) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ص١٦٨

وغرست الفواكه وغرست النخيل والخضر[٥] ، واعتنى الحمدانيون بزراعة القطن والارز والحبوب ، فبلغ خراج القمح والشعير فيها خمسة ملايين درهم[٦] ، وكثرت نفوسها وزادت ثروتها وعمرت رساتيقها[٧] .

غير ان هذا الازدهار الاقتصادي لم يلبث ان تلاشى تدريجيا في عصر دولة بني عقيل بسبب تعدد الاضطرابات التي تعرضت لها الموصل واقليم الجزيرة عامة في هذه الفترة ، مما ادى الى اهمال بني عقيل لوسائل الري التي تخدم الزراعة وفي مقدمتها القنوات التي تحمل المياه من دجلة الى المزارع والبساتين فكان لذلك اثر بالغ في قلة الموارد الزراعية[٨] ، ثم ازداد الامر سوء في عصر الولاة السلاجقة الذين حكموا البلاد فيما بين ٤٨٩هـ الى ٥٢١هـ نتيجة انشغالهم بالحروب الصليبية ، وطبيعة حكمهم وادارتهم غير المستقرة في الموصل خلال هذه الفترة ، بالاضافة الى تدخل هؤلاء الولاة في الصراع الدائر بين ملوك وسلاطين البيت السلجوقي وتعرض الموصل للفتن والحروب ، فأنعكس ذلك كله على الناحية الاقتصادية ، فعم الخراب وتدهورت الزراعة واهملت وسائل الري ، ونقصت موارد البلاد بصورة كبيرة حتى اصبحت «أقل بلاد الله فاكهة»[٩] .

وقد لعب نظام الاقطاع الذي طبقه الولاة السلاجقة في الموصل دورا كبيرا في تدهور الاوضاع الاقتصادية في البلاد لا سيما الزراعة ، فكانوا يقومون بتوزيع الاقطاعات على امراء عسكرهم فيعمد هؤلاء بدورهم الى

---

(٥) ابن حوقل : صورة الارض ص٢١٤

(٦) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ص١٩٥

(٧) الديوهجي : مجلة سومر المجلد ٧ جـ١ سنة ١٩٥١ ص٨٩

(٨) خاشع المعاضيدي : دولة بني عقيل ص١٧١

(٩) ابن الاثير : الباهر ص٧٨

توزيعها على الجند او يعهدون بها الى صغار المقطعين ليقوموا بأدارة اقطاعاتهم مما الحق الضرر بالموارد الاقتصادية نتيجة اهمالهم الزراعة وممارستهم الظلم على الفلاحين . فعم الخراب بمعظم الاراضي الزراعية ، ونقص الانتاج وارتفعت الاسعار وهلك كثير من ضعاف الناس جوعا في اقليم الموصل وبلاد الشام[١٠] ، وذكر ابن الجوزي ان جماعة من اهل السواد جاؤا الى جكرمش في سنة ٤٩٥هـ يشكون من عمالهم « فعمل لهم دعوة اشتملت على الف رأس من الغنم والبقر وغير ذلك من الدجاج والحلواء ولم يحضر الخبز ، ثم دعا وجوه العسكر فعجبوا اذ لم يروا خبزا فقالوا ما السبب في هذا ؟ فقال الخبز انما يجيء من الزرع ، والزرع انما يكون بعمارة السواد وقد اضررتم بأهل اقطاعكم فأستغلوه الان انتم بتحصيل الطعام فعملوا بالتوصية وثابوا وفي هذه السنة عم الرخص كثيرا ببغداد في الطعام والفواكه »[١١] .

وقد فطن عمادالدين زنكي الى مساوىء هذا النظام في توزيع الاراضي فمنع امرائه المقطعين من اقتناء الاملاك وجعل ملكية الارض بيد الفلاحين والاهالي مقابل دفع ضريبة سنوية معينة للحكومة والمقطعين[١٢] ، فأزدادت ثروات الموصل الزراعية في العصر الاتابكي وعملت البساتين بظاهرها وفي ولايتها فكانت في زمن ابن الاثير اكثر البلاد فاكهة ، « فالزمان يبقى الى ان يدرك العتيق الجديد ، وكذلك الكمثرى ، وقريب منه العنب ، واما التفاح فيجمع العتيق والجديد »[١٣] .

---

(١٠) ابن القلانسي ص٢١٢
(١١) ابن الجوزي : المنتظم جـ٨ ص١٢٢
(١٢) ابن الاثير : الباهر ص٧٩ ، ابن العديم ، زبدة الحلب جـ٢ ص٢٨٠
عمادالدين خليل : عمادالدين زنكى ص٢٢٢–٢٢٣
(١٣) نفس المصدر : الباهر ص٧٨

ب : التجـــارة :

تحتل الموصل موقعا جغرافيا هاما يتحكم في طرق القوافل التجاريـة المحملة بالبضائع من الهند والصين والشام وفارس ، كما كانت ترسو فيها مئات الاكلاك المحملة بحاصلات جزيرة ابن عمر وما يجاورها من بلاد الروم ونواحي ميا فارقين مشحونة بالتجارة كالعسل والسمن والدقيق ، والمـن والجبن والجوز واللوز والبندق والزبيب والتين ونعل الخيل وغير ذلـك ، من اصناف المنتجات[١٤] ، وقد اشار ياقوت الى اهمية موقع الموصـــــل بقوله : « هي محط الركبان منها يقصد الى جميع البلدان ، فهي باب العراق ومفتاح خراسان ، منها يقصد الى اذربيجان ، وكثيرا ما سمعت ان بـــلاد الدنيا العظام ثلاثة : نيسابور لانها باب الشرق ، ودمشق لانها باب الغـرب والموصل لان الواصل الى الجهتين قل ما لا يمر بها »[١٥] ، وقال ايضـــا « وما عدم شيء من الخيرات في بلد من البلدان الا وجد فيها »[١٦] .

ولم يقتصر دور الموصل على كونها نقطة التقاء القوافل التجارية فحسب بل كانت تلعب دورا هاما في تصدير حاصلاتها الزراعية ومنتجاتها الصناعية التي اشتهرت بها على مر العصور ، وقد اشار ابو المحاسن الى ذلك « بقوله ان طعام بغداد واقوات ساكنيها من الموصل واعمال الفرات وديار مضـــر وربيعة »[١٧] ، كما كانت تصدر منسوجاتها المختلفة من حريرية وصوفيـة

---

(١٤) ابن حوقل : صورة الارض ص٢٠٣ ، ابن الجوزي : المنتظم جـ١٠ ص١٧٠

(١٥) ياوقت : معجم البلدان جـ٨ ص١٩٥

(١٦) نفس المصدر : معجم البلدان جـ٨ ص١٩٦

(١٧) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ١ ص٤٥

وقطنية ، والتى نسبت اليها وشاع صيتها في بلاد العالم ، وكذلك التحف المعدنية المزخرفة والخزف التي برع في صنعها اهل الموصل فكانت هذه البضائع تحمل الى موانىء البحر المتوسط الشرقي ، حيث ينقلها التجار الجنويون والبنادقة الي مختلف المدن الاوربية[18] .

وزخرت اسواق الموصل بالمحال التجارية التي امتلأت ببضائع الشرق والغرب ، وكانت تصل اليها عن طريق الاكلاك التى تسير في دجلة ومن اسواق الموصل القديمة التي كان يرتادها الفلاحون نذكر سوق القتابين وسوق الشعارين وسوق الاربعاء ، وتقع شرقي مدينة الموصل[19] ، وكانت مغطاة بسقف يحميها من الاعلى[20] ، وقد اشار ابن حوقل الى اسواق الموصل عند زيارته للمدينة في سنة ٣٥٨هـ ايام الحمدانيين فقال انها كان فيها لكل جنس من الاسواق الاثنين والثلاثة والاربعة ، وقد تصل حوانيت كل سوق من هذه الاسواق المائة حانوت واكثر[21] .

وقد تأخر النشاط التجاري بالموصل في عصر بني عقيل نظرا لاضطراب الحياة السياسية لهذه الدولة وانشغال امرائها باخماد الفتن والاضطرابات الداخلية[22] ، ثم ازداد الامر سوءا بعد انتقال السلطة الى السلاجقة بسبب الاحداث الخطيرة التى تعرضت لها المنطقة في هذه المرحلة ادى غزو الصليبيين لبلاد الشام والجزيرة ونجاحهم في تأسيس اربعة امارات في قلب الوطن العربي الي تهديد طرق المواصلات بين الشام والعراق ، وقد لعبت

---

(١٨) ارنست كونل : الفن الاسلامي : طبعة مصر ١٩٦١ ترجمة احمد موسى ص٨٧

(١٩) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص١٢٤

(٢٠) المقدسي : احسن التقاسيم ص١٢٨

(٢١) ابن حوقل : صورة الارض ص٢٠١-٢٠٤

(٢٢) خاشع المعاضيدي : دولة بني عقيل ص١٧١

Stevenson

امارة الرها دورا بارزا في عرقلة خطوط المواصلات الأسلامية بين الموصل وحلب وبين بغداد وبلاد سلاجقة الروم في آسيا الصغرى[٢٣] ، وكانت بمثابة اسفين دقه الفرنج بين الشام والعراق[٢٤] كما كان للعيارين وقطاع الطرق الذين تعدى نشاطهم مدينة بغداد دور كبير في افتقاد الامن وتدهور التجارة • حيث قاموا في هذه الفترة بمهاجمة السفن التجارية القادمة من الموصل الى بغداد وبالعكس[٢٥] ، ويضاف الى هذه الاسباب تعرض الموصل للازمات والحروب الداخلية والصراع حول الحكم •

ج ـ الصناعات والفنون :

احتفظت الموصل بشهرتها في بعض الصناعات التى عرفها العالم وغزت معظم اسواق اوربا واسيا ، ويرجع الفضل في ذلك الى صناعها الذين ذاعت شهرتهم بسبب ما كان يتوفر لديهم من خبرات ومهارات فنية تشهد بها اثار الموصل في مختلف العصور ، ومن اشهر الصناعات الموصلية صناعة النسيج على اختلاف انواعه ، والمعادن كالاسطال والسكاكين والنشاب والسلاسل والموازين[٣٦] ، وصناعة الاواني الفخارية والخزفية وفن الحفر على الرخام والجص والخشب •

---

(٢٣) عاشور : الحركة الصليبية جـ٢ ص٦٠٤
Stevenson : op. cit. P. 153.

(٢٤) فيليب حتى : تاريخ العرب مطول جـ٢ ص٧٦٢

(٢٥) عمادالدين خليل : قوام الدولة كربوقا مجلة الاداب الرافدين ص١٥٢

(١) صناعة النسيج :

عرفت هذه الصناعة في الموصل منذ عصور قديمة سبقت الاسلام وقد تطورت هذه الصناعة حتى اصبحت الموصل من اعظم مراكز النسيج في العالم الاسلامي وقد برع نساجو الموصل في صناعة المنسوجات الحريرية ، فأتخذوا لها الحواشي المقصبة وطرزوها بالكتابات المختلفة وزخرفة التوريقات وقوامها النبات واغصان الاشجار المختلفة وذلك بخيوط من الذهب والفضة مما كانت ترتديه نساء الملوك والامراء والاعيان[٢٧] ، وقد عرف العالم هذا النسيج بأسم الموسلين Moselin نسبة الى الموصل ونقله التجار الى اسواق اوربا[٢٨] .

واتقن نساج الموصل ايضا صناعة المنسوجات الصوفية والقطنية وتفننوا في حياكته وتنويعه ، فكان مما يجلب الى بغداد من هذه المنسوجات (الستور والمسوح)[٢٩] ، كما كانت تنتج كميات كبيرة من المنسوجات القطنية ومن انواعها الشاش الموصلي ، الذين كان يتخذه سراة القوم واغنيائهم عمائم يزينون بها رؤوسهم ، ومنها النسيج الرقيق الابيض الذي

---

(٢٦) المقدسي : احسن التقاسيم ص١٤٥

(٢٧) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص٤٦

(٢٨) ارنست كونل : الفن الاسلامي ص٨٧

(٢٩) الجاحظ : التبصير بالتجارة : طبعة ١٣٥٤هـ القاهرة ص٢٢
المسوح : جمع مسح : وهو كساء مخطط يفترض به ويستتر به (الجاحظ : التبصير بالتجارة ص٢٢) .

كانت تتخذ منه الثياب الداخلية ، ثم النسيج الملون بنوعيه الرجالي والنسائي الذي كانت تصدر منه كميات كبيرة الى اسواق العالم الخارجي[٣٠] .

(٢) صناعة التحف المعدنية :

من الصناعات التى اشتهرت بها الموصل ، صناعة التحف المعدنية واتقان تكفيت المعادن اتقانا لا مزيد عليه ، وقد نشطت هذه الصناعة في الموصل خلال القرنين السادس والسابع للهجرة ، واصبحت المثل في الجودة والاتقان، فقيل بحق ان اهل الموصل اهل تدقيق في الصناعات[٣١] .

وقد تأثرت صناعة التحف المعدنية بالموصل بتأثيرات ايرانية وارمينية كما تأثرت بالصناعات المحلية التي كانت معروفة في هذه البلاد قبل الاسلام وبعده ، ولم يكن صناع الموصل مقلدين في هذه الصناعة فحسب بل طبعوها بطابع خاص وتفننوا في تنويعها وتهذيبها حتى احتلت مدرسة الموصل المركز الاول في العالم الاسلامي في صناعة المعادن ، وتسابق الملوك والامراء وارباب الثروة في اقتناء مصنوعاتها من التحف المعدنية الثمينة لتزيين دورهم وموائد الطعام والشراب[٣٢] .

وامتازت صناعة التحف المعدنية في العصر السلجوقي بكثرة النقوش الادمية والحيوانية ، فقد كان السلاجقة من اكثر الناس تشجيعا ورعاية للفنون ، وكان يستهويهم فن الزخرفة وفن التصوير ، فأزدهر فن التصوير

---

(٣٠) الديوهجي : اعلام الصناع المواصلة ص٤٠ ، ٤١

(٣١) القزويني : اثار البلاد واخبار العباد ص١٨١

(٣٢) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص٥١-٥٢

في عهد السلاجقة ازدهارا عظيما[٣٣] ، واتقن صناع الموصل فن تطعيم التحف المعدنية بالفضة والذهب المعروف بالتكفيت مما اكسبها جمالا وابداعا عظيمين . وأصبح لمدرسة الموصل اثر كبير في تطور صناعة المعادن في سائر الاقطار الاسلامية ، ورحل كثير من صناعها الى القاهرة ودمشق وحلب وبغداد ، ونشروا صناعة التحف المعدنية في اسلوب فني يظهر فيه التأثر بأساليب مدرسة الموصل[٣٤] ، وقد ظهر هذا التأثر واضحا فيالصناعات المعدنية التي ترجع الى العصر المغولي في ايران فكانت العناصر الزخرفية مشابهة لما انتجته مدرسة الموصل في هذا الميدان[٣٥] .

وقد كانت مسطحات الاواني ترخى في عملية دقيقة سابقة للتكفيت[٣٦] ثم تكفت بعناية بدقائق من الفضة وشرائط من الذهب بشكل يجعل اللامس لهذه الاواني لا يحس بأثر التجسيم ، وتحمل هذه الاشياء اسماء صناع من الموصل ، واطلق اسم البرونز الموصلي على كافة هذه الطبقة من الاعمال الشرقية[٣٧] .

---

(٣٣) الديوهجي مجلة سومر المجلد العشرون ١٩٦٤ ص١٦٨
زكي محمد حسن : الفنون الايرانية في العصر الاسلامي مصر ١٩٤٠ ص٢٤٢

(34) Migeon : op. cit. P. 168 .

(٣٥) ديماند : الفنون الاسلامية ص١٥٨

(٣٦) التكفيت : طريقة للزخرفة توقم على حفر الرسوم على سطح المعدن او الخشب ثم تملىء الشقوق التي تؤلف هذه الرسوم بقطع من مادة اغلى قيمة كالذهب والفضة (زكي محمد حسن : الفنون الايرانية ٢٤١)

(٣٧) ارنست كونل : الفن الاسلامي ص٨١

ومن صناع الموصل الذين اشتهروا بأتقان فن التطعيم مسعود بن احمد الموصلي من صناع القرن السادس الهجري ، ومن اثاره قدر من النحاس المطعم والمزين بزخارف متنوعة جميلة كتب عليها اسم صانعه والذي قام بتطعيمه وسنة صنعه ، ومحمد بن عبدالواحد الموصلي وهو ممن يحسنون صنع الاواني التي تقدم للتطعيم ، عاش في القرن السادس الهجري[٣٨] .

(٣) التحف الفخارية والخزفية :

من الفنون والصناعات التي ورثها العرب عن الامم السابقة صناعة الفخار والخزف ولكنهم لم يقفوا عند حد ما ورثوه بل حاولوا ان يتطوروا بهذا الميراث ويرتقوا به الى اقصى ما وسعهم الجهد ، فقدموا للانسانية انواعا جديدة من الخزف لم تكن معروفة من قبل ، واصبحت الموصل مركزا هاما للصناعات الخزفية والفخارية في القرن السادس الهجري ، وكانت الاواني الفخارية تزدان بطرق عديدة كالضغط عليها وهي لا تزال لينة او بالحز في جدارها او بطريقة التخريم او التلوين او الاضافة وهذه الطريقة الاخيرة تتجلى لنا فيما يعرف بالباربوتين وهي وسيلة من وسائل الزخرفة التي كانت معروفة قبل الاسلام[٣٩] .

---

(٣٨) الديوهجي : اعلام الصناع المواصلة طبعة الموصل ١٩٧٠ ص١١٥ – ١١٨

(٣٩) محمد عبدالعزيز مرزوق ، فخار العراق وخزفه في العصر الاسلامي : سومر المجلد ٢٠ ص١٠١–١٠٢

وقد اعتنى الصناع المواصلة بزخرفة الاواني الخزفية بأشكال هندسية جميلة ، فكانوا يضعون حول الاناء صور حيوانات وطيور كالاسد والكبش والطاووس والحمام ، او تحلى بدلايات ملصقة مفرغة تفريغا يدل على موضوعات طريقة[٤٠] ، كما كانت توضع على ظاهر الاناء بعد صنعه صور حيوانات خرافية كبيرة ، كما كانوا يصورون على الاواني الخزفية النصف الاعلى لامرأة ، ويكون وجهها كاملا وعلى صدرها ورأسها حلى مختلفة[٤١] .

(٤) فن الحفر في الرخام وفي الجص وفي الخشب :

يعتبر فن الحفر في الرخام من الفنون القديمة التى ورثها العرب عن الاشوريين ، ثم اضافوا الى هذه الصناعة فيما بعد عناصر جديدة في الزخرفة والنقش والتطعيم توافق ذوقهم وعاداتهم ومعتقداتهم ، ويتوفر الرخام في القسم الشمالي من العراق وخاصة في الموصل وقد يكون مائلا للزرقة ويسمى (المرمر) وهو سهل القطع مطاوع للحفر ، وهذا ما جعل السكان يفضلونه على الاجر ، فأصبح مادة اساسية في ابنيتهم فأتخذوا منه الاقواس والمداخل والشبابيك وبلطوا به دورهم كما زينوا به القسم الاسفل من ابنيتهم منذ فجر الحضارة الاشورية[٤٢] .

وقد برع الفنان الموصلي في زخرفة الرخام فكان يطبق الرخام الازرق بالرخام الابيض او بالصدف ويكون هذا التطبيق اما بالكتابة بأحرف كبيرة

---

(٤٠) ارنست كونل : الفن الاسلامي ص٨١

(٤١) الديوه‌جي : الموصل في العهد الاتابكي ص٦٤ــ٦٥

(٤٢) الديوه‌جي : مجلة سومر مجلد ص١٦٧

او تكون على شكل الواح هندسية جميلة ، ولا تخلوا المنشآت الموصلية التي ترجع الى القرن السادس الهجري من المرمر المطعم بالصدف او المرمر الابيض[٤٣] ، ومن اعلام هذه الصناعة في الموصل نذكر : سنقر البغدادي الذي برز في فن النحت ، على الرخام ونقشه وحفره ، ومن اثاره التي تشهد ببراعته محراب الجامع النوري ، وهو قطعة فنية رائعة وتاريخ صنعه سنة ٥٤٢هـ[٤٤] ، ثم حاجى حضر بن بندر التبريزي الذي برز في النقش على الرخام ومن اثاره محراب في مسجد الصوفية في محلة (جهار سوق) وهو من المرمر القاتم يزدان بزخارف نباتية وكتابات بارزة وقد تم صنعه في سنة ٥٤٢هـ ، وعبدالرحمن بن ابي حمزة الموصلي من القرن السادس الهجري اشتهر بفن النحت وزخرفة الرخام والكتابة عليه . ومن اثاره حجر من الجرانيت كان على يمين الداخل الى حضرة الامام ابراهيم [٤٥] .

واتقن الفنان الموصلي ايضا الزخرفة في الجص التي اصبحت من اخص عناصر الزخرفة الرئيسية في المباني زينوا بها منشآتهم المدنية ، ويرجع الفضل في انتشار هذه الصناعة الى الصناع والبنائين من نصارى تكريت الذين نزحوا الى الموصل في اوائل القرن السادس الهجري واستقروا فيها .

وقد تخلف من اثار الموصل الواح فنية دقيقة تشهد بما كان لهم من التفوق وكانت مزيجا من الزخارف العربية المعروفة بسامراء والزخارف الحيوانية والنباتية التي نشرها السلاجقة في الموصل في مطلع القرن السادس الهجري فظهر في الزخارف الجصية عناصر طريفة تتمثل فيها صور اشخاص وطيور وحيوانات تزدان بها جدران المساجد والقصور والمنشآت الاخرى ،

---

(٤٣) الدويهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص٦٢-٦٢
(٤٤) نفس المرجع : اعلام الصناع المواصلة ص١٦٦
(٤٥) نفس المرجع : اعلام الصناع المواصلة ص١٦١ ـ ١٦٢ ـ ١٦٤

وقبة الجامع المجاهدي تزخر بهذا الفن من الزخرفة ، وكذلك محرابه الـذي تظهر في اعلاه الزخارف الجصية التي تتألف من زخارف نباتية تتخللها صور حيوانات كالاسد والغزال وطيور كالبط والحمام جعلت من هذا المحـراب اية في الفن الزخرفي ، بالاضافة الى الزخارف التي زين بها الجامع النوري والجامع العتيق وما تبقى من اثار دور المملكة المسماة (قره سراي)[٤٦] .

ولم يقتصر فن الزخرفة على الرخام والجص بل تعداه الى الخشـب وتطعيمه بالاصداف فقد برع الفنان الموصلي في استعمال الاخشـاب ذات اللون المغاير للخشب الذي يجري تطعيمه ، فكانت تظهر على هذه الاخشاب زخارف غائرة وبعضها بارزة تحيط باللوح ، وقد ظهرت زخارف بديعة فـي الباب الخشبي لجامع النبي جرجيس في الموصل[٤٧] .

ومن اشتهر بهذه الصناعة نوري بن يونس عاش في القرن الخامـس الهجري ، ومن اثاره الجميلة باب خشبي كان قد صنعه لحضرة الامام ابراهيم في الموصل سنة ٤٩٨هـ وكتب عليه اسمه وتاريخ صنعه ، وعلى بن ابـي النهى وابراهيم بن جامع وعلي بن سلامة ، وكان هؤلاء مـن مهرة النجارين الذين اشتهروا بدقة الزخرفة والكتابة على الخشب وعرفوا بالجزريين لانهم نزحوا الى الموصل من جزيرة ابن عمر ، ومن اثارهم الباقية منبر خشب كان بالجامع الكبير في مدينة العمادية[٤٨] .

---

(٤٦) ارنست كونل : الفن الاسلامي ص٦٨ ، ديماند في الفنون الاسـلامية ص١٠١
الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص٦١-٦٤

(٤٧) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص٦١

(٤٨) الديوهجي : اعلام الصناع المواصلة ص١٩٠ - ١٩٩

(٥) التصوير وتزويق الكتب :

عرف السلاجقة بحبهم للتصوير وتشجيعهم للمصورين ، وقد بدأ ظهور التصاوير في بعض الكتب في الموصل خلال حكم الولاة السلاجقة ومن بعدهم الاتابكة ، وبلغ ذروة تقدمه في عهد بدر الدين لؤلؤ ، واضحت الموصل مركزا هاما من مراكز فن التصوير الاسلامي ، وتمتاز التصاوير المنسوبة الى الموصل بتأثرها بالفن الايراني خاصة فيما يختص بالرسوم الادمية التي تشبه نظائرها فيما وصل الينا من التحف الخزفية المنسوبة الى الري ، وعنى فنانو الموصل بتجليد الكتب وزخرفتها وتزيينها بالنقوش البارزة على الغلاف باصباغ متنوعة ، كما كانوا يزينون اغلفة الكتب بتطعيمها بالذهب والفضة[٤٩] .

ومن اشهر مصوري العصر السلجوقي الامير عزالدين مسعود بن البرسقي نفسه ، فقيل انه كان متفوقا في التصوير والتزويرق والقص ، وكان يتخذ علامات بينه وبين عماله تكون للمراسلات سرية بينهما فاتخذ صورة غزال مع التوقيع علامة بينه وبين نائبه في مدينة حلب[٥٠] .

---

(٤٩) احمد تيمور باشا : التصوير عند العرب ص١١٣ مصر ١٩٤٠ ،
الديوهجي : اعلام الصناع المواصلة ص٢١١ ،
زكي محمد حسن : الفنون الايرانية ص٩١

(٥٠) ابن الاثير : الكامل ج١٠ ص٦٤٩

(د) عمـران الموصل واهم المنشآت السلجوقية

١ ـ العمـــران :

لم تنعم الموصل خلال العصر السلجوقي (٤٨٩ ـ ٥٢١هـ) بشيء من الهدوء والاستقرار ويرجع ذلك الى عدة عوامل منها تعرض الولاة في هـذه المرحلة للعزل من قبل السلاطين • الامر الـذي صرفهم عـن الاصلاحات الداخلية • ومنها اشتغالهم بالجهاد ضد الفرنج ومواجهة الخطـر الصليبي الذي كان يهدد المنطقة بأسرها مما طبع عهودهم بطابـع من القلق وعـدم الاستقرار بالاضافة الى اسهام حكام الموصل في الصراع الذي كان يـدور دائما بين سلاطين وملوك البيت السلجوقي منذ وفـاة السلطان ملكشـاه وادت هذه الظروف جميعا الى انصراف ولاة الموصل عن الاهتمام بالنواحي العمرانية في المدينة فشمل الخراب مناطق واسعة فيها ، واصبح القسم الشرقي انقاضا وردما لا يسكنه احد[٥١] • وقد اشار المؤرخ ابن الاثير الى ذلـك بقوله « كانت البلاد قبل ان يملكها ـ عمادالدين زنكي ـ خرابا من الظلـم وتنقل الولاة ومجاورة الفرنج »[٥٢] ، وقد ادى تدهور العمران في الموصل الى تقلص رقعتها ورحيل عدد كبير من السكان الى المناطق المجاورة • كمـا وصف ابن الاثير الخراب الذي لحق بالموصل في عصر الولاة بقوله : « فكان الخراب من محلة الطبالين الى القلعة والى دور السلطنة وكانت العرصـة

---

(٥١) الصايغ : تاريخ الموصل جا ص٢١٨ الديوهجي : الموصل في العهـد الاتابكي ص١١٧

(٥٢) ابن الاثير : الكامل ج١١ص١١١

ترى من قريب مسجد التركماني وهو قريب من الطبالين . وكان الجامع العتيق ايضا بلا عمارة البتة ، وكانت جميع المحال المجاورة للسور من سائر جهاته غير معمورة ، وكان ادنى العمارة من السور ما يكون رمية حجر . وكان الناس لايقدرون على المشي الى الجامع غير يوم الجمعة لبعده عن العمارة »[٥٣] ، ولم تنهض الموصل من عثرتها الا في العصر الاتابكي ، فأزدهرت ازدهارا لم تشهده من قبل ، واصبحت من امهات المدن الاسلامية في العصر الوسيط ، فأنتجعها الناس من كل صوب واتخذوها دار اقامة لهم . « ولم تزل العمارة تكثر في الموصل وغيرها حتى لقد ذهب كثير من المقابر وبنيت دورا »[٥٤] .

(٢)المنشآت الحربية :

اقتصر النشاط المعماري في عهد السلاجقة على المنشآت العسكرية واعمال التحصين الضرورية ، فشيدوا الاسوار والقلاع وحفروا الخنادق، تمكينا لوسائل الدفاع عن الموصل في حالة تعرضها لاي هجوم خارجي ،

١ ـ اسوار الموصل وابراجها :

يرجع تاريخ بناء اول سور لمدينة الموصل الى سعيد بن عبدالملك ابن مروان الذي تولى امارة الموصل في خلافة ابيه[٥٥] ، ثم تولى الموصل بعده

---

(٥٣) نفس المصدر : الباهر ص٧٧
(٥٤) نفس المصدر : الباهر ص٧٧
(٥٥) البلاذري : فتوح البلدان ص٣٤٧/٣٤٨

محمد بن مروان فجدد السور الذي بناه ابن اخيه سعيد ووسع نطاقه بسبب اتساع المدينة[٥٦] ، ثم اصبحت الموصل قاعدة بلاد الجزيرة في عهد مروان بن محمد الذي تولى امارتها سنة ١٠٢هـ[٥٧] ، فألحقها بالامصار وجعل لها ديوانا مفردا ، ونصب جسرها ، وبنى اسوارها[٥٨] .

وقد استمر سور الموصل قائما حتى سنة ١٨٠هـ عندما امر الخليفة العباسي هارون الرشيد بهدمه على اثر الثورة التي قام بها اهل الموصل ، فبقيت المدينة من غير سور حتى سنة ٤٧٤هـ حيث قام الامير مسلم بن قريش العقيلي ببناء سور قليل الارتفاع لافصيل له ولا خندق[٥٩] .

وظل السور على هذه الحال حتى سقوط دولة بني عقيل في سنة ٤٨٩هـ فوجد امراء الموصل السلاجقة ان هذا السور لا يقوى على الدفاع عن المدينة في حالة تعرضها لحصار شديد ، فقام شمس الدولة جكرمش سنة (٤٩٥ ـ ٥٠٠هـ) بتشييد سور الموصل وتقويته ، والظاهر انه رمم السور القديم وازد من ارتفاعه ، كما امر ببناء فصيل وحفر الخندق وحصن المدينة « غاية ما يقدر عليه »[٦٠] ، ولما تعرضت الموصل لحصار السلطان محمد سنة

---

(٥٦) الديوه‌جي : مجلة سومر (سور الموصل) المجلد السابع ج٢ص٢٢٦/ ٢٢٧ويذكر ابو زكريا الازدي ان الذى بنى سور الموصل محمد بن مروان (تاريخ الموصل حوادث سنة ٨٠هـ) كما ايد ذلك ياقوت في معجم البلدان ج٨ص١٩٥ ، ويرى بعض الباحثين ان محمد بن مروان ربما جدد السور الذى بناه سعيد بن عبدالملك .

(٥٧) كان مروان بن محمد قد تولى الموصل مرتين الاولى فيما بين سنتى ١٠٣ـ١٠٤هـ والثانية (١٢٦ـ١٢٧هـ) .

(٥٨) البغدادي : مراصد الاطلاع ج٣ص١٣٤

(٥٩) ابن الاثير : الباهر ص٧٨ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٣ص٢٥٦

(٦٠) نفس المصدر : الكامل ج١٠ص٤٢٤

٤٩٨هـ بادر جكرمش بالدفاع عن البلد فجدد سور الموصل ودعمه واحكم ابراجه ،وبذلك امكن للموصل ان تقاوم الحصار فشدد السلطان محمد هجومه على السور وزحف اليه بالنقابين والدبابات فأمر جكرمش بأن تفتح في السور ابواب صغيرة يخرج منها الجند لمهاجمة عساكر السلطان(٦١) .

ثم اضيفت الى السور اضافات جديدة في عهد جاولي سقاوه (٥٠٠ـ ٥٠٢هـ) حيث قام بتشييد السور واحكام المنشآت الحربية التي قام جكرمش ببنائها ، وتحصن داخل المدينة خوفا من عساكر السلطان محمد سنة ٥٠٢هـ(٦٢) .

وكان السور يمتد من باب المشرعة غربا تاركا الميدان خارجه حتى ينتهي في باب سنجار أي باب الميدان(٦٣) ، ولما آل حكم الموصل الى عمادالدين زنكي سنة ٥٢١هـ اهتم بتحصين عاصمة ملكه وتمكين نظامها الدفاعي فتعرض السور الى زيادات وترميمات عديدة ، فقد أمر زنكي نائبه نصير الدين جقر بالاشراف على بناء السور ، والزيادة في ارتفاعه ثم توسيعه من جهة الشمال بحيث يضم الميدان بما فيه من قصور الامارة ، كما أمر بتعميق الخندق زيادة على ما كان عليه(٦٤) ، وبذلك اصبح للموصل سورين احدهما من بناء السلاجقة والثانى هو السور الاتابكي الذى بناه زنكي ، ويؤيد ذلك ما ذكره المؤرخون عن حصار نورالدين محمود للموصل سنة ٥٦٩هـ .

---

(٦١) نفس المصدر : الكامل جـ١٠ ص٣٨٣
(٦٢) نفس المصدر : الكامل جـ١٠ ص٤٥٨
(٦٣) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص١٢٠/١٢١
(٦٤) ابن الاثير : الباهر ص٨ ٧

حيث انه « دخل من باب السر ، وركب فخرالدين عبدالمسيح وخرج يدور بين السورين »[٦٥] ، وقد وصف الرحالة ابن جبير حصانة الموصل ومناعة اسوارها وابراجها عند زيارته لها سنة ٥٧٩هـ بقوله : « هذه المدينة عتيقة ضخمة حصينة فخمة ، قد طالت صحبتها للزمن ، فأخذت اهبة استعدادها لحولات الفتن ، فقد كادت ابراجها تلتقي انتظاما لقرب مسافة بعضها من بعض ، وباطن الداخل منها بيوت بعضها على بعض ، مستديرة بجدارة المطيف بالبلد كله ، كان قد تمكن فتحها فيه لغلظ بنيته وسعة وضعه ، وللمقاتلة في هذه البيوت حرز ووقاية ، وهي من المرافق الحربية »[٦٦] .

ووصف ابن بطوطة اسوار الموصل[٦٧] فقال : « وعلى البلد سوران اثنان وثيقان ابراجهما كثيرة متقاربة ، وفي باطن السور بيوت بعضها على بعض مستديرة بجدارة قد تمكن فتحها فيه لسعته ، ولم ار من اسوار البلاد مثله »[٦٨] ، وكانت تنفتح بالسور تسعة ابواب تؤدي الى مختلف الجهات ، من هذه الابواب :

الباب العمادي الذي أمر بفتحه عمادالدين زنكي سنة ٥٢٧هـ[٦٩] ، ثم باب سنجار وهو من اوسع ابواب المدينة ، وباب كندة[٧٠] ، ثم باب

---

(٦٥) نفس المصدر : الكامل جـ١١ص٣٦٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ١ ص١٩٣ ، ابو شامة ، الروضتين جـ٢ص٧٧٤

(٦٦) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ص٢١٠ طبعة بيروت ١٩٥٩

(٦٧) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، طبعة مصر ١٩٥٨ جـ١ص١٤٨

(٦٨) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار طبعة مصر ١٩٥٨ جـ١ص١٤٨

(٦٩) ابن الاثير : الباهر ٧٨

(٧٠) نفس المصدر : الكامل جـ١١ص٤١٦ ، ابن شداد سيرة صلاح الدين العيني : عقد الجمان جـ٣/٣١ ص٦٤٦

الجصاصة ، والباب الغربي الذي اقامه عزالدين مسعود بين باب كندة وباب العراق وباب الجسر وباب المشرعة وباب القصابين[٧١] .

٢ـ القلعـــة :

تعتبر القلعة من اهم المرافق الحربية في المدينة وتشكل مركز الدفـاع الرئيسي عن المدينة ، فهي معقل الجيش ومستودع الذخيرة والعدد الحربية، وكثيرا ما صمدت القلعة في وجه المهاجمين بفضل استبسال حاميتها في الدفاع عنها ، وكان الولاة يختارون لحكم القلعة اكفـأ امراء العسكر المعروفين بالشجاعة والدراية في شؤون الحرب ، وكان يطلق على الواحد منهم لقب (دزدار القلعة) ، وكان يحيط بالقلعة سور محكم البنيان والبروج ويحيط بالسور خندق يفصل القلعة عما يجاورها من الاراضي ، ويكون للقلعـــة باب او اكثر تبعا لسعتها ، ولها باب رئيسي يفتح في النهار ويعتبر المدخـــل الوحيد للاتصال بحامية القلعة ، كما كان لها باب سري وهو باب صغيـر يؤدي الى النهر اذ كانت القلعة تقع على نهر واذا كانت قريبة من عين مـاء فأنهم كانوا يتخذون في القلعة طريقا على شكل نفق يصل بينها وبين منبـع العين ينزل فيه بدرجات تبنى داخل النفق وهذا يقوم مقام باب السر[٧٢] .

وكان موضع قلعة الموصل بالقرب من دور المملكة الى الشمال مـــن المدينة على الارض المرتفعة التي تشرف على نهر دجلة[٧٣] ، وأول ذكر للقلعة

---

(٧١) نفس المصدر : الباهر ص٩٣ ، ٨٩ ا

(٧٢) الديوه‌جي مجلة سومر ، المجلد العاشر : الجزء الاول ص٩٦

(٧٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص٢١٠ ، ابن الاثير ، الباهر ص٧٧

كان في عام ٤٥٠هـ حيث ورد في حوادث ذلك العام ان البساسيري وقريش ابن بدران العقيلي كانا قد هاجما الموصل بعد رحيل ابراهيم بن تنال عنها ، وحاصر البساسيري القلعة اربعة اشهر ، ولما استولى عليها هدمها وعفى اثرها(٧٤) . ولم ترد بعد ذلك أي اشارة عن اعادة بناء هذه القلعة خلال حكم بني عقيل في الموصل ، واغلب الظن ان اعيد بناؤها في العصر السلجوقي ، على يد الامير شمس الدولة جكرمش (سنة٤٩٥ـ٥٠٠هـ) ، الذى عرف بحرصه واهتمامه بتحصين الموصل وبناء الاستحكامات العسكرية في المدينة ، حين شرع في تعمير السور وبناء فصيل عليه بالاضافة الى قيامه بحفر الخندق(٧٥) ، وعين جكرمش درزدارا للقلعة يعرف بأسم غزغلي ، وقد قام الاخير بدور بارز في الدفاع عن الموصل خلال الحرب التي نشبت بين جكرمش وجاولي سقاوه سنة ٥٠٠هـ(٧٦) ، ويبدو ان القلعة كانت كبيرة تتسع لعدة الاف من الجند ويظهر ذلك في حوادث سنة ٥٠٢هـ حيث ورد ان جاولي سقاوه حين اضطر للرحيل عن الموصل ، بعد صدور قرارالسلطان محمد بعزله عن الولاية ، اسكن زوجته القلعة وترك معها « ألف وخمسمائة فارس من الاتراك ، سوى غيرهم وسوى الرجالة »(٧٧) .

ووصف الرحالة ابن جبير القلعة عند زيارته للموصل بقوله : « في اعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناءها رصا ، ينتظمها سور عتيق البنية مشيد البروج ، بها دور السلطان ، وقد فصل بينها وبين البلد شارع متسع يمتد

---

(٧٤) سيرة المؤيد في الدين ص١٧٨/١٧٩ ،ابن الاثير ، الكامل ج٩ص٢٣٩

(٧٥) مجلة سومر ، المجلد العاشر الجزء الاول ص١٠٠

(٧٦) ابن الاثير : الكامل ج١٠ص٤٢٤

(٧٧) ابن الاثير : الكامل ج١٠ص٤٥٨

من اعلى البلد الى اسفله ، ودجلة شرقى البلد ، وهـي متصـلة بالسـور وابراجه في مائها»[٧٨] ، ووصف ابن بطوطة القلعة بانها « عظيمـة الشـأن شهيرة الامتناع عليها سور محكم البناء مشيد البروج[٧٩] وكان للقلعـة ابواب منها : الباب المعروف بباب القلعة وهو المؤدي الى الميدان الـذي يتوسط الموصل ثم باب السر وهو امنع ابوابها واحصنها ويؤدي الى نهـر دجلة[٨٠] ، وكان نورالدين محمود قد اقسم عند حصاره للموصـل سـنة ٥٦٦هـ ان يدخلها من احصن موضع فيها فدخل من باب السر[٨١] ، وقـد استمرت القلعة قائمة حتى سنة ٦٦٠هـ ــ ١٢٦٠م حيث هاجم المغول الموصل وشددوا الحصار على القلعة ورموها بالاحجار والنار فدخلـوا المدينـة وهدموا قلعتها واصبحت بعد ذلك خرابا[٨٢] .

وكانت الموصل تضم عدة قلاع بنيت في ادوار مختلفة اقدمها الحصن الاشوري الذي يعلو تل قلبعات اعلى الموصل ، ثم هناك القلعة التـي بنيت في القرن الرابع الهجري[٨٣] ، والحصن الذي كان يتوسط المدينـة ووصفه المقدسي بقوله : « في الموصل شبه حصن يسمى المربعة علـى نهـر زبيدة ، ويعرف بسوق الاربعاء داخله فضاء واسع »[٨٤] .

---

(٧٨) ابن جبير ص٢١٠

(٧٩) ابن بطوطة جا ص١٤٨

(٨٠) الديوهجى : الموصل في العهد الاتابكى ص١١٩

(٨١) ابن الاثير : الكامل ج١١ ص٣٦٤

(٨٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص٢٤٦/٣٤٧ ، الذهبى : دول الاسلام ج٢ ص١٣٨

(٨٣) الديوهجى مجلة سومر ، المجلد العاشر الجزء الاول ١٩٥٤ ص٩٤

(٨٤) المقدس : احسن التقاسيم ص١٣٨

(٢)

الحيـــاة العلميـة بالموصـــل

ا ـ المدارســ ودور العلـــم

ب ـ المساجـد ودور الحديـث والاربطة

جـ ـ شـــيوخ العصـر

ا ـ المدارس ودور العلـم :

كانت خطة المسلمين في أول عهدهم بالفتوحات ان يؤسسوا جامعا في كل مدينة يتم لهم فتحها[٨٥] . وقد أقيم بالموصل اول مسجد جامع في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، حين ولى عليها هرثمة بن عرفجه البارقي . « فأنزل العرب منازلهم واختط لهم ، ثم بنى المسجد الجامع »[٨٦] ، ثم تتابع بعد ذلك المساجد في العصور المختلفة ، وأصبحت هذه المساجد مراكز لنشر العلوم الدينية واللغوية ، في الموصل ، ثم قام ابو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الفقيه الشافعي بتأسيس اول دار للعلم في الموصل (٢٤٠هـ ـ ٣٤٤هـ) . وكانت تضم خزانة كبيرة للكتب شملت كثيرا من العلوم الدينية والدنيوية وبذل فيها الكتب وادوات الكتابة لكل طالب علم[٨٧] .

ثم ازداد نشاط الحركة العلمية في الموصل في عهد الامراء الحمدانيين الذين عرفوا بشغفهم للادب وجمعهم بين « السيف والقلم » فأزدهرت في ايامهم العلوم والاداب واجتمع على ابوابهم من الشعراء ما لم يجتمع على باب احد من الملوك بعد الخلفاء[٨٨] ، ومن علماء الموصل وشعرائها الذين برزوا في عهدهم : الشاعر السري الرفاء ابو الحسن بن احمد صاحب كتاب الديرة في النصف الاول من القرن الرابع الهجري ، والجغرافي الشهير ابو

---

(٨٥) سالم : التخطيط ومظاهر العمران في العصور الاسلامية الوسطى : مجلة المجلة عدد ٩ سنة ١٩٥٧ ص٥٤/٦٣

(٨٦) البلاذري : فتوح البلدان ص٣٣١ طبعة ليدن

(٨٧) الديوهجي : مدارس الموصل : مجلة سومر المجلد ١٣ ص١٠١/١٠٩

(٨٨) الثعالبي : يتيمة الدهر ج١ ص٧ـ٨

احمد بن حوقل صاحب كتاب المسالك والممالك (اواسط القرن الرابع الهجري) وابو الفتح عثمان المعروف بأبن جني ، صاحب المصنفات العديدة التي نذكر منها كتاب الخصائص وكتاب سر الصناعة ، كما لعبت الاديرة دورا بارزا في الحركة العلمية والادبية في القرن الرابع الهجري ، واشتهر من رجالها عمانوئيل بن شهاري مؤلف كتاب (الاوكساميرون) أي الايام الستة وكان معلما في مدرسة الدير الاعلى وهو دير مار جبرائيل ، وايشو عياب بن شهاري المعلم في دير ميخائيل على نهر دجلة(٨٩) .

الا ان هذه النهضة العلمية لم تلبث ان اصابها الجمود في العصر العقيلي ، فبأستثناء الحركة الادبية لا نلمح في هذا العصر البريق الذي كنا نشهده بوضوح زمن الحمدانيين ، ولا يعني ذلك ان الحركة العلمية في هذا العهد اصيبت بالشلل . ولكنها كانت تسير في اعياء وضعف اذا ما قورنت بما كانت عليه من نشاط في العصور السابقة ، ويرجع ذلك الى حالة الاضطراب وعدم الاستقرار التي سادت حكم بني عقيل في المنطقة(٩٠) .

ثم ادى انتقال السلطة الى الولاة السلاجقة في سنة ٤٨٩هـ الى تأخر مظاهر الحضارة والعمران في الموصل بسبب كثرة الفتن والاضطرابات التي شملت هذا العصر(٩١) ، وعدم استقرار السياسية الداخلية للسلاجقة واشتغالهم بمدافعة قوى الصليبيين في الجزيرة وبلاد الشام ، فأنعكس ذلك كله على الحياة العلمية في البلاد فقد اضطر الولاة الى الانصراف عن الاهتمام

---

(٨٩) الصايغ : تاريخ الموصل جا ص١٤٢ ، ٢٥ ١
(٩٠) المعاضيدى : دولة بنى عقيل في الموصل ص٢٠٢
(٩١) السبكى : طبقات الشافعية ج٣ص١٣٧ ، حسين امين : العراق فى العصر السلجوقى ص٤٢٤ .

بالعلم ومدارسه الى فض المشاكل والفتن والاشتغال بالحروب ، ولم يرد في كتب المؤرخين ما يشير الى قيام احدهم ببناء مدرسة او معهد للعلم او دار للحديث في هذه المرحلة ، ومع ذلك فقد استمرت دور العلم والمعاهد الدينية القديمة تؤدي دورها دون المستوى الذي كانت عليه في العصر الحمداني ، الا ان ذلك لم يمنع بعض العلماء والفقهاء من بناء المدارس او دور العلم او المساجد في العصر السلجوقي كما ان الاديرة المنتشرة بظاهر الموصل ظلت تؤدي رسالتها في نشر الثقافة والعلوم المختلفة .

ومن بين المدارس التي انشئت في أواخر القرن الخامس الهجري ، المدرسة النظامية نسبة الي الوزير السلجوقي نظام الملك الذي يرجع اليه الفضل في تأسيس المدارس في بغداد والبصرة وبلخ ومرو ونيسابور وهراة واصفهان ، وانشأ في كل مدينة في العراق وخراسان مدرسة[٩٢] ، وكان نظام الملك قد بنى هذه المدرسة للقاضي ابي بكر محمد بن علي بن الحسن بن ابي خالد الخالدي المعروف بالسديد قاضي الموصل ، وكانت تقع بالقرب من الجامع النوري[٩٣] ، كما انشأ بالموصل مدرسة اخرى في العصر السلجوقي تعرف بالمدرسة الكمالية القضوية ، بناها ابو الفضل محمد بن ابي محمد عبدالله ابي القاسم الشهر زوري الملقب بكمال الدين الفقيه الشافعي ، (٤٩٢ ــ ٥٧٢هـ) ، وقد اوقف بناء هذه المدرسة على الفقهاء الشافعية واوقف لها اوقافا كثيرة للنفقة عليها وعلى من يعلم ويتعلم بها[٩٤] .

---

(٩٢) السبكى : طبقات الشافعية ج٣ص١٣٧ ، حسين امين ، العراق فى العصر السلجوقى ص٢٢٤ .

(٩٣) ابن الاثير : اللباب في تهذيب الانساب ج١ص٢٩٩ مصر ١٢٥٧هـ

(٩٤) ابن خلكان وفيات الاعيان ج١ص٧٢ ٤

ب : المساجد ودور الحديث والاربطة :

والى جانب المدارس ظل المسجد يؤدي دورا رئيسيا في الحياة العلمية، فلم تكن المساجد تخلو من حلقات الدروس وخزائن كتب موقوفه ، ومن بين المساجد التى اتخذت معاهد للعلم في الموصل مسجد العماد بن الجلادين وكان يضم خزانة كتب موقوفه على اهل العلم ، وممن درس بهذا المسجد ثابت بن قره الحاوي وعنه اخذ محيي الدين بن العربي[٩٥] .

وكان لدور الحديث والاربطة نصيب وافر في نشر العلم والمعرفة ، فلم تكن الاربطة مقصورة على التعبد والتزهد ، بل كانت مواضع للتصنيف والاقراء والتفقيه ، والاجازة والمحاضرات ، وكان لخزائن الكتب فيها قوام يتولون خزنها وصياتتها ومناولتها وترتيبها وكانت هذه الاربطة بمثابة منازل للعلماء الراحلين من بلد الى اخر في طلب العلم او نشره او في أمر من الامور الخاصة بالدين[٩٦] .

اما دور الحديث فكان يدرس فيها اقوال النبي (عليه الصلاة والسلام) وافعاله واحواله من حيث الرواية واتصال الاحاديث بالرسول (صلى الله عليه وسلم) ، واحوال رواتها ثم من حيث الاسناد اتصالا وانقطاعا ، كما تتناول هذه المدرسة ايضا المعنى المفهوم من الفاظ الحديث والمراد منها ، مبنيا على قواعد اللغة وضوابط الشريعة ومطابقا لاحوال النبي (صلى الله لعيه وسلم)[٩٧] .

---

(٩٥) الديوه‌جي : الموصل في العهد الاتابكى ص٥٣ ١

(٩٦) مصطفى جواد : دور الحديث (مجلة سومر المجلد ١٠ج٢)ص٢٢٤–٢٣٣

(٩٧) حاجى خليفه : كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون ج١ ص٦٣٥ طبعة استانبول ١٩٤١

ومن الرباطات التي انشئت بالموصل في اوائل القرن السادس الهجري، رباط الشيخ قضيب البان ابا عبدالله الحسين قضيب البان بن ابي ربيعة عيسى بن ابي الخضر الموصلي (سنة ٤٧١ ـ ٥٧٣هـ) ، ويقع خارج باب سنجار . وقد دفن الشيخ قضيب البان في رباطه هذا وقبره في حجرة تجاور المصلى من الجهة الغربية[٩٨] ، ثم الرباط المنسوب الى كمال الدين بن الشهر زوري (٤٩٢ ـ ٥٧٢هـ) ، الذي انشأ بالموصل اوائل القرن السادس الهجري[٩٩] .

وعن دور الحديث التي انشئت بالموصل خلال هذه المرحلة نذكر دار الحديث المهاجرية التي اقامها ابو القاسم علي بن مهاجر بسكة ابي نجيح في الموصل ، ويرى بعض الباحثين ان هذه الدار انشئت في النصف الاول من القرن السادس الهجري وممن تولى مشيختها ابو اسحق البرني المتوفى سنة ٥٥٢هـ[١٠٠] .

جـ ـ شيوخ العصر :

(علماء الموصل وفقائها وشعراؤها في العصر السلجوقي) :

برز بالموصل عدد من الاعلام في مختلف العلوم والمعرفة كان لهم دور بارز في تطور الثقافة والعلم في الموصل خلال القرن الخامس والسادس

(٩٨) الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص٥٥ .
(٩٩) نفس المرجع : الموصل في العهد الاتابكي ص١٥٨
(١٠٠) العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ٥ص١٠٠ ، الديوهجي : الموصل في العهد الاتابكي ص١٥٤

الهجريين ، ومن العلماء الذين عاصروا حكم الولاة السلاجقة نذكر اسرة الشهر زوري ، وكان جدهم القاسم ابن المظفر بن علي بن قاسم الشهر زوري المتوفى سنة ٤٨٩هـ حاكما بمدينة اربل وانجب اسرة علمية نبغ افرادها في العلوم والاداب والفقه نذكر منهم ، احمد بن القاسم الشهر زوري (٤٥٣ ــ ٥٣٨هـ) الذي ولي القضاء في عدد من مدن الجزيرة ، وكان من فضلاء مزانه ، والمرتضى عبدالله بن القاسم الشهر وزري (٤٦٥ــ٥١١هـ) الذي ولي القضاء في الموصل ، وكان يجيد نظم الشعر وله قصيدة عرفت بالقصيدة الموصلية ويغلب على شعره التصوف[١٠١] . وابو الفضل محمد بن أبي محمد عبدالله بن ابي القاسم الشهر زوري الملقب كمال الدين الفقيه الشافعي (٤٩٢ ــ ٥٧٢هـ) وكان مشهورا بالفقه والادب ونظم الشعر ، وكانت له ارقاف كثيرة بالموصل ونصيبين ودمشق والمدينة المنورة[١٠٢] ، وابو الحسن السراج الجهني المتوفى سنة ٥٢٩هـ ، وكان اماما ورعا عاملا بعلمه[١٠٣] ، والشيخ قضيب البان الموصلي الذي ولد بالموصل سنة ٤٧١هـ وتوفى بها سنة ٥٧٣هـ وقيل سنة ٥٧٠هـ ، وقد اخذ الحديث والفقه عن الشيخ ابي الحسن على بن ادريس وغيره وصحب الشيخ عبدالقادر الكيلاني[١٠٤] ، ومنهم تاج الاسلام ابو عبدالله الحسين بن نصر بن محمد بن الحسين بن القاسم المعروف بأبن خميس الكعبي الموصلي المتوفى سنة ٥٥٢هـ ، الذي صنف كتابا سماه طبقات الاولياء او مناقب الابرار في محاسن الاخيار[١٠٥] ،

---

(١٠١) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ٢ص٢٥٣ــ٢٥٤

(١٠٢) نفس المصدر : وفيات الاعيان جـ١ص٤٧٢

(١٠٣) السبكي : طبقات الشافعية جـ٤ص٢٧٨ طبعة مصر ١٣٢٤هـ

(١٠٤) ابن خياط الموصلي : ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء ص٧٠ و٧٢ ــ الموصل ١٩٦٦

(١٠٥) نفس المصدر : الاولياء في الموصل الحدباء ص١٦

وابن ابي عصرون التميمي الموصلي (٤٩٢ ـ ٥٨٥هـ) وكان اماما لاصحاب الشافعي في عصره وصاحب الفتاوى المشهورة[١٠٦] . وابو المحاسن المجمعي الموصلي الحنبلي المتوفى سنة ٥٧١هـ ، وكان من فقهاء الحنابلة المواصلة ، جمع كتابا اشتمل على طبقات الفقهاء من اصحاب الامام احمد[١٠٧] . وسعيد بن المبارك النحوي (٤٩٤ ـ ٥٦٩هـ) الذي يعد من اعيان النحاة وافاضل اللغويين وله تصانيف مختلفة منها : تفسير القرآن في اربع مجلدات ، وشرح الايضاح لابي علي الفارسي في اربعين مجلد ، والغرة في شرح اللمع لابن جني[١٠٨] ، وعلي بن خليفة النحوي المعروف بأبن المنقى الموصلي المتوفى سنة ٥٦٢هـ وكان اماما فاضلا تأدب عليه اكثر اهل بلده وصنف مقدمة في النحو سماها « المعونة » كما كان يجيد نظم الشعر[١٠٩] .

ومن اشهر الشعراء الذين نشأوا في الموصل في هذه الفترة نذكر : محمد بن شقاقا الموصلي المتوفى سنة ٥٣٣هـ ، وعلي بن ابي الوفا الموصلي المتوفى سنة ٥٤٣هـ وابن ابي دره الموصلي المتوفى سنة ٥٤٥هـ[١١٠] ، وابن مسهر الموصلي المتوفى سنة ٥٤٣هـ وكان له ديوان شعر كبير يقع في مجلدين[١١١] ، وابو اسماعيل مؤيدالدين بن علي الاصبهاني المعروف بالطغرائي صاحب لامية العجم وهي من فرائد الشعر ، كما كان له ديوان معروف بأسمه ، وكان عالما متفننا متضلعا في سائر العلوم ولا سيما الكيمياء، وشغل منصب الوزارة في الموصل للملك مسعود بن محمد[١١٢] .

---

(١٠٦) السبكي : طبقات الشافعية ج٤ص٢٣٧/٢٣٩
(١٠٧) العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٤ص٢٤٠/٢٤١
(١٠٨) ياقوت : معجم الادباء ج١١ص٢١٩و٢٢٣
(١٠٩) نفس المصدر : معجم الادباء ج١٣ص٢١٥ ، ٢١٧
(١١٠) ابن حلكان : وفيات الاعيان ج٢ص٣٤١ـ٣٤٣ـ٤١١
(١١١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص٤٨ ٣
(١١٢) ابن خلدون ج٥ص٥٠

خاتمـــــــة

لقد توصلنا من خلال دراسة هذه الفترة من تاريخ الموصل الـى عدة نتائج تؤكد اهمية الدور الذي مارسته امارة الموصل في تلك المرحلةالخطيرة من التاريخ الاسلامي في العصر الوسيط قام السلاجقة بدور حاسـم فـي هذه الاحداث السياسية ، وتهيأ لهم الاسهام في مصائر المنطقة ، ويبرز هذا الدور بوجه خاص في علاقاتهم مع سلاطين السلاجقة عندما تفجر الصراع بين السلاجقة بعد وفاة السلطان ملكشاه وتعقد الموقف السياسي وهنـا لم يتردد ولاة الموصل عن الاسهام في هذا الصراع بنصيب وافر وفقا لمـا يتفق مع مصالحهم الذاتية ، وعلى هذا النحو تذبذب وكلاؤهم لهذا السلطان او ذاك حسب رصيده في النصر او الهزيمة حفاظا علـى نفوذهـم وضمانا لاستمرار حكمهم على البلاد وعلى الرغم من ارتباط ولاة الموصل المباشـر بالسلطان السلجوقي في هذه المرحلة الا ان ذلك لم يمنع بعض هؤلاء الولاة من التطلع الى الاستقلال والانفصال عن السلطنة السلجوقية ، واتخاذمواقف عدائية مع السلطان ، الامر الذي يؤدي احيانا الى نشوب الحرب بينهمـا وقد ينتهي الأمر بعزل الوالي عن الولاية بالقوة ، كما وضح ذلك خلال حكم الامير جاولي سقاوه الذي كان قد شق عصا الطاعة على السلطان محمـــد وظاهر اعداءه ، وثمة حقيقة اخرى برزت من خلال هذه الدراسة هيمحاولة استغلال احد امراء الموصل اتابكيته للملك مسعود الذي كان مقيما معه في الموصل فحرضه على الخروج على طاعة اخيه السلطان محمود واطمعه بطلب السلطنة لنفسه وانتهى الأمر بأشتراكهما في حرب السلطان الشرعي ، وايـا ما كانت نتيجة هذه المحاولة فقد اكدت حقيقة وضع السلطنة السلجوقية .

واثبتت ضعف سيطرتها على الاقاليم في نفس الوقت الذي يعكس فيه سياسة الولاة نحو السلطنة السلجوقية ، وسعيهم الى الحصول على مزيد من النفوذ والتحكم بأمور البلاد . اما فيما يخص موضوع العلاقات من الخلافة العباسية فقد تبين من هذه الدراسة ان امارة الموصل لم تكن في هذه المرحلة من تاريخها بمنأى عن الاحداث السياسيه التي كانت تجري في دار الخلافة ، فلم يتردد ولاتها في تسخير امكانياتهم العسكرية لخدمة الخلافة ومنهم البرسقي الذي وقف الى جانب الخليفة المسترشد بالله خلال صراعه ضد دبيس بن صدقة امير الحلة ، وحمى بغداد ودار الخلافة مما كان يهددها من النهب والسلب الذي توعدها به وبيس وتمكن البرسقي بعد سلسلة من المعارك من ايقاع الهزيمة بأمير الحلة في سنة ٥١٧هـ .

اما عن النتائج المترتبة على جهاد الموصل ضد الصليبيين فقد وضح من دراستي لهذه الفترة اهمية وخطورة الدور الذي اضطلعت به امارة الموصل منذ وصول الطلائع الاولى للحملة الصليبية الى مشارف بلاد الشام والجزيرة، فوقع على عاتق ولاتها مهمة قيادة حركة المقاومة ضد الفرنج . وتدعيم الجبهة الاسلامية من اجل الوقوف في وجه الخطر الصليبي الذي بات يهدد المنطقة بأسرها فأرست بذلك حركة الجهاد الاسلامي في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الصراع ضد الغزاة الصليبيين .

وعلى الرغم من الفشل الذي منيت به حملة كربوقا على انطاكية في سنة ٤٩١هـ الا انها اكدت حقيقة الشعور بمسؤولية مقاومة العدوان ووضعت اللبنة الاولى لحركة الجهاد ، كما انها رسمت بداية الطريق الذي سار عليه ولاة الموصل بعد كربوقا وقد تهيأ لبعض امراء الموصل ان يحققوا انتصارات هامة على الفرنج سواء في اقليم الجزيرة او في شمال الشام فنجح شمس الدولة جكرمش وحليفه سقمان الارتقي في احراز نصر حاسم على الصليبيين

في موقعة حران في سنة ٤٩٧هـ ادى الى وقوع معظم زعمائهم في أسـر المسلمين وفي مقدمتهم بلدوين امير الرها نفسه وجوسلين صاحب تل باشر ، وقد كان لهذا الانتصار اهمية بالغة في دفع حركة الجهاد الاسلامي اذ جاء بعد فترة من الشلل والركود اصاب حركة الجهاد بعد فشل حملة كربوقـا السابقة على انطاكية ، فكان ذلك حافزا للمسلمين على استئناف حركـة المقاومة ضد الفرنج .

ثم بدأت بحكم مودود صفحة جديدة في تاريخ جهاد الموصل ضـد الصليبيين ، وعاد الى امارة الموصل دورها القيـادي في حركـة المقاومة الاسلامية وقاد مودود عددا من الحملات العسكرية ضد المواقع الصليبيـة في الجزيرة وبلاد الشام ، واولى امارة الرها الصليبية اهتماما خاصا لما كان يعلمه من خطورة قيام هذه الامارة على خطـوط المواصلات بين الشـام والعراق ، وتهديدها المتواصل للقوى الاسلامية في الجزيرة وديار بكـر ، وعلى الرغم من اخفاق مودود في الاستيلاء على الرها . الا انه نجح في اخلاء اقليم الجزيرة من العناصر التي كانت تقدم العون والمساعدة للصليبيين في امارة الرها وسروج ، فمهد السبيل بذلك لعمادالدين زنكي الذي تـوج انتصاراته بأستيلائه عليها في سنة ٥٣٩هـ . ولم يقتصر نشاط مودود علـى قتال الصليبيين في الجزيرة ، بل تجاوز ذلك الى عمق بلاد الشام دفاعا عـن دمشق ، فأوقع بالصليبيين ضربات موجعة في موقعة الصنبرة التي حدثت عـام ٥٠٦هـ .

ومن بين الحقائق التي توصلت اليها من خلال دراستي عن دور الموصل في الجهاد ضد الفرنج اعتبارها مركزا للامداد والعون الرئيسي للجهاد فاليها تطلع اهل الشام في اللحظات الحرجة التي يتوقف عليها مصائرهم للذب عـن بلادهم ودفع الخطر الصليبي عنهم ، وقد اوضحت هذه الحقيقة عندمـا

تعرضت لدراسة الهجوم الذي تعرضت له حلب في سنة ٥١٨هـ ، اذ لم يجد اهلها بعد ان اوشكت المدينة على السقوط بدا من طلب العون والمساعدة من أمير الموصل الذي لم يتردد في التوجه الى الشام وانقاذ حلب من خطر الاستسلام لقوى الفرنج وحلفائهم الذين كانوا يطمعون في الاستيلاء عليها، وفي نفس الوقت تحقق للبرسقي امله في ضم حلب الى الموصل فمكن بذلك من نفوذه في الشام واصبح يمثل خطرا كبيرا على الصليبيين ، وادي احساسه هذا بقوته الى ثقته في النصر ومتابعة الجهاد ، ونجح في الاستيلاء على كفر طاب في السنة التالية ، ولكن الصليبيين لم يلبثوا ان حشدوا قواتهم من مختلف بلاد الشام والحقوا بالبرسقي هزيمة ساحقة ، ولم يتهيأ لامير الموصل بعد ذلك القيام بحملة جديدة اذ ما لبث ان لقى مصرعه بعد عام واحد من هذه الهزيمة .

اما عن سياسة امراء الموصل نحو الامارات الاسلامية والقوى المجاورة هذا الدور خاصة فيما يتعلق بالارتفاع بالقيم الفنية لمختلف الصناعات فقد وضح ان أمراء الموصل كانوا يسعون الى فرض سيطرتهم على هذه القوى واتاح لهم دورهم القيادي لحركة الجهاد فرض هيبتهم على اقليم الجزيرة وديار بكر ، سيما وان الموصل كانت أنذاك اكبر الامارات الاسلامية في اقليم الجزيرة .

وقد مارس حكام الموصل دورهم السياسي بأعتبارهم نوابا عن السلطان السلجوقي في حكم البلاد ، فشرعوا في اخضاع امراء القوى المجاورة بأسم السلطان السلجوقي .

وفيما يخص دور امارة الموصل الحضاري في هذه المرحلة ، فقد ابرزت والفنون فقد اصبحت للموصل مدرسة في التصوير وتطعيم النحاس والرخام وصناعة الفخار اثبتت وجودها وكيانها في العالم الاسلامي ، وتركت بصمات واضحة ظهرت في العصور التالية واثرت تأثيرا عميقا في تطور هذه الفنون في مصر والشام في العصر المملوكي . وقد رحل كثير من صناعها الى القاهرة ودمشق وحلب وبغداد ، ونشروا اساليبهم التقليدية في فن صناعة التحف المعدنية .

وظهر هذا التأثير الموصلي واضحا في الصناعات المعدنية التى ترجع الى العصر المغولي في ايران ، فكانت العناصر الزخرفية مشابهة لما انتجته مدرسة الموصل في هذا الميدان .

والله اسأله التوفيق ...

مصادر الرســالة

اولا : المصادر العربية المخطوطة

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة

ثالثا : المصادر الفارسية

رابعا : المراجع العربية الحديثة

خامسا : المراجع الاوربية المعربة

سادسا : المصادر والمراجع الاجنبية

....

اولا : المصادر العربية المخطوطة :

— **الثعالبي (ابو منصور عبدالملك)**
— تحفة الوزراء منسوب للثعالبي ، نسخة مصورة في مكتبة الدكتور حسين امين (بغداد)
— **الذهبي (شمس الدين ابو عبدالله)**
— تاريخ الاسلام ومشاهير الاعلام — دار الكتب المصرية ٤٢ تاريخ
— **الحموي (ابراهيم بن عبدالله)**
— — التاريخ المظفري — مكتبة بلدية الاسكندرية ١٢٩٢ب
— **الحلبي (احمد بن محمد بن علي الحلبي)**
— ملخص تاريخ الاسلام للذهبي ٦ مجلدات — مكتبة الاوقاف بغداد ٥٨٨٥ .
— **العيني (بدرالدين بن محمود)**
— عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان — دار الكتب المصرية ١٥٨٤ تاريخ .
— **النويري (شهاب‌الدين احمد)**
— نهاية الارب في فنون الادب — دار الكتب المصرية نسخة مصورة ج ٢٦ .
— **ابن الجزري (شمس الدين الخير)**
— ملخص تاريخ الاسلام مكتبة بلدية الاسكندرية ١٠٧٢ — ر
— **ابن الفرات (ناصرالدين محمد)**
— تاريخ الدول والملوك ميكرو فيلم معهد المخطوطات جامعة الدول العربية — القاهرة
— **مجهول — تاريخ الدول العباسية مكتبة الاوقاف بغداد ١٠٢٠٤**

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة :

— **ابن الاثير (عزالدين علي بن ابي اكرم)**
الكامل في التاريخ طبعة بيروت ١٩٦٦ .
— **ابن الاثير — التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، تحقيق الدكتور عبدالقادر طليمات ١٩٦٣**

ـــ الاربلي (سنبط فنيقو الاربلي)
ـــ خلاصة الذهب المسبوك طبعة ١٨٨٥
ـــ الاصطخري (ابو اسحاق ابراق)
ـــ المسالك والممالك ، ليدن ١٩٢٧
ـــ البكري (عبدالله)
ـــ معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواقع مصر ١٣٦٤هـ
ـــ البنداري (الفتح بن علي)
ـــ تاريخ دولة آل سلجوق مطبعة الموسوعات ـ مصر ١٩٠٠م
ـــ الجاحظ (عمرو بن بحر)
ـــ رسالة الجاحظ الى الفتح بن خاقان في فضائل الترك ، مصر ١٨٩٨م .
ـــ الجواليقي (ابو منصور موهوب بن احمد بن محمد)
ـــ المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم ، تحقيق احمد محمد شاكر ، مصر ١٩٦٩ .
ـــ الحسيني (علي بن الحسين)
ـــ اخبار الدولة السلجوقية ، طبعة لاهور ١٩٣٣م
ـــ الخطيب البغدادي (الحافظ ابو بكر احمد بن ثابت)
ـــ تاريخ بغداد ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٣١م
ـــ الذهبي (ابو عبدالله محمد بن احمد)
ـــ تاريخ دول الاسلام طبعة حيدر اباد ١٣٦٤هـ
ـــ العبر في خبر من غبر طبعة حكومة الكويت
ـــ السبكي (ابو نصر عبدالوهاب بن تقي الدين)
ـــ معيد النعم ومبيد النقم ، لندن ١٩٠٨
ـــ (اسامة بن منقذ)
ـــ الاعتبار تحقيق فيليب حتى ـ الولايات المتحدة ١٩٣٠م
ـــ السيوطي (عبدالرحمن ابن ابي بكر جمال الدين)
ـــ تاريخ الخلفاء ـ المطبعة التجارية مصر ١٣٧١هـ
ـــ الطبري (محمد بن جرير)
ـــ تاريخ الرسل والملوك (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم)
ـــ الفارقي (احمد يوسف بن علي بن الازرق)
ـــ تاريخ آمد وميافارقين طبعة مصر ١٩٥٩م
ـــ القلقشندي (ابو العباس احمد)
ـــ صبح الاعشى في صناعة الانشا دار الكتب المصرية

ـــ مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤ اجزاء ـ القاهرة ١٩٥٨
ـــ **المقريــزي (تقي الدين احمد بن علي)**
ـــ السلوك لمعرفة دول الملوك ـ مصر ١٩٥٦
ـــ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار جزءان مصر ١٢٧٠هـ
ـــ **المقدســـي (شمس الدين ابو عبدالله)**
ـــ احســن التقاسيم في معرفة الاقاليم ليدن ١٩٠٦
ـــ **المؤيد في الدين (هبة الله الشيرازي)**
ـــ سيرة المؤيد في الدين ، تحقيق محمد كامل حسـين مصر ١٩٤٩.
ـــ **اليافعي (الامام ابو محمد عبدالله بن اسعد)**
ـــ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ـ بيروت ١٩٧٠
ـــ **ابن جبيـــر (محمد بن احمد)**
ـــ رحلة ابن جبير طبعة مصر ١٩٥٥
ـــ **ابن الجوزي (ابو الفرج عبدالرحمن)**
ـــ المنتظم في تاريخ الملوك والامم طبعة حيدر اباد ١٣٥٨هـ
ـــ **ابن حسول (ابو العلاء محمد بن علي بن الحسن)**
ـــ تفضيل الاتراك على سائر الاجناد ، باعتناء عباســ العــزاوي استنبول ١٩٤٠ .
ـــ **ابن حوقــل (ابو القسم)**
ـــ صورة الارض ليدن ١٩٣٨م
ـــ **ابن خلدون (عبدالرحمن)**
ـــ تاريخ ابن خلدون العبر طبعة بيروت **٥ اجزاء**
ـــ **ابن خلكان (احمـــــد)**
ـــ وفيات الاعيان طبعة مصر ١٤٤٩هـ
ـــ **ابن خياط (احمد بن خياط الموصلي)**
ـــ ترجمة الاولياء في الموصل الحدباء ، تحقيق سعيد الديوهجــي ، الموصل ١٩٦٦
ـــ **ابن دحية (ابو الخطاب عمر بن ابي علي)**
ـــ النبراس في تاريخ بني العباس بغداد ١٩٤٦
ـــ **ابن الساعي (ابو طالب علي)**
ـــ الجامع المختصر بغداد ١٩٣٤
ـــ **ابن شداد (بهاء الدين بن شداد)**
ـــ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، مصر ١٩٣٤.
ـــ **ابن الشحنة (ابو الفضل محمد بن الشحنة الحنفي)**
ـــ الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ـ بيروت ١٩٠٩

ـــ **ابن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا)**
ـــ الفخري في الاداب السلطانية ، القاهرة ١٩٢١ .
ـــ **ابن بطوطة (احمد)**
ـــ تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (مصر ١٩٥٨) .
ـــ **ابن عبدالحق (صفى الدين البغدادي)**
ـــ مراصد الاطلاع ـ مصر ١٩٥٤
ـــ **ابن العبري (ابو الفرج غريغوريوس)**
ـــ تاريخ مختصر الدول ـ بيروت ١٩٥٨
ـــ **ابن العديم (كمال الدين عمر)**
ـــ زبدة الحلب في تاريخ حلب ـ دمشق ١٩٥٤
ـــ بغية الطلب في تاريخ حلب (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية)
ـــ **ابن العميد (جرجيس بن العميد)**
ـــ تاريخ المسلمين ـ ليدن ١٩٢٥
ـــ **ابن الفوطي (كمال الدين ابو الفضل عبدالرازق)**
ـــ الحوادث الجامعة ـ بغداد ١٣٥٠هـ
ـــ **ابن القلانسي (ابي يعلى حمزة)**
ـــ ذيل تاريخ دمشق ـ بيروت ١٩٠٨
ـــ **ابن العماد الحنبلي (عبدالحي بن العماد)**
ـــ شذرات الذهب في اخبار من ذهب مصر ١٣٥٠هـ
ـــ **ابن كثير (اسماعيل بن عمر بن كثير)**
ـــ البداية والنهاية في التاريخ مطبعة السعادة مصر
ـــ **ابن ميسر (محمد بن علي بن يوسف)**
ـــ اخبار مصر ـ طبعة المعهد الفرنسي بالقاهرة ١٩١٩
ـــ **ابن واصل (جمال الدين سالم)**
ـــ مفرج الكروب جـ١ مصر ١٩٥٣
ـــ **ابن الوردي (زين الدين ابو حفص عمر)**
ـــ تتمة المختصر ـ مصر ١٢٨٥هـ
ـــ **ابو شجاع (محمد بن الحسين)**
ـــ ذيل تجارب الامم نشر امدروز ١٩١٦م
ـــ **ابو شامة (عبدالرحمن)**
ـــ الروضتين في اخبار الدولتين تحقيق محمد علي احمد
ـــ **ابو الفدا (الملك المؤيد عمادالدين اسماعيل)**
ـــ المختصر في اخبار البشر ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت
ـــ تقويم البلدان ـ باريس ١٨٤٠

ابو المحاسن (ابن تغري بردى الاتابكي)

ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ طبعة دار الكتب

ــ **انطوان الخانجي (القس انطوان الخانجي)**

ــ مختصر تواريخ الارمن اورشليم ١٨٦٨م

ــ **سبط ابن الجوزي (شمس الدين ابن المظفر يوسف)**

ــ مرآة الزمان ـ طبعة الهند ١٩٥١

ــ **صالح بن يحيى (صالح بن يحيى)**

ــ تاريخ بيـــروت

ــ **مســكوية (ابو علي احمد بن محمد)**

ــ تجارب الامم وتعاقب الهمم مصر ١٩١٤

ــ **ياقـــوت (شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموى)**

ــ معجم البلدان ٦ اجزاء ليبزك ١٨٦٦

ثالثا : المصادر الفارسية :

ــ **البيهقـي (ابو الفضل محمد بن حسين البيهقي)**

ــ تاريخ البيهقي نقله الى العربية يحيى الخشـاب وصادق نشـــأت ـ مصـــر ١٩٥٦ .

ــ **السمرقندي (احمد بن عمر بن علي نظامي عروضي سمرقندي)**

ــ جهار مقالة نقله الى العربية عبدالوهــاب عزام ويحيى الخشـاب

ــ **حمدالله المستوفى (حمدالله بن بكر بن احمد بن نصر القزويني)**

ــ تاريخ كزيده ـ نشر براون ، ليدن ١٩١٠م

ــ **عباس اقبال (الدكتور عباس اقبال)**

ــ وزارت در عهد سلاطين بزرك سلجوق طرهان ١٣٣٨هـ

ــ **كرديـــزي (ابو سعيد عبدالحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي)**

ــ زين الاخبار ـ طبع برلين

ــ **محمد ابراهيم (ابو حامد محمد ابراهيم)**

ــ تاريخ سلاجقة كرمان ـ ليدن ١٨٨٦م

ــ **الراوندي (محمد بن علي بن سليمان الراوندي)**

ــ راحة الصدور وآية السرور نقله الى العربية الدكتور عبدالنعيـــم حـــنين وفؤاد الصياد وابراهيم امين الشواربي مصر ١٩٦٠

رابعا : المراجع العربية الحديثة :

- احمد محمود (حسن احمد محمود) واخرون
- العالم الاسلامي في العصر العباسي ـ مصر ١٩٧٣
- امين (حسين امين)
- تاريخ العراق في العصر السلجوقي بغداد ١٩٦٥م
- الباشا (حسن الباشا)
- الالقاب الاسلامية ـ مصر ١٩٥٧
- الجميلي (رشيد الجميلي)
- دولة الاتابكة في الموصل ـ بيروت ١٩٧٠
- حبشي (حسن حبشي)
- الحملة الصليبية الاولى ، مصر ١٩٥٨ .
- حسنين (عبدالنعيم)
- سلاجقة ايران والعراق ـ مصر ١٩٥٩
- حسن (حسن ابراهيم حسن)
- تاريخ الاسلام ـ مصر ١٩٦٠
- حسن النظم الاسلامية ـ مصر ١٩٣٩
- حسن (علي ابراهيم حسن)
- دراسات في تاريخ المماليك البحرية ـ مصر ١٩٤٨
- حمدي (حافظ حمدي)
- الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، مصر ١٩٥٠
- الخالدي (فاضل عبداللطيف الخالدي)
- الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري ـ بغداد ١٩٦٩ .
- خليل (عمادالدين خليل)
- عماد الدين زنكي ـ بيروت ١٩٧١
- قوام الدولة كربوقا ـ مجلة اداب الرافدين العدد الخامس الموصل ١٩٧٤ .
- الديوه‌جي (سعيد الديوه‌جي)
- الموصل في العهد الاتابكي ، بغداد ١٩٥٨
- الدوري (عبدالعزيز)
- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري بغداد ١٩٤٨

ــ زغلــول (سعد زغلول عبدالحميد)

ــ الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ـ مجلــة كلية الاداب ـ اسكندرية المجلد العاشر ١٩٥٦

ــ زكــار (ســهيل زكــار)

ــ مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية . دار الفكر بيروت ١٩٧٣

ــ زكــي (عبدالرحمن زكي)

ــ السلاح في الاسلام ـ مصر ١٩٥١

ــ سـالم (السيد عبدالعزيز سالم)

ــ طرابلس الشام في العصر الاسلامي ـ مصر ١٩٦٧

ــ التاريخ والمؤرخين العرب ـ مصر ١٩٦٥

ــ ســرور (جمال‌الدين)

ــ النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق مصر ١٩٦٤

ــ سياسة الفاطميين الخارجيــة

ــ الشــيخ (محمد محمد مرسي الشيخ)

ــ الجهاد المقدس ـ اسكندرية ١٩٧٤

ــ الصايــغ (القس سليمان الصايغ)

ــ تاريخ الموصل ج١ مصر ١٩٢٣

ــ طرخــان (ابراهيم علي طرخان)

ــ النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى ـ مصر ـ ١٩٧١ .

ــ طليمــات (عبدالقــادر)

ــ مظفرالدين كوكبوري ـ سلسلة اعلام العرب

ــ ابن الاثير الجزري المؤرخ مصر ١٩٦٥

ــ عاشــور (سعيد عبدالفتاح)

ــ الحركة الصليبية ـ مصر ١٩٦٣ .

ــ عاشــور (سعيد عبدالفتاح)

ــ اوربا ـ العصور الوسطى ـ مصر ١٩٦٣

ــ الناصر صلاح‌الدين سلسلة اعلام العرب ١٩٦٥

ــ العصر المماليكي في مصر والشام

— **العبــــادي (احمد مختار العبادي)**

— التاريخ العباسي والفاطمي ـ بيروت ١٩٦٩

— قيام دولة المماليك في مصر والشام ـ بيروت ١٩٦٩

— **العــــدوي (ابراهيم العدوي)**

— الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ـ مصر ١٩٥٨

— **العرينـــي (السيد الباز العريني)**

— الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٣

— مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٢

— **القــــزاز (محمد صالح القزاز)**

— الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير النجف ١٩٧١

— **ماجـــد (عبدالمنعم ماجد)**

— الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى مصر ١٩٦٣

— **ماجـــد (عبدالمنعم ماجد)**

— ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ـ مصر ١٩٦٨

— **المعاضيدي (خاشع المعاضـــيدي)**

— دولة بني عقيل في الموصل بغداد ١٩٦٨

— **المنـــاوي (محمد حمدي المناوي)**

— الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ـ مصر ١٩٧٠

— **مؤنـــس (حسين مؤنس)**

— نورالدين محمود ـ مصر ١٩٥٩

— **ناجـــي (عبدالجبار ناجي)**

— الامارة المزيدية ـ البصرة ١٩٧٠

— **هنـــداوي (محمد موسى هنداوي)**

— المعجم في اللغة الفارسية

— **يوســـف (جوزيف نسيم يوسف)**

— العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى ، مصر ١٩٦٧

— تاريخ الدولة البيزنطية ٧٣ـ١٩٧٤ الاسكندرية .

خامسا : المراجع الاوربية المعربة :

— انتوني ويست الحروب الصليبية ، ترجمة شكري محمود نديم بغداد ١٩٦٧ .

— ارنست كونل ـ الفن الاسلامي طبعة مصر ١٩٦١ ، ترجمة احمد موسى

— باركر (ارنست) ـ الحروب الصليبية ترجمة الدكتور الباز العريني مصر ١٩٦٠ .

— بارتولد : ـ تاريخ الترك في اسيا الوسطى (نقلة الى العربية احمد سعيد ـ مصر ١٩٥٨)

— ويماند ـ الفنون الاسلامية

— رنسمان (ستيفن) تاريخ الحروب الصليبية ترجمة الدكتور الباز العريني بيروت ١٩٦٧ .

— فازلييف ـ علاقة بيزنطة والاسلام ، فصل في كتاب الامبراطورية البيزنطية

— مؤرخ مجول ـ اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ـ ترجمة حسن حبشي

— كاهن (كلود) : تاريخ الشعوب الاسلامية

— فوللر اثر التسلح في التاريخ في حروب القرون الوسطى الى نهاية الحرب العالمية الثانية ـ دمشق ١٩٥٤ .

The Emirate of Mosul

in Seljuk Era

H. 489 — H. 521

Mosul drow attention of early Arab historian along the different stages of its Islamic history. And there are appeared several writings dealing with the history of this city. Some of these writings mentioned, mainly . the Political events of Mosul or studied the stats which succeeded one another in Mosul, whereas othere contained the biographies of its famous scientists .

This attention was undoubtedly due to the outstunding part played by Mosul on the stage of the Islamic near east since the outset of the fourth century of Hegira. The weakness of the central authority in Baghdad, resulting from the strengthening of the Turkish prestige, Ied, Iate in the third century of Hegnga, to the rise of small Arab states almost independent of the Abbisside Caliphate, taking Mosul as a basis. Example of such states were Hamadani State and Beni Akil's state .

Mosul then became a part of the Seljuk State after the fall of Beni Akil's State in H.489. A number of Seljuk omirs succeeded one another in ruling Mospll until H.521 when reign passed to Emad - El - Din Zanki, who set up the Atab - eks' State in Mosul which continued up to I. 631 .

Such an interest in the History of Mosul in the Islamic opoch was not only on the part of early Arab historians but it also drew the attention of several modern historians who felt the significance of stutying the hiseory of that city in its

relation to Islamic history in ieneral and the history of Islamis near east i nparticular. They started, therefore, studying the history of Mosul in its different ages. The period of the seljuk emirat in Mosul, from 4.489 up to H.521, had not, however, had the same attention on the part of researchers whose researches included not more than casual roferencet to that period despite its significance and importance not only to the history of Mosul bit to Ilslamic history in the Middle Ages as well. At the time the Isalamic world was suffering from political and sectaricur conflicts, it was on a wide scale, the aim of a Crusade which seriously threatened the Islamic near east. The Seljuk state was also suffering from disintegration and corruption due to the conffict for the Seljuk throne following the death of Malekshah in H. 485. The emirs of Mosul had an outstanding role in that conflict in searoh of parsonal profits which migth increase their feudalism and dominonce in the Seljuk state .

Mosul became also at that stage a basis for military actions against the crusaders bases in Jazira, and Syria at that time. Mosul's emirs played a decisive part in the ensuing events because Mosul enjoyed a strategically fortified site which protected it against the direct dangers of crusaders attacks. Besides they represented a direct link between Sel uk sultans and the Islamic emirates spread in Jazira .

The emirs in Mosul strongly shared in those events and contributed in the fates of that Zone not only through their role in Jihad against the crusaders but also because they played an important part in the struggle for the Seljuk sultanate .

Consequently, I have seen that that historical stage is ents-itled to serious attention so as to tighten the links fastening the history of Mosul and to cast light on its prominent role during the conflict between the forces of Islam and those of the crusaders. Its role was, indeed, outstanding. It had the deepest effect in establishing the rules of Jihad against the crusaders. It had also paved the way for new stages of stru-ggle and great leaders who proceeded to liberats the Arab Zone from the effects of the crusades .

I have tried in this study to give the right dimensions to the political part played by Mosul at the age Sal uk emirate, through its relations with the other Islamic fores in the area, and the spuit of struggle which emerged in its encounter with the crusders in Syria and Jazira. I have done my best to point out the relations between Mosul's emirs and Sel uk sultans.

The subject is divided into four sections. The first section serves as an introduction for the following two sections. It is allecated for the study of Seljuks since the establishment or their state up to their taking of Mosul and the fall of Beni Akils' state in H.489. It is noteworthy that although this study falls out of the period stated for the thesis, it is so important because it is impossible to study the history of Mosul in the Beljuk age kith out casting light on the preceding historical era which is a prepartory stage pointing out the political eve-nts that happened in Iraq right before the Seljuks' entry of Baghdad and the part played by Mosul in these events as reflected in its attitude towaros Sek uks and Abbassioe Cal-iphate . Chapter I of this section talks about the Seljuks since their settlement in (The land of Turkstan) up to defeating (Algoznami) and the declaration of the establishment of

their state by crowning Tokreloek in place of (Masud Al Gaznawi) in Nissnpur in H. 429. then the Seljuks contact with the Abbasside Caliphate and their entry of Baghdad in H. 447. Finally we deal with Tokrelbok's attitude towards the Bassassiri movement and his plicy towards Caliphate.

In Chapter II I have talked about the age of Alb Arselan and his perseverance to strengthen his reign through marital bonds with the Abbasside Caliph. I have also dealt dealt with the Seljuk expansion into Asia Minor and the Byzantine reaction. Chapter II also speaks abot Molkshah son of Alb Arselan, his expansive policy in Syria and his attitude toward Fatimite prevalence there until his death in H.48. Thereupon followed Seljuk disintegration and wars between Mockshah's sons on one side, and between them and their uncle Tetch on the other side. The effects of those wars on the Seliuk state. I have also pointed out the effects of Tetch's death particuldrly the division of his properties in Syria between his two sons Radwan and Dakkak, and the release of Karbouga, and his march towards Mosul puting an end to the Beni Akil's reign there in H.489.

ces in the aren of (Jazira) and northern Syria stressing the politieal octivity of the emirs of Mosul in that Zone and their attempt impose their dominanee on the frontiers emirs in the name of the Sel uk sultan . Their leading role in the Jihad movement against the crusades enabled then to impose their respect on the emirs and kings of the cities spread aII over (Jazira) and Diar Bakr. I have also paid attention to the subjeet of the relations with Aleppo. Here I have talked about the importance of Bursqi annexing Aleppo to Mosul in H. 518 and its offects an the Jihad movement against the erusaders .

The third section comprises a study on the relations with the erusaders. I haves pointed out here the part played by Mosul in that serious stage of Islamic Hiseary. following the steps of the early Jihad Movement led by the emirs of Mosul since the early days of the advent of the first crusad to the borders of Syria and (Jazira) and how they set up unity among the Islamic emirates in order to form a solid Islamic front against the crusades. I have stressed here that the burden of facing the crusoders was shouldered by Mosul because it was, on the one hand, the biggest emirate in the north of (Jazira), and, on the other hand, because its emirs represented the link between the Sal uk sultan and the Islamic emirates in Jazira region. I have paid a special attention to karbuva's crussde

The second section of this thesis is allocated for the study of the relations between the emirate of Mosul and the other neighbouring Islamic forces . Chapter I deals with the relations with the Seljuk sultans pointing out the responsibllity of the emire of Mosul towards the Seljuk sultan and the extent to which they adhered to the conditions of feudalism. I hawe shown theri attitude in the outstanding struggle for the Seljuk throne. I have also talked abut the hostile attitudes taken by some of them against the Seitan and their Promulgation of reb ollion .

Chapter II deals with relations between the emirs of Mesul and the Abbasside Caliphs . Here I have pointed out the mosleme adherence to caliphate in search for its support on the basis that although the Calip was politically weak be was the source of spiritual strength for moslems. Reference is made to Mosul's intervention into the struggle betwen Caliphate and its enemies. I have pointed out Bursuqi role in fighting Dubas son of Sadeka and preventing him from attacking Baghdad.

Chapter III deals with the relations with the Islamic for-against Antiech annulling both the crusaders' and the modern western historians, pretences that the Abbasside Caliph and the Sel uk sultan had contributed in the preparation for that expedition and that Persian soldiers had joined it. I have cha-rified that the aim of those pretenoes was to magnify the cru-saders victory against Antioch and to eneourage Eurape to send more crusades to the East. They aimed also at raising the crusaders, morale in Syria. I have conoluded that the part played by Mosul in that stage. though negative at certain tim-es, was pioneering in the early Jihad movement and that it was a corner - stone for great victories achieved after words by Zanki and his successors.

The fourth section is an attempt to draw an image for the cirillization of Mosul in the Seljuk era including govern-ment and administrative systems. The image attempted is as realistic as possible due to look of information provided by Arabic resonrces about the nature of Seljuk emirs regin and the administrative institutions set up by the new regine. Such a silence is dae to their emphasis on the serious political eve-nts which occurred in that historidal stage which generally drew the attention of historians. In the field of government and administrative systeme, I have concentrated on the emir of Mosul's validities and auttorities in wling the country, and his financial and military comminments towards the Seljuk sultan. I have also surveyed his military policy, his distribu-tion of feuds among soldiers' emirs, and his care for develop-

ing his military strength so as to protect his emirate, on the one hand, and to expand in the region, on the other. I have also attempted to draw a vivid picture for the important posts in the emirate, such as the castle's guard, who used to replace the emir in case of his absences and the post of ministry. The government systems followed in Mosul in that stage were, indeed, merely Sel uk systems. From this starting - point I have been able to cast light on the nature of thdse posts and to concentrate on the subject of the army and its weapons, systems and tactice. It has been concluded that such systems and methods following the Seljuk way as the melers of Mosul represented the military class and they were, indeed, chosen from among senior leaders serving in the Seljuk army. Hence they applied in their countries the military systems they had already learnt in the Seljuk state.

I have not ignored to study certain phases of civilization in Mosul as for a I could deduce from the available resources and the rich Seljuk heritage in Mosul handed down to us. Honce I have talked about the military and religious institutions. I have also dealt with the economic life speaking about about agriculture and trade in Mosul and stressing in particular on the arts and industries for which Mosul was famous in the Middle Ages. I have concluded this sections by talking about the scientific and cultural movement in Mosul and the part played by mosques in the different sciences and literatures .

Rashid Al Jumaily

1 - Anna Comnena, The Alexiad, Translated from the Greek By E.R.A. senter 1969.

2 - Anonymous Syriac chronicle : The first and second Crusades from An Anonymous Syria chronicle. Journal of the Royal Asiatic Sociaty. London 1933.

3 - Arnold (sir Thomes) : The Caliphate . Dxford, 1924.

4 - Cam Med. His. Cambridge Mediaeval History 1957.

5 - Cahen (Claude) : La Syrie du Ivord Al Epoeue, des Croisades Paris. 1940 .

6 - Chaladon, F. : Histoire de la Piemiere croisade Jusqun l' election de Codefroi de Bouillon Paris 19p5.

7 - Conder . (C.R.) : The Latin Kingdom al Jerusalem. London 1997.

8 - Setton, K.M; (Ed.) : Ahistory ol the crusades, 2. vols. 1958 .

9 - Stevenson; (W.B) The Crusaders in the East. Caunbridge 1907 .

Smail (R.C.) : Crusading warfare, cambridge 1956.

10 - Grousset, R. Histaire des oroisades 3 vols. Paris, 1948.

11 - Oman (C.W.G.) : A History al the Art of war in the Middle Ages. 2vol London 1924.

The Art ol war in the Middle Ages New York, 1960.

12 - Mathieum d'Edesse .

13 - Lane pool, st., : Ahistory ol Egypt in the Hiddle Ages-. London 1936.

— RECUEIL DES HISTORIENS DES CROISADES TOMg. 3 HISTORIENS ORIENTAUX.

— Vasilive Ahistoryal the By zantine Emprie, vol. 1.

— Foucher of charter, Chronicle of the first Crusades Oxford university Press 1941.

— Migeon (Gaston) : Manuel d'art musulman, vol. II. Paris 1907 .

فهرست الموضوعات

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
٦١٧ لسنة ١٩٨٠

رقم تسلسل التعضيد
(٤٣) لسنة ٩٧٦/٧٥

الثمن / ٣ دنانير

طبع بمطبعة واوفسيت الحديثي